الصِّحة النفسيَّة

لِلمُراهِقين

د. حاتِم مُحَمَّد آدَم

155

م ح ص

[redacted]

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

الصحة النفسية للمراهقين

دكتور
حاتم محمد آدم
مستشار الطب النفسي

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٩٨٥٢/ ٢٠٠٥

الترقيم الدولى: I.S.B.N

977 - 6119 - 64 - 6

مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

١٠ ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسطاط

القاهرة ت: ٥٣٢٦٦١٠ محمول: ٠١٠/٥٢٢٤٢٠٧

الإهداء

إلى رفقاء الدرب ومشوار الحياة الذى مشيناه معًا بكل ما فيه من ضيق وسعة، من حزن وفرح، من طفولة ومراهقة ورشاد.

إلى أخى الحبيب د/آدم أبى حاتم وأخى حاتم.

إلى أخواتى وفاء وسوزان وإيمان.

فقد جمعنا غياب الوالد الذى كان العامل الأكبر للاعتماد على الذات وتوجيه النفس. وجمعنا حنان الوالدة الذى أمدنا بكل ينابيع القوة والنماء.

وجمعنا الإصرار على التفوق والتميز والإبداع، ثم ذهب كل منا إلى أسرته الجديدة ليكمل نفس الطريق الذى بدأناه معًا.

فأنا أهديه أيضا لأسرتى الصغيرة..

هويدا صاحبة سرى وحمّالة همي، وربة البيت وأم العيال، ودعاء، وسعاد، وسارة، وهبة الله، اللاتى أسأل الله تعالى أن يجعلهن حجابًا لى من النار.

وأخيرًا آدم وأحمد اللذين أسأل الله أن يجعلهما صالحين قويين نافعين لنفسيهما ودينهما ووطنهما الحبيب.

مقدمة

- الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، يا ربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

إن ألفاظى تعجز عن الوصف والتعبير عن عظيم منة الله، فقد نفدت الطبعة الثانية من الكتاب الأول «الخصائص النفسية للطفل من الميلاد حتى الثانية عشرة» لقد أدركت عن تجربة ومعايشة أن أى أمر حتى ينجح وينتشر لا بد له من أمور ثلاثة،

- الأول: الإتقان فى عرضه وشرحه.
- الثانى: أن يكون الناس فى حاجة إليه.
- الثالث والأهم: وهو توفيق الله.

وقديمًا قال ابن عطاء رحمه الله:

من أُذن له فى التعبير فُهمت فى مسامع الخلق كلماته. فكم من الأعمال الصالحة لم يكتب لها النجاح، وإن كان أصحابها أخذوا ثوابها من الله.

وكم من الأفكار الرديئة انتشرت لحكمة من الله حتى يدفع أهل الخير لمواجهتها والتصدى لها.

والأمر كله لله وهو الحكيم الخبير. ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

وأنا أشكر صنفين من الناس: من وقفوا معى ومن عرقلوا مسيرتي.

فمن الصنف الأول: الأستاذ محمد، الموجه بوزارة التربية والتعليم، وجارى فى حينا القديم، وقد صحبته فى رحلة دامت أربعة أشهر، وكان مصرًا على أن يخرج عملى هذا للناس، ويرى أن ذلك مصلحة لى وللناس، ولم أعهده إلا شفيقًا ناصحًا ووالدًا راعيًا. وكلما أصابنى إحباط أو تهاون أراه بالمرصاد لهما، ودائمًا ما ردد على سمعى: اليأس ليس من أخلاق الرجال، الحياة كلها عقبات ولا بد من اجتيازها.

وأنا لا أهدى هذا العمل إليه؛ لأنه عمله هو، والله يتقبل منه ومني، ويجزيه ويجزينى الثواب والمغفرة.

وأيضًا من الصنف الأول الإخوة العاملين **بمؤسسة اقرأ**، الذين سارعوا إلى تبنى الفكرة، وحرصوا على نشر الكتاب اقتناعًا منهم بأنه يمثل إضافة إلى مكتبة الطفل، وقد قاموا بمجهود طيب فى إخراج الجزء الأول وهو كتاب «الصحة النفسية للطفل من الميلاد وحتى ١٢ سنة وأخص بالذكر الأستاذ قاسم عبد الله مدير المؤسسة.

أما الصنف الثانى: فأقول لهم: جزاكم الله خيرًا، علمتمونى الصبر والتحدى ومواجهة الإحباط والإصرار على المضى للأمام.

وقبل كل ذلك التعلق بالله واللجوء إليه والاعتصام بحبله المتين، فقد قالوا بحسن نية أو بسوء نية، وسمعت منهم:

☺ الأمر ده محتاج ميزانية كبيرة.. عيالك أولى.

☺ ده كلام نفسية ومجانين.

☺ أنت مش مشهور ومحدش هايشترى الكتاب ومش وقته.

☺ أنت تعانى من فراغ ومش لاقى حاجة تعملها.

☺ ركز فى حاجات تانية غير الموضوع ده.

☺ لازم ناس كبار يتولوا الموضوع ويبقى تحت رعايتهم.

وزاد الطين بلة أن دور النشر لا تريد المغامرة، فالموضوع مقنع، ولكن اسمى غير معروف، والمال لا مجاملة فيه، وأدركت أنه حتى الأفكار والعواطف مرتبطة بالمال.

لقد ضاقت عليَّ نفسي حتى دخلت سم الخياط، وضاقت على الأرض حتى أنني هممت أكثر من مرة بعدم فتح الموضوع مع نفسي من باب [عدم شراء النكد] وحياتي فيها مجالات أخرى مفتوحة، وتحتاج للجهد والرعاية [العيادة، الأولاد، العمل]، وكنت أردد دائمًا قول الشافعي رحمه الله:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعًا ... وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وفكرت في اعتزال الناس والانكفاء على عملي وعيادتي وأولادي، وردني الأستاذ سيد قطب رحمه الله حين قرأت له مقالة أنقلها إليك أيها القارئ.

يقول الأستاذ سيد: حينما نعتزل الناس لا نكون قد صنعنا شيئًا كبيرًا، لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة.

إن العظمة الحقيقية أن نخالط هؤلاء الناس، مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم، وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم ودفعهم بقدر ما نستطيع، بدون أن نتملقهم أو نثني على رذائلهم، وهذا يتطلب جهدًا وسعة صدر والتوفيق بين هذه التناقضات هو العظمة الحقيقية.

وهذا ليس بعسير.. إنه يتطلب فقط أن تنمو في نفوسنا بذور الحب والعطف والخير ولحظتها فقط سنكشف في نفوسهم عن كنوز من الخير، وسنجد لهم مزايا طيبة تخرج من تحت القشرة الصلبة من الشر، والتي يواجهون بها كفاح الحياة للبقاء. ولن تذوب القشرة الصلبة إلا لمن يستطيع أن يشعر الناس بالأمن من جانبه. بالثقة في مودته، بالعطف الحقيقي على كفاحهم وآلامهم.

لقد جربت ذلك، جربته بنفسي، فلست أطلقها مجرد كلمات مجنحة وليدة أحلام وأوهام.... **انتهى كلامه.**

وأنا لا أدعي البطولة، ولا أحب ادعاءها، وإنني أنقل إلى القارئ لحظات اليأس ولحظات الأمل، لحظة الضعف ولحظة القوة، فهي قصتي وقصة أي إنسان على

الأرض والعبرة تكون دائما بالخواتيم. لقد عشت هذه الفترة الصعبة، ثم جاءت بعدها فترة جميلة.

التليفزيون المصري، القناة الثالثة، تعرض عليَّ عمل حلقة عن الأطفال ومتاعبهم النفسية وقد تمت والحمد لله.

الفضائيات تم التفاوض معها فى عمل حلقات فى نفس الموضوع.

اثنتان من أكبر دور النشر تعرض وبإلحاح احتكار أعمالى ومؤلفاتى القادمة، هكذا بدون وسائط أو مال أو جاه، وأنا نفسى غير مصدق لما يحدث وأتساءل: كيف حدث هذا؟ أرفع رأسى إلى السماء ويفيض دمعى.. يا الله أنا لا أستحق ذلك.

لقد عشت تجربة نفسية رائعة فى ذكر أسماء الله الحسنى: الكريم، البر، الودود، المعطى، المانع، القوى، القادر، عشتها أيامًا يا ليتها تعود، وكل ما بداخلى وليس لسانى فقط يهتف: يا الله يا كريم، وكانت كلمة الحمد لله تخرج من نفسى فتملأ سمائى وأرضى.

لنعد إلى الحديث عن المراهقة كتابنا الوليد: إن المراهقة والشباب أخصب فترات العمر، وأكثرها إنتاجًا إذا أحسن توجيهها والانتفاع بها.

- ☺ فترة القوة والعاطفة والاندفاع.
- ☺ فترة الإبداع والابتكار والقدرة على صناعة الحياة.
- ☺ فترة المثالية وأخلاق الفرسان.
- ☺ فترة المنافسة والتحدى والاستهانة بالصعاب.

وتقدم أى أمة من الأمم مرهون بحسن التوجيه والاهتمام بتلك الحقبة الزمنية.

وتخلفها أيضا مرهون بإهمال أو تدمير تلك الحقبة. فإما أن يخرج للمجتمع رجال صالحون أقوياء، أو فاشلون ضعفاء.

فلا بد من معرفة الخصائص النفسية، أو ما بداخل الفتى والفتاة ومعرفة كيفية التعامل معها.

وثمة أمر آخر مهم؛ هو معرفة القضايا العامة فى الحياة والمجتمع من حولنا. ومناقشة المراهق فى هذه القضايا، فهو يسأل عنها، ويريد التعرف عليها ويلح فى ذلك: الجنس، التعليم والمهنة، الدين وفلسفة الحياة، الإدمان، التدخين، والحب.

فالخطأ أشد الخطأ هو دفن الرءوس فى الرمال، وترك المراهق يتخبط فى جهله أو فى ضلالات الآخرين، أو نتركه نهبًا للثقافات المعوجة والاتجاهات المغرضة التى تريد به وبأمته الضياع والاندثار. فالأمر جد خطير، والفتى لم يعد ذلك الصغير، وعلينا أن نمسك الدفة وإلا ضاع المركب بمن فيها.

ولا بد من الحوار وليكن مفتوحًا وصريحًا، والأزمة تبدأ ولا تنتهى عندما يكون المربون والموجهون لا يريدون الحوار، أو لا يقدرون عليه أو مشغولين بأنفسهم وحاجاتهم عنه، أو يريدون فرض آرائهم ومعتقداتهم قسرًا وقهرًا على الأبناء، سواء فى اتجاه الخطأ أو الصواب حسب رؤيتهم.

وبعد الحوار تأتى الإرادة بدفع المراهق لشق طريقه الذى ارتضاه، والوقوف بجانبه وإنهاضه من عثراته، وتشجيعه على السير للأمام، والصبر عليه ومعه، وتحمل شطحاته ونطحاته. لا بد من دفعه للتكسب، ومعرفة قيمة المال وأهميته، لا بد من تنشئته على تحمل تبعات عمله، لا بد من تدريبه على استقلال الشخصية، واتخاذ القرار ومواجهة المعارضين.

لا بد من تكوين الرادع الداخلى عنده، وأن يحاسب نفسه ويقيمها باستمرار دون إفراط أو تفريط. لا بد أن يعلم أن المجتمع لن يتركه يفعل ما يريد دون حساب، صدقونى هذا أهم وأولى من أن [ينجح فى الدراسة]، الجملة الوحيدة التى يفهمها ويعيها الآباء والأمهات فى مصر وغيره، وأود أن أضيف جملة بجوارها تظهر ما أريد أن أظهره، ما رأيكم يا سادة فى ابن لكم:

☜ ناجح فى الدراسة وفاشل فى الحياة.

☜ ناجح فى الدراسة ولا يتعامل مع الآخرين.

☜ ناجح فى الدراسة ولا يعرف شيئًا عن الدنيا.

لقد قابلت هذه النماذج وكانت وبالاً وجحيمًا على آبائهم [مهنة مرموقة وصاحبها يسير من فشل إلى فشل].

إنهما جناحان لذلك الطائر الذى يبدأ فى الطيران:

تحصيل العلم + معرفة الحياة وكيفية التعامل معها.

لقد واجهت المواقف التالية:

- أم حاصلة على الدكتوراة، ولا تريد أن تشرح لابنتها ذات الحادية عشر سنة معنى الدورة الشهرية، وكيف تتصرف إذا فاجأها الدم؟!!

وتردد ببلاهة عجيبة: «أنا مكسوفة أقول لها وهى هاتعرف لما يجى الدم، ولما تسألنى أجاوب؟!! أنا حصلى كده وعدَّتْ والحمد لله».

- أب ذو مركز مرموق حصل ابنه على الإعدادية، وعرض على والده أن يعمل فى الصيف ليسلى نفسه، ويكتسب مهنة فجاءنى يشتكى من ولده فسألته: ولم لا؟ فأجاب:

☜ «أنا مش محتاج فلوسه!

☜ لو عايز فلوس أعطيه!

☜ لماذا يعيش الشقاء الذى عشته أنا عايزه سعيد!

☜ أخاف أن يختلط بناس أخلاقهم سيئة!

☜ خايف يحب الشغل ويسيب الدراسة!

☜ يذهب إلى النادى يلعب أحسن..

هذا منطقه وهذه فلسفته، وأترك للقارئ تخيل شخصية هذا الفتى وأسلوبه فى الحياة حينما يكبر ويصبح مسئولاً.

- أم تعلم أن ابنها يتعاطى المخدرات، وينتهك الحرمات، وجاءت تشتكى منه فسألتها: لماذا لم تخبرى والده فأجابت: «خايفة يضربه ويموته».

«خايفة يتخانق معايا ويقول أنت السبب».

فسألتها: إذن لماذا لم تواجهى ابنك؟

فقالت: «خايفة يسيب البيت ويهرب هو شاطر فى الدراسة ودى أهم حاجة بكره يكبر ويعقل».

فسألتها: إذن لماذا جئت؟.

فإلى هؤلاء، وإلى الذين يتعاملون بعكس الموقف بالشدة والتسلط والقهر أكتب كلماتى، راجيًا من الله تعالى أن يتقبل منى ويهدينى إلى سواء السبيل.

فالكتاب محاولة غير مسبوقة –حسب اطلاعاتي– لتجميع ما يخص المراهق من:

١- الخصائص النفسية للمرحلة السنية.

٢- قضايا الحياة المثارة من حوله.

٣- طريقة التعامل معه لكى يشق طريقه فى الحياة بأقل خسائر ممكنة.

وقد تم ترتيب الكتاب على مقدمة تشمل الحاجات الأساسية للمراهق وتسعة أبواب تشمل تلك الحاجات مع موضوعات ملحة:

الباب الأول: يشمل الحاجة إلى الاستقلال الذاتى وفيه فصلان:

الفصل الأول: خصائص المراهق.

الفصل الثانى: الصراع النفسى عند المراهق.

الباب الثانى: ويشمل الحاجة إلى إقامة علاقات اجتماعية وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: التجمع والشلة.

الفصل الثانى: العدوانية.

الفصل الثالث: الإحباط.

الفصل الرابع: الحيل العقلية.

الباب الثالث: ويتحدث عن النمو الجنسى عند المراهق وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: العادة السرية والحرية الجنسية.

الفصل الثانى: أسئلة محرجة.

الفصل الثالث: اللواط.

الباب الرابع: يتحدث عن التعلم والمذاكرة والمهنة وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: المجتمعات القديمة والحديثة والمهن فيها.

الفصل الثانى: الصعوبات الحالية فى عملية التعلم.

الفصل الثالث: الدوافع التربوية فى العملية التعليمية.

الفصل الرابع: مشاكل المذاكرة.

الفصل الخامس: المهنة وهوية الإنسان.

الباب الخامس: الجانب الدينى والأخلاقى وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الجانب الدينى.

الفصل الثانى: عن الخبرة الدينية.

الفصل الثالث: موقف الآباء من التدين.

الفصل الرابع: التطرف.

الفصل الخامس: الأخلاق.

الباب السادس: التدخين والإدمان وفيه فصلان:

الفصل الأول: التدخين.

الفصل الثانى: الإدمان.

الباب السابع: مجموعة رسائل إلى ابنتى وابنى عن الزواج العرفى والحب الكاذب والحب بالتليفون والثقافة والحياة.

الباب الثامن: دور الوالدين.

الباب التاسع: عرض ظواهر بارزة، مثل فقدان الثقة بالنفس، والالتصاق الشديد وتحكم الوالدين.

وأكرر كلامى وأعرض حلمى وطموحى على الناس..

[نظرية عربية إسلامية تربوية تراعى الأصول العلمية وقيم الحضارة الإسلامية وتقدم حلولاً واقعية لمشاكل المراهق]

والكمال لله وحده، ولا أحد فوق النقد والخطأ، ولن يتم الأمر إلا بتضافر الجهود. وألح على القراء الكرام بإرسال آرائهم والأبحاث التى لديهم وتعليقاتهم

وتساؤلاتهم، فلا بد لأهل الخير أن يتجمعوا لمواجهة أهل الباطل.

ولا بد من:

كلمة مؤمنة فى مواجهة الكلمة الفاجرة، وفكرة ملتزمة فى مواجهة الفكرة المنحلة لحظتها ولحظتها فقط نكون قد أعذرنا إلى الله حين نلقاه.

ونكون قد حققنا لوجودنا فى الحياة معنى وقيمة.

ونكون قد قدمنا للأجيال القادمة عملاً يذكروننا فيه بالخير والرحمة.

ونكون خرجنا من التمركز حول الذات وعبادة المصالح والأهواء إلى أفق الحياة الواسع الرحب والذى يوجد فيه الآخر.

ولا بد من ذكر أمر أخير، أختم كلامى به، يقول الأستاذ سيد رحمه الله:

نحن فى حاجة ملحة إلى المتخصصين فى كل فرع من فروع المعارف الإنسانية، أولئك الذين يتخذون من معاملهم ومكاتبهم صوامع وأديرة ومعتكفات.

ويهبون حياتهم للفرع الذى تخصصوا فيه، لا بشعور التضحية فحسب، بل بشعور اللذة، كذلك شعور العابد الذى يهب حياته لله وهو فرحان.

ولكننا مع هذا يجب أن ندرك أن هؤلاء ليسوا هم الذين يوجهون الحياة أو يختارون للبشرية الطريق.

إن الرواد كانوا دائمًا يحملون الشعلة المقدسة التى تنصهر فى حرارتها كل ذرات المعارف، ويدركون ببصيرتهم الوحدة الشاملة المتعددة المظاهر فى العلم والفن والعقيدة والعمل، فلا يحقرون واحدًا منها، ولا يرفعون أحدها فوق مستواه الحقيقى.

د/ حاتم آدم

القاهرة ١٤٢٦/٣/١٥هـ

٢٠٠٥/٥/٢٣م

تمهيد

أولاً: الحاجات الأساسية لفترة المراهقة

من الناحية البيولوجية: هى تلك المرحلة التى تبدأ من بداية البلوغ [بداية النضج الجنسي] حتى اكتمال نمو العظام، وتقع عادة ما بين الثانية عشرة، والثامنة عشرة، مع مراعاة الفروق الفردية.

والواقع الحقيقى وما تعضده الأبحاث الحديثة، أن مشكلات المراهقة إن وجدت فإنها تعكس الظروف الثقافية والاجتماعية التى يعيشها المراهق، وليست راجعة بدرجة كبيرة إلى التطور البيولوجى، فمشكلات المراهق فى البيئة الحضرية لا تتواجد بنفس الحدة، أو لا تتواجد نهائيًا فى البيئات الريفية أو البدوية أو البعيدة عن الحضر بشكل عام.

ففى المناطق البعيدة عن الحضر يدخل المراهق فى زمرة الكبار فى وقت مبكر:

- توكل إليه المسئوليات.
- يسمح له بالزواج بمجرد أن يشتد عوده.

بينما فى المناطق الحضرية يظل عبئًا وعالة على أهله حتى نهاية العشرينات فمن إكمال الجامعة إلى التجنيد إلى البطالة بعدها، ويظل المراهق وأهله فى عنت وضغط نفسى حتى تستقر أحواله، ويبدأ رحلة الحياة الحقيقية التى بدأها نظيره مبكرًا بعشرة أعوام على الأقل. وهذا «مربط الفرس» فى كلامنا، فالقضية إلى حد بعيد مرتبطة بالبيئة والطريقة التى يمهد بها الكبار حياة ابنهم.

وأهل أوربا وأمريكا حلوا المشكلة بطريقتهم المعهودة البعيدة عن المشاعر والعواطف وصلة الرحم والمعونة، والمبنية على النظرة المادية للحياة (حتى مع أولادهم..!). يلقونهم فى الطريق من سن الرابعة عشرة، أو من السن التى ينتهى فيها

المدد المادى من الحكومات. والمتشددون منهم يسمحون لأولادهم بالمبيت معهم فى عطلة نهاية الأسبوع فقط.

وهكذا يجد الفتى أو الفتاة نفسه وحيدًا فى تيار الحياة.

ولقد سُئل الشيخ محمد متولى الشعراوى -رحمه الله- عن هذا الأسلوب فى الحياة فأجاب ما معناه: لا حرج فيه بالنسبة للذكر، أما الفتاة فتبقى فى حوزة أهلها، ولابد من البر بالأبناء حتى يورثوا ذلك لأبنائهم وإلا سيتفتت المجتمع، وتحمل المسئولية المبكر له أثره فى ترك الاعتمادية ونضج الشخصية.

ولا أراه -رحمه الله- جاوز ما فى نفسى قيد أنملة، فما يفعله الشرقيون مع أبنائهم يربى فيهم الاعتمادية على الآخرين، ويخرج فى النهاية جيل معوق طويل اللسان قليل العمل والخبرات، يطالب والديه بحل كل مشاكله، وتدبير كل أموره مع ظهور حالات كثيرة من التبجح ونكران الجميل وطلب المزيد، وما يفعله أهل الغرب يزيد الأنانية أو الشح والتمركز حول الذات، والتعامل مع المجتمع من خلال مصالحه وشهواته فقط لا غير، والحق دائما وسط بين إفراط وتفريط.

فأزمة المراهقة فى حقيقتها هى نتاج تفاعل بين المتغيرات البيولوجية التى بداخل المراهق والمتغيرات الثقافية والبيئية التى فى خارجه. فهى انتقال من طفل يعتمد كل الاعتماد على الكبار إلى راشد مستقل مكتفٍ بذاته.

فالأزمة داخلية بين المراهق ونفسه، يحدث فيها مواجهة وتناقض بين ما يريده هو من تحقيق رغباته وطموحاته وما يعارض ذلك فى مجتمعه وأسرته وأصدقائه ومدرسته وقيم ومعايير المجتمع السائدة، وعلى الأخص فى مواقف معينة، والدور الاجتماعى المطلوب فيها ونحدد منها خمسة أدوار اجتماعية رئيسية هى:

١- الاستقلال الذاتى.

٢- تكوين علاقات سوية بجماعة الرفاق.

٣- الاستقلال الاقتصادى واختبار المهنة.

٤- تحديد الدور الجنسى.

٥- تبنى إطار دينى أخلاقى.

ونستطيع أن نضع لها عنوانًا هو «الحاجات الأساسية الناتجة عن تفاعل المراهق مع مجتمعه». والتركيز سيكون فى إطارين أساسيين:

☺ فهم الطبيعة البيولوجية للمراهق، وهذه لاخلاف فيها فهى طبية محضة.

☺ الدور المطلوب من الموجهين.

وهذا الدور يختلف من بيئة لأخرى، ومن مراهق لآخر، ولكن لا بد من أطر عامة يكون الاستثناء من خلالها.

ونؤكد على ما قلناه من قبل، الإهمال الشديد والتسلط الشديد وجهان لعملة واحدة، تخرج من تحت عباءتهما الأمراض النفسية والتطرف والجنوح.

وتحضرنى كلمة جبران خليل جبران:

«أولادكم ليسوا لكم، أولادكم أبناء الحياة».

فلنعدهم للحياة بحلوها ومرها، بخيرها وشرها، وليكن هذا محور التوجيه واللين والشدة، وليس أن نربيهم حتى نستمتع بهم، فهذا يأتى تبعًا ولا يأتى ابتداء.

والله المستعان وعليه التكلان ومنه سبحانه نطلب العفو والغفران.

ثانيًا: الطبيعة البيولوجية للمراهق

ملاحظة هامة: المراهقة مرحلة نمو فى جوانب متعددة وليس فى الجانب الجنسى فقط:

١- فسيولوجيًا: جسديًا، جنسيًا.

٢- اجتماعيًا.

٣- عاطفيًا، انفعاليًا.

٤- إثبات الذات وتحديد الهوية.

٥- النمو العقلى والمعرفى والإبداعى والابتكار (رأى بياجيه).

٦- التسلية والترفيه.

٧- الجانب الدينى والأخلاقى.

١- فسيولوجيًا: جسديًا، وجنسيًا:

الطول، الصوت، توزيع الشعر، نمو الأعضاء كلها، تتفجر فيه الشهوات الجنسية، ويميل إلى الجنس الآخر مع التوقان إلى معرفة كل ما يتصل بالجنس، والرغبة فى ممارسته، والاهتمام بالجنس يدفعه للاهتمام بمظهره أو التركيز عليه.

٢- اجتماعيًا:

أ- اتساع دائرة الاتصال بالآخرين.

ب- الرغبة فى الاستقلال الذاتى والانتماء لآخرين لإثبات مكانته من خلالهم مع الولاء التام لمن يتم معهم إثبات ذاته، أو للدائرة التى يحقق ذاته فيها.

ج- المراسلة والمشاركة فى الانتخابات والندوات العامة.

٣- عاطفيًا وانفعاليًا:

أ- العواطف تتحرك فى اتجاهات مختلفة متناقضة بسرعة كبيرة (حب شديد

للوالدين، غضب شديد منهم، ارتباط بالشلة والتصاق أعمى، ترك الشلة).

ب- عنصر المبالغة؛ فتتحول خلافاته مع الآخرين إلى مأساة ضخمة وهى فى الحقيقة خلاف عادى، وتظهر المبالغة فى حدة الافتتان بالآخرين، ولكن سرعان ما يزول.

ج- يحتاج إلى حدود لتصرفاته لكى يشعر بالأمان، ويعاند السلطة التى قد تحبس كل تصرفاته.

د- الخيال الخصب (أحلام اليقظة)، والحاجة إلى الحب والقبول الاجتماعى والنجاح، فهو يبحث باستمرار عن نظرة المجتمع إليه ووظيفته فى المجتمع «رياضى، متفوق علميًا، بلطجى، مشاكس، خادم للناس» التقمص لشخصية مرموقة أو بارزة.

هـ- حب الإقدام والمغامرة واتباع سلوك الفرسان والقادة بغير تهيب أو تحسب للمخاطرة، فهو يظن أنه يستطيع أن يكون بطلاً وأن يفعل أى شيء.

و- يحب التحدى والمنافسة والتفوق على أقرانه، وتمثل الميداليات وشهادات التقدير وحفلات التكريم بالنسبة له أمل يصبو إليه.

٤- إثبات الذات وتحديد الهوية [من أنا] مع شدة تنامى الوعى بالذات:

أ- الحاجة إلى تأكيد ثقته بنفسه والشعور بالتقدير والمكانة، فيتعلم العناية بنفسه.

ب- الشعور بأنه له كيان متميز عن الآخرين مع الشعور بأن كيانه جزء من كيان آخر.

ج- مظهره الشخصى مهم ويدخل فيه ثيابه وشعره وجسده.

د- له آراؤه الخاصة النابعة من ذاته، ويرى أنها كاملة وصائبة.

هـ- قادر على تكوين اتجاهات وقيم.

و- له فلسفته فى الحياة، ويدافع عن تلك الفلسفة، ويتلذذ بمعارضة الآخرين لها.

ز- حر فى اتخاذ قراره.

ح- يعتز بشخصيته وحساس جدًا للنقد.

ط- يرغب فى الاعتماد على نفسه.

فهو متبجح، استعراضى، تنافسى، يروى نكات جنسية ليخفف من ثورته.

وهى مرتبطة بصديقاتها وعادة اللاتى تثق فيهن، تجاهد فى الاستقلال عن أمها والتمرد على السلطة، تسعى لجذب اهتمام الأولاد وقد تتنافس مع رفيقاتها فى ذلك.

٥- النمو العقلى والمعرفى والإبداعى والابتكار:

☺ نمو واضح فى القدرات (اللغة، التذكر، التخيل، التفكير المجرد، التحليل والتركيز للمفاهيم المعنوية «الفضيلة، الخير»، الكتابة والتعبير، استخدام المصطلحات، الميل إلى تكوين فلسفة فى الحياة مع تنوع الميول الثقافية والأدبية والفنية والعلمية).

☺ البحث عن الحقيقة وتكوين قيم.

☺ الميل إلى الابتكار والإبداع.

☺ الاهتمام بالسياسة العامة والثورات وتاريخها والمعارك الحربية.

☺ الرغبة فى التفاعل مع البيئة اقتصاديًا وسياسيًا ودينيًا وجماليًا مع تنوع الميول؛ ثقافية، أدبية، فنية، علمية.

مظاهر النمو المعرفى عند المراهقين:

هناك ثمانية أنواع من النمو [التفكير فى العمليات الشكلية (الذهنية)]..

١- الربط بين المتغيرات: مما يؤدى إلى توليد مفاهيم جديدة ناتجة عن الربط.

٢- التناسب: القدرة على المساواة بين اثنين من العناصر (دى تشبه دى فى نقطة كذا أو كذا).

٣- التنسيق بين نظامين.

٤- التعادل الآنى: وهو مبدأ المساواة للفعل ورد الفعل.

٥- الاحتمالية.

٦- الترابط.

٧- التعويض المضاعف: وهو نوع معقد من الحفظ يتضمن ثلاثة أبعاد.

٨- أشكال متقدمة من الحفظ.

يصل إلى التفكير المنطقى:

بمعنى أنه قادر على:

- استخدام المفاهيم المجردة [الحب، الجمال، الخير].
- استخدام الرموز.
- فهم النسبة والتناسب.
- بناء النتائج بناءً على المقدمات.
- قياس الشيء على مثيله أو شبيهه.
- فهم وجهة النظر المقابلة.
- فهم الاحتمالات وتقييم التفكير فيها.

٦- التسلية والترفيه:

☺ الميل إلى انتقاد الآخرين وتصيد الأخطاء والتقليد مع السخرية.

☺ الميل إلى التلاعب بالألفاظ والجدل.

☺ الميل إلى اللعب وقضاء وقت الفراغ.

☺ الاهتمام بالمناظرات والمناقشات الساخنة سواء كان طرفًا فيها أم لا.

٧- الجانب الدينى والأخلاقي:

☺ له رغبة فى التعرف على الأمور المتصلة بالدين وبالله مع حب للمجادلة والاقناع.

☺ تظهر رغبته فى التمسك بالدين وبشدة أو العكس كظاهرة من ظواهر التقلب الانفعالى والعاطفى.

☺ يبحث عن أخلاق وقيم ومبادئ تكون نابعة من ذاته وضميره، وليست من الآخرين ولها طرفان:

الطرف المضيء: المروءة والشجاعة والنجدة ومساعدة الآخرين والبحث عن الحق والعدل والكمال.

الطرف المظلم: التحرر من القيم وتحدى الأخلاق والإباحية والانغماس فى الشهوات.

* * *

الباب الأول

الحاجة إلى الاستقلال الذاتي

الفصل الأول:

خصائص المراهقة عند أريكسون.

الفصل الثانى:

الصراع النفسى عند المراهق [تنازع الرغبات]

- أزمة المراهقة.
- المواجهة والردع حين الجنوح (عرض حالة).
- تجهيز جرعة مضادة للانحراف (عرض حالة).

الفصل الأول

خصائص المراهقة عند أريكسون

الفترة من ١٣ — ١٨ سنة

أولا : مرحلة تحديد الهوية عند البلوغ والمراهقة

Puberty and Adolescence
Ego Identity versus role confusion

الإحساس بالذات فى مقابل، أو فى محاولة التغلب على الضياع، أو تحديد الهوية فى محاولة التغلب على غموض هويته. ويسميها مرحلة تحقيق الولاء.

- يشعر أن له دوافعه الخاصة، والتى يجب أن يحترمها الآخرون والتى أيضًا يعرف كيف يسيطر عليها ويوجهها، أى أنه قادر على توجيه نفسه.
- لا يحتاج لمساعدة الآخرين.
- له مهارات تمكنه من العيش والتعامل مع الناس.. هذا ما يفكر به.

والحقيقة أنه غير قادر تمامًا على توجيه نفسه:

- لا بد من الآخرين.
- مهاراته وإمكاناته محدودة.
- خبرته بالحياة والآخرين قليلة، فما زال تعامله مع الآخرين محدودًا وناقصًا. ومن هنا تبدأ المشكلة..

هو يفكر فى شيء والواقع شيء آخر.

فلا بد من استمرار الحماية والإشباع العاطفى والمادى مع توجيه للاعتماد على نفسه، والانتماء إلى جماعة أو شلة يفهم من خلالها دوره مع الآخرين.

ولابد من إكسابه ثقته بنفسه وتشجيعه ومدحه والإطراء عليه حتى يشعر بذاته بدلاً من ضعف شعوره بها.

ثانيًا: المرحلة من بدء ٢٠ – ٤٠ سنة:

Young adult hood

وتتداخل مع السابقة؛ ولذا أدرجناها فى الحديث، حيث قد يصل المراهق إليها وهو ابن ١٧ سنة ولا يصل إليها الناضج وهو فى الثلاثين.

Intimacy versus isolation

وهى الشعور بالألفة والتكامل مع الآخرين فى مقابل شعوره بالعزلة.

بعد تحديد الهوية يأتى التفاعل مع الآخرين بدون خوف من فقدان هويته.

وتمثل تلك الفترة من العمر أخصب الفترات للارتباط بالجنس الآخر.

وقد عرَّف أريكسون الذروة الجنسية على أنها: الحصول على اللذة الجنسية مع شخص من الجنس الآخر، محبوب عنده، ويثق فيه، ويشق معه طريق الحياة، وبينهما أمور مشتركة يهتمون بها – الأولاد –.

وتمثل تلك الفترة أيضا فترة الإنتاج والعمل والدخول فى معترك الحياة والتعامل مع المنافسين والأعداء.

وذكر د/ أحمد عكاشة أن: ترابط الأسرة والمعتقدات الدينية والتقاليد تختلف تمامًا فى الشرق عنها فى الغرب، وأن استيراد النماذج الغربية للدول النامية ستؤدى حتمًا إلى كمية كبيرة من القلق وعدم السعادة.

وسؤال يطرحه بعض المربين:

هل ممكن مناقشة كل شيء وبدون حذر فى هذه المرحلة؟

والجواب: نعم. على الأقل من الناحية النظرية، وعليك مراقبة ولدك ومدى نضجه وحسبما يكون مستجيبًا فتقدم.. فإلى متى ستنتظر.. وممن تتركه يتلقى؟

الفصل الثانى

الصراع النفسى عند المراهـــــق

- أزمة المراهقة
- المواجهة والردع حين الجنوح (عرض حالة)
- تجهيز جرعة مضادة للانحراف (عرض حالة)

ينشأ الصراع من وجود دافعين متعارضين داخـل الشـخص الواحـد يتنازعانـه، ولا يقدُر على الخلاص إلى أحدهم وهذا:

- يسبب القلق والحيرة والاضطراب.
- قد يؤدى إلى ثورات ورغبات فى الصراخ والصياح وسلوك غريب، حتى إنه قد تشتبه نوبات المراهقة **Adolescence crisis** مع نوبات الفصام.

لابد من إحداث اتزان للصراع سلميًا ووجدانيًا وعقليًا، ولا بد من التفاعـل مـع الموقف بهدوء، وأى شيء يقوم به المربون هو أفضل من الفراغ والوحدة، وأى شـيء يفعله كل من الوالدين هو أفضل من اللامبالاة والقسوة.

صور من الصراع:

١- الشعور بذاته وهويته واستقلاله فى مقابل حاجته للانتماء إلى جماعة (إثبات ذاته من خلال جماعة).

٢- رغبته فى الاعتماد على نفسه والاستقلال المادى فى مقابل احتياجه لأسرته ماديًا وأدبيًا.

٣- رغبته فى إشباع غرائزه الجنسية فى مقابل الدين، الضمير، وتقاليد المجتمع.

٤- نزوعه إلى المثالية والكمال فـى مقابـل الواقـع البعيـد عـن المثاليـة، شـهواته ورغباته التى ضد المثالية.

٥- رغبته فى الابتكار والتجديد، واتباع كل جديد وبراق (موضة، أفكار جديدة) فى مقابل الجيل الحالى بثباته واتجاهاته الراسخة وقيمه الثابتة وأذواقه وخبراته.

٦- رغبته فى المغامرة والتطلع لأعلى فى مقابل الإمكانات المحدودة.

ومع كل تناقض بين الطرفين تظهر نوبات الغضب / العدوان والتصرفات الغريبة.

إنه مطالب اجتماعيًا:

- بالتحكم فى غرائزه وطاقته الجنسية.
- التحكم فى العدوانية.
- التحرر من الاعتماد المفرط على والديه اجتماعيًا وعاطفيًا وماديًا.
- أن يختار عملاً أو طريقًا محددًا فى التعليم.

وهو يتأثر بما يختاره حسب خبراته وعلاقاته وانفعالاته، وما هو كامن فى الوعى واللاوعى.

أثر الفترة السابقة للمراهقة على الخبرات:

وخبراته السابقة تعكس جزءًا من اختباره:

أ- ففى مرحلة الثقة، من عمر سنتين، التى يكتسبها من خلال رعاية أمه والمحيطين به، إن لم يتحقق ذلك:

- سيشك فى الجنس الآخر ويتخوف من إقامة علاقات معه ولا يرغب فى ذلك نفسيًا.
- عندما يختار رفيقة حياته سيبحث عن أم مفقودة، تعوضه ما لم ينله من حنان، وتفهمه من دون أن يتكلم، ويكون هو محور اهتمامها.

ب- فى مرحلة الاستقلال وتحديد الهوية الذاتية من ٣-٦ سنوات حيث يشعر بكيانه كفرد فى أسرة، وينافس والده ويقلده، ويحب أمه ويغار عليها، ويرى إخوته شركاء فى والديه، كل ذلك إن لم يمر بسلام فسيأتى فى المراهقة على صورة معارك وعناد ليؤكد ذاته بصورة شديدة.

ج- إن لم تنته داخله غيرته على أمه، ويقينه بأن أباه زوجها وحبيبها، وهو ابنها وحبيبها فسيشعر بالعجز وضعف الثقة ويصير:

- عدوانيًا تجاه السلطة – بصورة فجة – فى البيت والمدرسة.
- يميل إلى الاستعراضية، وجذب الانتباه لمن ترتبط به من الإناث من قريب أو من بعيد حتى تنساق إليه ثم يتركها – لقد انتصر على أمه وأبيه.

د- فى مرحلة الكمون ٦-١٢سنة إن لم يتحقق له الإنجاز والمثابرة ويشعر بكيانه:

- سيتفانى فى عمل أو هواية يكبت فيها كل رغباته.
- يميل إلى العزلة ولا يختار رفقاء.

أزمة المراهقة [عاصفة فى البيت الهادئ] *Adolescence crisis*

سمات المراهق: تحدثنا فى الفصل السابق عن خصائص المراهقة وذكرنا منها:

- البحث عن هوية .. من أنا؟.
- إثبات الذات -أنا هنا- أنا موجود.
- التحدى والعناد كوسيلة لإثبات الذات.
- حب التسلية والترفيه وانتقاد الآخرين والتفكه بتصرفاتهم والسخرية منهم.
- حب المنافسة والتعلق بالتنافس والانتصار على الآخرين.
- الجدال واللجاجة وحب الانتصار فى المناظرات، وتتبع ذلك حتى لو لم يكن طرفًا فيها.

- تقلب المزاج وشدته بين البغض والكره والحب والانسجام لمن حوله وخاصة المنزل والشلة.
- الرغبة في الاستقلال واتخاذ القرارات متنازعة مع احتياجه للآخرين واعتماده عليهم فيصر على فرض رأيه على الآخرين.
- الرغبة فى تكوين اتجاه فى الحياة أو فلسفة خاصة به يراها صوابًا والآخر خطأ.
- التقمص والإعجاب الشديد والتقليد المحض لشخصية مرموقة (مغنٍ، لاعب كرة، بطل رياضى، عالم، شيخ).
- الولوع بالجديد والغريب والمتميز فى كل شيء (الموضة والثياب، التصرفات والسلوك).

العوامل المؤثرة: وتدخل وسائل الإعلام والتجمعات والنوادى والسينما والمسرح كطرف مباشر وأساسى فى صناعة أفكاره وشخصيته، وينحسر دور الأسرة تحت مسميات [دول منا وعلينا، أو دول بتوع زمان، أو دول مش عايشين عصرنا، دول مش حاسين بينا، دول متسلطين، دول عايشين فى وادى تاني]، رغم أنهم يعيشون معهم فى نفس المجتمع بل فى نفس المكان ويتحملون عبء النفقة والمسكن والرعاية والمواساة.

مظاهر الأزمة: وتبدأ الأزمة:

ابنى اتغير – لم يعد وديعًا ولطيفًا كما كان – العند وعدم سماع الكلام أصبح هو الأصل فى تصرفاته – يتشاجر مع إخوته على أقل شيء – جاهز للمعارك فى أى وقت من الليل أو النهار – ألفاظه أكثر وقاحة حتى ثيابه ومظهره كأنه من أولاد الشوارع – لا يذاكر – يتأخر كثيرًا – يطلب فلوسًا باستمرار وقد يسرق ويكذب – شكوك فى أنه يدخن ويتعاطى البانجو – التليفون بالساعات وفى حجرته وبصوت منخفض – لا يخرج معنا – لا يهتم بأقاربه - كثيرًا ما يرواغ ويرفض الكلام عند

مواجهته. وقد يصيب الأبوين فى كل ذلك أو بعضه. وقد يقف الأمر عند مشاجرات فى المنزل، وقد ينتهى فى قسم الشرطة أو مصحة الإدمان.

فلكلٍ نصيبه من الشقاء والعناء، رضى بها أم لم يرضَ، وأصل الأزمة يكمن فى أمور:

أولاً: عدم إدراك الوالدين والمربين طبيعة المرحلة السنية التى سيمر بها ابنهم، فهم ما زالوا تحت وهم أنه الطفل الوديع أو الممكن السيطرة عليه، ولا يدركون أنه سيتغير حتمًا لا محالة، فلا بد أن يدركوا أن هناك مرحلة جديدة لها خصائص مختلفة.

ثانيًا: عدم دراستهم المركزة لشخصية الابن، والاحتمالات الواردة عند تغيرها، وهم أكثر الناس معلومات وخبرة فى ذلك.

وأتذكر حادثة رواها لى صديق فقال: إن والدى -رحمه الله- كان يوزع علينا العيدية فقلت له: لم لا تعطِ أمى، وكانت واقفة بجوارى فرد علىَّ: ما لك دخل دى مراتى، وأنا أعطيها أكثر من العيدية، فما كان منى إلا أن أعطيتها نصيبى. فابتسم والدى رحمه الله. وقال لأمى: سيكون أكثر أولادك شفقة عليك، وقد كان، وكان دائمًا يردد: بلاش العاطفة الزيادة هاتتعب كتير.. عقلك كويس شغله هاتفلح.. وقد كان.

وكان يقول: لا تسكت عند أخذ حقك بلاش خيبة لا تبك قم وتصرف... وقد كان.

أرأيتم دقة التحليل وعمق الموعظة والتوجيه..

نقع نحن الآباء فى خطأ التعميم الملفوف بالحب والحنان، حينما نذكر بيننا وبين أنفسنا.. أولادى أحسن الأولاد – أولادى كلهم مزايا – أولادى ملائكة.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا

ويغيب عن عقولنا دور التوجيه والتصحيح والإرشاد الذى هو من السمات الأساسية للوالدين.. **أو نقع تحت وهم آخر:**

- بكره يكبروا ويعقلوا، والرد أهم كبروا واتجننوا.

- خليهم يعيشوا وقتهم، **والرد** طيب بكره هايعملوا إيه.
- مش عايزينهم يشوفوا الأيام الصعبة اللى شفناها، **والرد** الأيام دى صنعتكم وجعلتكم أقوياء، ومن شب على التنعم شاب عليه. فالقضية من جذورها هى: عدم الفهم الكامل لدور الوالد.. فالمسألة مقتصرة عند بعض أولياء الأمور على:
- توفير المادة.
- حل المشكلات التى يمر بها الأولاد.
- جعلهم متفوقين دراسيًا.

ويغيب عن بالهم:

- تنمية شخصية الأولاد.
- توجيههم المستمر والتعليق على سلوكهم وتصرفاتهم.
- إعدادهم لمواجهة الحياة بما فيها من قلق وضنك وعداوة.
- تعويدهم على الكفاح والصبر وتحمل المشاق من نعومة أظافرهم.

ولا أنسى أخى ورفيق عمرى د/ آدم وقد توفى والدنا -رحمه الله- وترك لنا مالاً وأرضًا، وكنا نركب القطار معًا إلى الصعيد - درجة ثالثة حتى لا نسرف فى المال - ونواجه المزارعين ونتشاجر ونتخاصم معهم، ونعود لأمنا بما حصلناه من المال ونراها حزينة على أننا [كبرنا بدري] ويرد جدى عليها -رحمه الله-: كده أحسن ما يطلعوا خايبين، بكره هاتشوفى يا بنتى هايسبقوا زمانهم بكتير.

ثالثًا: عدم تحديد خطة لمواجهة المرحلة الجديدة، فلا بد من تغيير فى الأمور التالية:

أ- أسلوب الخطاب فهناك كلمات وجمل جديدة لا بد من إدراجها فى الحوار:

- أنت كبرت وبقيت راجل.

- تحب أعاملك طفل زى زمان ولا راجل لراجل.
- اتحمل المسئولية.
- لا بد أن يكون لك دور فى الأسرة: - الدفاع عن أهلك وحمايتهم - قضاء الطلبات - ثيابك وطعامك وحجرتك أنت مسئول عنها.
- لو مت أو سافرت أو غبت عن البيت أنت مكانى.

ب- أسلوب التصرفات:

- يجب أن تعامله كرجل مسئول وليس كطفل.
- تثبت لنفسك حق: الاعتراض على تصرفاته - التوجيه والإرشاد.
- اتركه يبدى رأيه فيما يخص شئونه وشئون المنزل، وأنصت له وردد على سمعه: مصلحة البيت أهم ومقدمة، لا بد من التضحية، لا بد من مراعاة حرمة البيت.

ج- لا بد من تعويده على التحمل التدريجى للمسئولية، وأن يقوم بأعمال كاملة ثم تقييمها.

- التقديم للمدرسة الجديدة.
- دفع اشتراكات النور – الكهرباء – النادي..إلخ
- التنسيق مع إخوته فى مواعيد الزيارات العائلية.
- الهدايا المقدمة فى المناسبات.
- ترتيب المصيف أو النزهة.
- التدريس لإخوته الأصغر منه ورعايتهم.

المواجهة والردع حين الجنوح: أيها الوالد المحب، إن المجتمع لن يتعامل مع ولدك حينما يخطئ بنفس درجة الشفقة والغفران وتخيل معى أنه:

- صدم سيارة أخرى.
- صدم مواطنًا بسيارته ودخل المستشفى.
- تم اصطحابه إلى قسم الشرطة بسبب: مشاجرة فى الطريق، مشاجرة مع أصدقائه -على بنات طبعًا-، تعاطى بانجو، شكاوى الجيران من مضايقاته المستمرة.

ستتخذ الإجراءات القانونية -وستغوص فى بحر من الاعتذارات والماليات مع الآخرين -سيضيع وقتك وأعصابك - سيضطرب عملك بشدة.

فكن كما قالت العرب: «بيدى لا بيد عمرو».

وقد ذهبت لمناظرة حالة فى ضاحية من ضواحى القاهرة.. عرف والد الفتى أن ابنه يتعاطى البانجو ويروجه، فقام بعزل المضيَفَة عن المنزل، وركب بابًا حديديًا وقفلاً ووضع ابنه فيها، وكل صباح تدخل والدته والشغالة للنظافة والطعام والجرايد، وفى العصر يخرج للجلوس مع الأسرة وغير ذلك هو فى الحجرة.

واستدعانى للاطمئنان على حالته النفسية والاستشارة لطريق الخلاص طبيًا.

- وسألته: لم تفعل ذلك وهو ولدك؟
- فأجاب: بدل ما الحكومة تعمله، وأنا أرحم به من السجان ومأمور السجن.
- وسألته: وماذا بعد ذلك؟ إلى متى؟
- فأجاب: عندما تطمئن أنت.
- فماذا إذا رجع؟
- سيخرج نهائيا من المنزل ولا يعود.

وقد تتبعت الحالة، والولد ارتدع بشدة، ومضى عام وهو بريء الذمة من التهم الموجهة إليه سابقًا.

وحتى هذه اللحظة لا أدرى هل ما فعله الوالد صواب ١٠٠٪ أم لا، ولكنى أعلم أنه من طرق العلاج الصحيحة، وأفضل أن تكون عن طريق مؤسسات الدولة إن كانت كفئًا وإلا فإنه سيدخل موزع بانجو، ويخرج موزع هيروين عندما يتاح له من خلال السجن أوالمصحة أن يلتقى برفقاء الدرب!!

تجهيز الجرعة المضادة الداخلية للانحراف ألا وهى تقوية الضمير والوازع الدينى:

وقد عشت بنفسى قصة أم جاءت تولول فى المسجد:

الواد بيصلى فى الجامع، وبكره ياخدوه مع المتطرفين بالغلط أو بالصح، وأنا معنديش غيره لو سمحتوا اتركوه، وإما هابلغ (....) يا... يا.... وذكرت ألفاظًا أعف عن ذكرها.

فأجابها أحد الحاضرين عندك ابنك امنعيه، احنا مش هانقفل الجامع، واحنا معندناش متطرفين والدولة عارفة كده.

ودخلت الأم فى حرب معلنة مع ولدها وأصحابه، وكانت تصرخ وتلطم فى الشارع، فقد كان وحيدها على أربع بنات وأبوه متوفى وكان لها ما أرادت. وانضم ولدها لشلة جديدة، سبور ومش متطرفة، وانقلب حاله وهى تسمع وترى وتطنش.

ثم ماذا؟ انقلب السحر على الساحر: سرقها وضربها، وانخرط فى المخدرات والساقطات وتتابعت محاضر الشرطة.

وانهارت الأم وعادت إلى المسجد تبكى أيضا وتولول، خدوه معاكم [يتسجن. متدين أحسن ما يتسجن مخدرات] الواد ضايع ضايع.. أنا غلطانة أنا آسفة.. وبنفس الصمت تمت مواجهتها. وفى مشهد مسرحى هستيرى، ولكنه طبيعى غير متكلف راحت تستنطق الحضور. وتريد من الحجارة والحصير والخشب أن يردوا عليها ولكنها مأمورة بعدم الرد.. فقد تشهد وتسجل، ثم تنطق فى يوم الفصل والشهادة إذا أذن لها الرحمن.

وقد حاول أصدقاؤه المتطرفون!! رده إلى صوابه وكان رده: أنا مش لعبة بينكم وبين أمى تفعلوا بى ما تشاءون...

فقد برز العناد بأقصى صوره، كأنه وحش كاسر يلتهم كل رأى صواب أو كلمة ناضجة.

وسؤال لا أجد إجابته: هل هذا الولد ضحية الإعلام الذى يخلط عمدًا أو عن غير عمد بين التطرف والتدين؟

أم ضحية أمه التى تسمع ما يقال لها وتأخذه كما هو بدون تمحيص أو تدقيق؟

أم ضحية نفسه التى أبت التمسك بما فيه صلاحها وفلاحها فى الدنيا والآخرة، وغاب عنها أو غُيِّبَ موقف سعد بن معاذ أو مصعب بن عمير حينما واجها أهلهما فى قضية حق وباطل؟

أتحدى أن يوجد برنامج لرعاية الجنوح عند المراهقين أن يخلو من تقوية الدوافع الداخلية، والدوافع الداخلية مصدرها الأنا الأعلى فى مواجهة الذات الدنيا، والأنا الأعلى مصدرها قيم المجتمع وأعرافه الصالحة والعقل الرشيد.

فهل الدين مصدر للقيم؟ سؤال إجابته أوضح من أن تلفظ أم أنهم يريدون [دينًا على مزاجهم]

[دينًا يحقق أغراضهم ومصالحهم]؟

[دينًا نابعًا من الغرب بينما الشرق هو مصدر الديانات الثلاث الكبرى فى العالم]؟

وتكفينى كلمة واحدة.. حسبى الله ونعم الوكيل.

* * *

أزمة المراهقة
عرض الحالة الأولى

يقول والد الحالة: منذ أن دخل أولى ثانوى أصبح عدوانيًا متسلطًا عنيدًا ضد كل أهل المنزل، لا يتكلم مع أحد يأكل منفردًا، دائم النقد بعد أن كان اجتماعيًا وودودًا، لا يغير ثيابه ولا يستحم، دائمًا التليفون مشغول بسببه، أصبح يرد على كل كلمة، تشاجرت معه، دخل حجرته، ووضع الدولاب خلف الباب، ولا يسمح لأحد بالدخول لغرفته، توسط عمه وأخواله، يهدأ قليلاً ثم يعود لنفس سلوكه، لا أراه يصلى، أمام التليفزيون باستمرار، كأننا فى واد وهو فى واد آخر علمًا بأن والدته موظفة كبيرة، وأنا صاحب شركة خاصة وأعود للبيت يوميًا متأخرًا.. ماذا أفعل؟

الرد: الأخ السائل: من خلال رسالتك يبدو أن البيت تحول إلى معركة، ولدك فيها فى جانب وأنت فى جانب آخر، وكلا الطرفين مصرٌ على موقفه، والأمور تسير إلى أعقد، ولا بد من نزع الفتيل أولاً ثم التفاهم بعد ذلك حتى لا تنتكس الحالة واهدأ قليلاً واسمعنى يرحمك الله:

يمر جميع المراهقين فى الفترة بين الثانية عشرة والثامنة عشرة بأزمة تسمى أزمة المراهقة أو أزمة البحث عن هوية.

تبدأ بشعور الطفل أنه لم يعد طفلاً، لقد ازداد طوله وعرضه وخشن صوته، وظهر شاربه ولحيته، وانتابته مشاعر وأحاسيس جديدة، وتغيرت طريقته فى التفكير والتعامل مع الأمور.

ويبدأ فى البحث عن هويته.. من أنا؟ وبدأ فى محاولة إثبات ذاته النامية والاستقلال نفسيًا عن أهله، ويجد فى الأغراب أو الآخرين أو الشلة تنفيسًا عما بداخله.

ووسط هذا الانفجار فى المشاعر والسلوك يسعى لتحقيق أمرين واضحين:

إثبات ذاته ووجوده، وتحدى السلطة والتقاليد والأمور المعتادة، ويبرز التحدى فى أوضح صوره مع الوالد كمصدر تقليدى ومعتاد للسلطة، ويصبح عنيدًا إلى أقصى درجة، كما تفضلت فى الشرح، وكلما ازداد التحدى ازداد عناده ويبدأ بإظهار سلوك مريب وشاذ، ويخرج على كل التقاليد فى الثياب والحوار، ويفرح لكونه مزعجًا، والحمد لله أن الأمر لم يتعدَّ ذلك فى حالة تركه. ويمكن اعتبار ذلك ظاهرة فسيولوجية من ناحية ولدك، فماذا فعلت أنت؟ هذا هو السؤال.

زيادة فى العناد، الضرب، استمرار النظرة إليه على أنه صغير ويجب أن يطيعك، حرمان من أدوات التسلية، التظاهر مع الآخرين ضده، ما هذا؟ ما الذى تفعله؟

وطبعًا تواجدك مدة ساعتين مع الأولاد فى اليوم لا يكفى أبدًا، ولا تتذرع بأنك تفعل ذلك من أجلهم لأن الرد موجود اترك جزءًا من وقتك لهم ومن أجلهم أيضًا، فهم رأس مالك الحقيقى وسيضيعون، ثم ماذا تعنى بتواجد الأم أربع ساعات مع الأولاد فأين الباقي؟

واضح انعدام مساحة التفاهم بينك وبين ولدك، والحل واضح: لابد من سماع وجهة نظر ولدك، ولماذا يفعل ذلك؟ أرجوك اترك له فرصة يعبر عما بداخله مهما كان سخيفًا أو غير لائق.

أرجوك اسمع منه واقترب، فأنا متأكد أنك أكثر من فى الأرض شفقة عليه، اعتبره زبونًا عنيدًا ومشاغبًا عندك فى تجارتك وتصرف معه على هذه الخلفية.

أؤكد لك مرة ثانية، إنه لا حل إلا أن تبدأ أنت فى الحوار، واسمع لطلباته وتحمل ثورته وإعراضه وقلة أدبه، وتنازل عن كبريائك فهو ولدك، والزمان قد تغير ولا تطالبه أن يفعل معك مثلما كنت تفعل مع والدك.

وعندما يبدأ الحوار لابد أن يعقبه نقاط اتفاق واختلاف، وتكون قد نجحت إذا وصلت لهذا المستوى.

والحد الأدنى هو احترام المنزل وتقاليده وعدم مضايقة أهله والاستذكار والصلاة.

وعليك أن تعامله كرجل وصديق لك، وليس كصغير يجب أن يسمع ويطيع، امنحه الثقة فى نفسه بتكليفه بأعمال هو قادر على إنجازها، استمر فى تشجيعه، اتركه يعبر عن رأيه، أعطه الإحساس بأنه شخصية مستقلة وليس تابعًا، فتش فى أصدقائه وراقبهم من بعيد، حاول أن تقربه من الصحبة الصالحة بدون أن يشعر أنك تفرضهم عليه فرضًا، استمع لهمومه وشكواه ولتكن نقطة المفاصلة الدين والأخلاق، واتركه فى غير ذلك. باختصار لا بد أن تحتوى الموقف ويكون التعامل معه كما ذكرت لك حتى لا تدور فى حلقة مفرغة، والله يوفقك ويعينك واستعن عليه بالدعاء له والتصدق وتفريج الكرب عن المكروبين والمسارعة فى الخيرات، فالله تعالى لا يترك من يفعل ذلك ولا يخزيه أبدًا، رجاء المتابعة فنحن معك.

أزمة المراهقة
عرض الحالة الثانية

رسالة تليفونية:

- ألو: الدكتور.

ـ نعم.

- ممكن أفضفض؟

ـ اتفضلى.

- أنا فتاة عمرى ١٧ عامًا، أدرس فى إحدى الكليات النظرية، مشكلتى فى الحياة أننى متمردة على كل شيء بسبب ديكتاتورية أمي، والتى جعلتنى أكره نفسى، كل شيء ترفضه؛ إذا قلت يمينًا فتريد هى اليسار، وإذا رفضت توافق، وإذا وافقت ترفض هى، المهم عندها أن تكدر حياتى، تكرهنى، وأنا أعرف أنها تكرهنى، لدرجة أنها جعلتنى أشك أننى لست ابنتها، حاولت التقرب منها كثيرًا لكنها تبعد عنى خطوات!!

المشكلة يا سيدى هى أنها غير مقتنعة بأننا جيل نريد الحرية، وأن هناك اختلافًا كبيرًا بين حياتى وحياتها، وأننى لا أستطيع أن أعيش حياتها، يا سيدى تتدخل حتى فى اللبس وتفرض علىَّ لبسًا معينًا وأكلاً معينًا ومشيًا معينًا وكلامًا معينًا...

أصبحت لا أعرف ماذا تريد هى منى.. إذا حاولت أن أرضيها تؤكد لى أنه انتصار لها وانكسار لي، وإذا خالفتها تؤكد أننى متمردة ونهايتى قريبة، وأشياء ما أنزل الله بها من سلطان، هل تصدق يا سيدى أن فتاة فى مثل عمرى ما زالت تضرب بالعصا!! ترفض حتى أن تسمعني؛ من أجل ذلك بدأت أعاندها فى كل شيء؛ لأننى أعلم جيدًا أننى سأظل دائمًا على خلاف معها ولن نستمر معًا.

الرد: ولكن يا عزيزتى لقد حولت حياتك إلى جحيم بهذا العناد؟

- وإيه يعنى هى السبب!! لقد بدأت أحـول حياتهـا إلى جحـيم أيضًـا بـأن أجعلها تدخل فى مشاكل مستمرة مـع والـدى وأعمـامى وأخـوالى كـى أبعدها عنى.

ـ ما تفعلينه خطأ كبير فى حق نفسك أولاً؟

- وماذا أفعل هى التى دفعتنى لذلك؟

ـ هل تناسيت أنها أمك؟

- ولماذا تناست هى أننى ابنتها ولى عليها حقوق وواجبات؟

– أين والدك من كل هذا؟

- سلبى جدًا رفع شعار أنت وأمك أنا مالي...

– لماذا لم تحاولى أن تصادقى أمك؟

- لم أحاول لاقتناعى الشديد بأنها سترفض وستزداد المشاكل بيننا..

– حاولى ولن تخسرى شيئا.

- سوف أحاول لكننى متأكدة من الفشل.

– لماذا تقدرين البلاء قبل وقوعه؟

- لأننى أدرى بأمى.

– مشاعر الأمومة سوف تغلب عليها وتأكدى أنه لا توجد أم فى الدنيا تكره ابنتها، اغمرى أمك بالحب سوف تزيد هى حبًا لك.

- سوف أحاول... وشكرًا.

الباب الثاني

إقامة علاقات اجتماعية مع الآخر

الفصل الأول:

التجمع والشلـــة.

الفصل الثانى:

العداونية.

الفصل الثالث:

الإحباط.

الفصل الرابع:

الحيل الدفاعية النفسية للتغلب على صعوبات الحياة .

الفصل الأول

التجمع والشلة

- الشلة ظاهرة اجتماعية طبيعية
- قيم الشلة
- أهمية الشلة
- أين المشكلة؟
- ديناميكية التفاعل داخل الشلة
- جنوح الشلة
- الخصائص الاجتماعية للشلة
- معايير النجاح فى عالم المراهق

الشلة ظاهرة اجتماعية طبيعية: تهيئ المدرسة / النادى / الشارع فرصة للمراهقين فى التلاقى مع أندادهم من أجل التعارف الاجتماعى الذى يسعون إليه فى هذه المرحلة سعيًا حثيثًا.

ومن خلال مجموعة الأقران يتعلم المراهق مهارات اجتماعية أكثر تعقيدًا من التى تعلمها فى الأسرة، والمجموعة أكثر جاذبية بالنسبة له.

فهى فرصة لإثبات ذاته والتعبير عن شخصيته وهويته فى صورة من التنافس والتحدي، على العكس من مركزه الثابت نسبيًا فى الأسرة والموجود بدون تنافس.

قيم الشلة: تضع الشلة مجموعة من المعايير يصعب على الفرد فى تلك المجموعة الانحراف عنها.

وعلى سبيل المثال نجد فى المجموعة المنحرفة: أنا فاقد..أنا بتاع مشاكل..أنا جريء وقلبى ميت.

بينما فى المجموعة المتدينة: أنا ملتزم.. أنا لا أفعل المعاصى.. أنا أساعد الآخرين.

أهمية الشلة: الشلة تمثل فى نفسية المراهق [المرجعية] التى يرجع إليها فى سلوكه وحكمه على الأمور، وطرده من الشلة يجعله: يفقد مركزه / يفقد هويته / لا يدرى أين يذهب، أو لمن ينتمى. إلى هذا الحد تعتبر ظاهرة طبيعية بل وصحيحة، ولا يصح النظر إليها بريبة أو حذر فمن خلالها يستطيع المراهق:

- التنفيس عن مشاعره.
- التعبير عن أفكاره وقيمه.
- إثبات الذات والاستقلالية.
- تؤثر مع الأسرة فى تنمية الشخصية، والثقة بالنفس، وتعطى مساحة للتوحد الشعورى الذى هو أفضل من التمركز حول الذات.

أين المشكلة؟

- المشكلة تبدأ عند وجود ضغوط أو استفزازات فى نفس المراهق أو شلته. فكبح المراهق صعب وعسير واستسلامه للإغراءات سهل ويسير، فيصبح أكثر اندفاعًا وجريًا وراء الإغراءات دون مراعاة التبعات وفى هذه اللحظات ينسى المراهق نفسه، ويستسلم لكيان الشلة ويسلم ويستسلم لتفكير القطيع.

ديناميكية التفاعل داخل الشلة:

التفكير غالبًا ما يتم بطريقة القطيع.. أحدهم قوى الشخصية، يشرح الأمور المبهمة والغامضة يقوم بتحليل انفعالاتهم، يختاره أقرانه كقائد لهم ويتبعونه دون تفكير أو تردد، وتتقوى فى أنفسهم هذه الطريقة لأسباب منها أنهم:

- يجلسون معًا لفترات طويلة.
- إحساسهم ببعض قوى.
- عندهم قضايا مشتركة: (الآخرون لا يفهموننا - الآخرون مشغولون - الآخرون لا يحسون بنا) ثم يتفقون على: القيام بأفعال معينة / مغامرة.

ويوزعون الأدوار.. وغالبًا ما تكون على نمط العصابات التى يشاهدونها فى الأفلام.

ويتزامن هذا الأمر مع:

- الرغبة فى الاستقلال فى النشاطات الاجتماعية بعيدا عن الرقابة.
- التصاقهم ببعض أكثر، من خلال التعاون المشترك، ومن خلال الأزمات، ومن خلال الإعجاب بالأعمال الجريئة (السرقة فهلوة – ضرب الصغار فتوة – معاكسة البنات جدعنة وشطارة).

كيفية التعامل مع جنوح الشلة (فى حالة ظهور تصرفات خاطئة أو شاذة منهم):

١- فهم الموقف مع فهم نوعية القيادة داخل الشلة وكيفية اتخاذ القرار فيها.

٢- فهم نفسية أفراد الشلة، وأن معظم المراهقين يعتقدون أن الكبار لا يشعرون بهم ولا يفهمونهم.

٣- بناء جسور الثقة والتفاهم والحوار فهم يحتاجون إلى أن يسمعهم أحد مع مراعاة الصبر.

٤- تجنب اللوم والاستخفاف قدر الاستطاعة.

٥- تجنب الظهور بمظهر السلطة.

٦- الإشباع العاطفى: (نحن فخورون بك، لقد أصبحت رجلاً، نريد الاستبصار وتحكم العقل، الجدعنة مش كده، فين البطولة والشهامة فى الحق؟ نريد تقوية الإرادة والعزيمة بحيث إنه إذا اقتنعت بأن شيئًا يضرك أو يضر مستقبلك تتركه من نفسك).

٧- فتح مجالات لشغل وقت الفراغ:

- رياضة مكثفة.

- عمل يدر دخلاً.
- الاندماج فى الأعمال الخيرية النافعة.

٨- الدخول إلى ملعب الشلة.

٩- التعليق والتوضيح لأفكار الزعيم وقيمه وسلوكه دون السخرية.

١٠- الشرح المستمر، بدون ملل، لعواقب ما يفعلونه.

١١- التأكد على مفهوم الاستقلال الفكرى وعدم التبعية للآخرين، سواء تبعيتهم لأسرهم أو للشلة.

١٢- محاولة عمل ميثاق شرف يلتزم به الجميع.

١٣- مشاركة الشلة فى اهتماماتها المباحة أو النافعة كنوع من التجارب (بلياردو – سباق الدراجات – الكوتشينة).

١٤- وقف التصرفات المتجاوزة والتى تضر الآخرين بحزم وبسرعة.

١٥- إشعار أفراد الشلة بأنهم:

- مقبولون اجتماعيًا (فهم أولادنا ونحن نحبهم).
- ممكن أن يعاونوا الآخرين بدلاً من مضايقتهم.
- ممكن أن يثبتوا ذاتهم من خلال عمل اجتماعى نافع ومتميز.

١٦- قد يحتاج الأمر إلى ردع وقد يكون الردع شديدًت خاصة إذا كانت هناك مساءلات قانونية.

والشلة نفسها مطلوب تفهيمها أن هناك حدًا معينًا لا يصح تجاوزه، وأن هناك عقابًا سيطبق عليهم إذا استمروا فى غيهم، وقديمًا قالت العرب: [من أمن العقوبة أساء الأدب].

الخصائص الاجتماعية للشلة

- الجاذبية الاجتماعية.
- العاطفة والحساسية الاجتماعية.

- الحاجة للإنجاز الجماعى.
- معايير النجاح فى عالم المراهقة.

الجاذبية الاجتماعية:

[مع من تفضل الاشتراك فى عمل واحد والقيام بنشاطات مشتركة؟]

هذا هو السؤال الذى يفرض نفسه عند اختيار الشلة، والشبيه ينجذب إلى شبيهه.

وتتوقف الجاذبية على مدى وعى المراهق بذاته ووعيه بمفاهيم الآخرين وقيمهم ودوافعهم ومشاعرهم وتصرفاتهم.

وينحاز الآباء والأمهات إلى اختيار نفس الطبقة الاجتماعية، وهذا وإن كان سيأتى تباعًا ولكن مجرد فرضه على الأبناء قد يدفع إلى رفضه ذلك أو فعل العكس.

العاطفة والحساسية الاجتماعية:

تلعب دورًا مهمًا فى التجاذب الاجتماعى، فالمراهق:

- حساس ميال لسلوك الفرسان والمثالية.
- يحب المشاركة فى النشاطات المختلفة أيًا كانت.
- يحب أن يكون مصدر إعجاب وشهرة.
- يريد المشاركة فى القيم والأهداف.
- يحب مساعدة الآخرين.
- يحب الإخلاص والوفاء والأمانة.

وتشكل العوامل السابقة مجتمعة ما يسمى بالعاطفة الاجتماعية، وهو أمر لو أحسن استغلاله لأتى بالخير الكثير، فهم يقدرون وبجدارة على:

- تنظيف الحى والمنطقة المحيطة بدون أجر.
- جمع التبرعات للمحتاجين.
- توصيل الأدوية للمرضى.

- توزيع الهدايا والصحف والمنشورات.

ويفرحون بمدح الآخرين لهم جدًا ويزيدهم نشاطًا ومضيًا.

الحاجة إلى الإنجاز الجماعي:

أو العمل من خلال تجمع؛ والذى يسد فاقة حاجته للانتماء، والتى تمثل نداء فطريًا داخل كل إنسان، ووصل الأمر إلى أن علماء الاجتماع أفادوا بأن الإنسان حيوان اجتماعى.

معايير النجاح فى عالم المراهقة: متغيرة حسب الأوضاع المحيطة بهم وحسب أمزجتهم، وإن كان التحصيل العلمى فى عالم الراشدين ذا مكانة فإنه لا يمثل فى حسهم الأهمية ذاتها، ويكاد يكون اجتماعهم على أن الناجح

هو الأكثر ذكاء.

الأكثر شهرة أو شعبية

الأكثر أناقة أو ابتذالاً

الأكثر استمتاعًا بوقته

ومن المهن [لاعب كرة – المغنى – الرياضى البارز – الفنان].

الفصل الثانى

العـدوانيـــــــــــة

- تعريف الظاهرة
- تفسيرها من وجهة نظر علم النفس
- العوامل الخارجية المسببة للعدوان:

أولاً: العوامل الاجتماعية [العدوان لا يقع من فراغ]

ثانيًا: العوامل البيئية المسببة للعدوان

ثالثًا: العوامل المرتبطة بالمكان (الموقفية)

- تفسير د/ عزت الطويل
- تفسير د/ مصطفى حجازى وعبد الرحمن الكواكبى
- الوسائل المقترحة للتعامل مع العدوان
- العنف فى المجتمعات الغربية

العدوانية ظاهرة مرتبطة بالشلة الفاسدة.

تعريف الظاهرة:

تعددت التعريفات التى تصف الظاهرة، ولكن يمكن جمعها فى تعريف واحد.

أى صورة من السلوك يكون المقصود فيها إيقاع أذى أو إصابة لآخر، وقد يصاحبها انفعالات شخصية، مثل الغضب، وقد يصاحبها دوافع داخلية مثل الأخذ بالثأر، وقد يصاحبها توجهات عنصرية، مع الملاحظ أن السلوك قد يكون غير موجه لآدميين مثل تدمير المنشآت أو تخريب الممتلكات.

وقد جمعنا فى هذه الجملة التعريف الأصلى مع الاعتراضات الوجيهة المثارة حوله.

تفسير الظاهرة من وجهة نظر علم النفس:

هناك أربعة اتجاهات لتفسير الظاهرة:

الأول: يرى أنها غريزة موروثة، أو دوافع فطرية تولد بها وتتحرك استجابة لندائها، تمامًا مثل الطعام والشراب والجماع، وأشهر من تحدث فى ذلك فرويد وكونراد لورنز.

وفرويد كان متشائمًا حين ذهب إلى أن الإنسان إذا لم يعتدِ على الآخرين فإنه سيلوم نفسه، وأن التعبير عن العدوانية يقترن بمشاعر نفسية وثيقة الصلة به مثل الغضب، وكان يرى صعوبة فى السيطرة على العدوان أو منعه.

أما **لورنز** فقد نسب العدوانية إلى غريزة القتال التى يشترك فيها الإنسان والحيوان، وكان أقل تشاؤمًا حين ذهب إلى أنه يمكن السيطرة عليها أو إقلالها عن طريق المشاركة فى نشاطات إنسانية غير مؤذية، ولكنها عنيفة تقل معها حدة العدوانية وشدتها، بل ذهب إلى أنه يمكن معاكستها باستصحاب المشاعر المضادة لها كالحب والصداقة والمشاركة الوجدانية.

الثانى: أنها موروثة ولكنها مختبئة فى النفس يجرها إلى الخارج عوامل من البيئة مثل الإحباط، امتهان الكرامة، العدوان على الجسد. ومثل تلك العوامل تؤكد على ظهور السلوك العدواني، وخرجت المقولة الشهيرة: (الإحباط يؤدى إلى العدوان، وبخاصة تجاه مصدر الإحباط).

الثالث: أنها سلوك متعلم تعززه البيئة غرسًا فى نفس الإنسان وتعضده وتقويه، ولكن أصله كسبى وليس طبيعيًا، وطرق التعلم تختلف من بيئة لأخرى، ومن شخص لآخر (الأفلام، القصص، الأحداث).

وكذلك طرق التعضيد مثل:

- مكافأة المعتدى أو عدم عقوبته.
- ميداليات الشرف للجنود فى الحرب.
- المكافآت للاعب الأكثر عدوانية فى الألعاب العنيفة.

والحل عند هؤلاء فى جملة واحدة: ضبط البيئة، وسنعود للتفصيل فى ذكر البيئة وأثرها بعد سرد الاتجاه الرابع.

الرابـع: تفاعل بيولوجي، وبمعنى أقرب: خلل عضوى فى الأجهزة الداخليـة للجسم عند الشخص العدواني، وتحديد المنطقة المصابة من الجسم تبعًا للحالات محل البحث:

١- عطـب فـى منـاطق معينـة فـى الـدماغ وتكـون مصـحوبة بنوبـات صـرع ويحدث معها تقلبات مزاجية حادة من البكاء للضحك للحزن، وتحديـد المنطقـة يقـع فى محيط الجسم الصنوبرى.

ودراسات أخرى أثبتت ظهور العدوانيـة فـى بعـض حـالات خبطـات الـدماغ، والإصابة عند الولادة، والتهاب الدماغ، وأورام المخ عامة.

٢- هرمون الذكورة ومدى ارتباط العدوانية بعلو منسـوبه فـى الجسـم؛ اعتمـادًا على أن حقن الحيوانات به يسبب مزيدًا من العدوانية، والإخصاء عند ذكورها يقلـل منها، ومدى انطباق ذلك على الإنسان من عدمه محل شك، ومدى تعميمه على كـل البشر محل شك آخر. وتبقى الحالات الخالية من تلك الإصابات والتى لا يوجـد بهـا أمراض نفسية أو عقلية وتمثل نسبة لا يستهان بها من العدوانيين كتحدٍّ سـافر لـذلك الاتجاه، ولا يوجد لها تفسير واضح.

٣- فى دراسة على القتلة فى بعض السجون وجد أن ٧٪ منهم مصابون بزيـادة فى الجين المحدد للذكورة بحيث الطبقة الكودية له xyy بدلا من الطبيعية xy.

وتبقى أيضًا نسبة الـ ٩٣٪ غير المصابة بدون تفسير.

ونقول: إن كل ما ذكر من قبل له شواهد من العقل والتجربة والخبرة، فقد تجتمع أو تنفرد فى شخص واحد أو أشخاص، ولكن تبقى المسـاحة تحتـاج إلى جهـد أكثـر وعقل أوسع حتى نصل إلى علاج ناجح ورادع للظاهرة وذلك الأمر ما زال بعيدًا.

العوامل الخارجية المسببة للعدوان:

- عوامل اجتماعية (تحدث كظاهرة اجتماعية فى المجتمع).

- عوامل بيئية (تحدث نتيجة تلوث: بيئى، هوائى، صوتى، حرارى، نتيجة للازدحام).
- عوامل نتيجة التعرض لمثيرات عدوانية مؤقتة (موقفية).

أولاً: العوامل الاجتماعية: [العدوان لا يقع من فراغ]:

هذه حقيقة عكس ما تخبرنا المجلات والجرائد فحتمًا ستجد شيئًا ما فى البيئة استفز الشخص فأصبح عدوانيًا. **وأشهر هذه العوامل:**

١- **الإحباط:** وقد أفردنا له بحثًا خاصًا فى الكتاب نظرًا لأهميته وشيوعه فى كل المجتمعات الفقيرة والغنية والمتحضرة والمتخلفة، ونود أن نشير إلى أن نتيجة الإحباط ليست فقط العدوان السلوكى بل هناك أيضا تبعات أخرى مثل: الأفكار العدوانية، الألفاظ العدوانية، اليأس والقنوط.

٢- **الإهمال والرفض من الآخرين:** يدفع الشخص دفعًا مباشرًا للعدوان.

٣- **الاستفزاز المباشر من الآخرين لفظيًا أو جسديًا:** وإذا أردت أن تعرف هذا قف فى إشارة مرور أو فى سوق من الأسواق، وستسمع ما يستفزك للعدوان على الآخرين الذين لا تعرفهم، بل فقط لأنك سمعت منهم ألفاظًا نابية أو خارجة أو جارحة.

٤- **الانعزالية وعدم التفاعل الاجتماعى مع الآخرين:** حيث تؤدى إلى ظهور وجهات نظر خاصة داخل الشخص قد تتزامن مع كراهية المجتمع وتدفعه للعدوان.

٥- **التعرف أو المشاهدة لسلوك عدوانى أو نماذج عدوانية:**

سواء فى الطريق أو بمشاهدة مشاجرة حقيقية أو مشاهدة فيلم يحتوى على سلوك عدواني، فهذا يؤدى مباشرة إلى:

- اكتساب خبرات عدوانية جديدة أو التأكيد على الخبرات القديمة.
- سقوط هيبة الفعل فى نفس المشاهد وتشجيعه على إتيان الفعل؛ فقد فعله آخرون.
- فقدان منبهات منع الفعل قوتها (كالمعاناة الصحية وآلامها، كعذاب الضمير من الفعل، فسيضيع أثرها مع استمرار المشاهدة أو الممارسة).
- التقمص.

وهذه النقاط حقائق ثابتة فى علم النفس نهديها إلى ضمير الإعلام العالمى والمحلى المصمم على إدراج أفلام العنف كمادة إعلامية شيقة للجمهور.

ثانيا: العوامل البيئية: يتأثر السلوك غالبا بالبيئة الداخلية، كحالة الجسم الفسيولوجية والمزاجية، ومقدار أداء الأعمال والنجاح، فيها وأيضا بالبيئة الخارجية. وقد أجريت دراسة شيقة فى هذا الصدد نذكر منها:

- تلوث الهواء (دخان المصانع، دخان السجائر) حيث ثبت أنها تزيد من التوتر الداخلى وبالتالى تزيد العدوانية.
- الضوضاء: حيث تزيد من العدوانية بين الأشخاص وبعضهم فى منطقة التلوث.
- الازدحام: والرابطة بينهما غير مؤكدة، حيث إن الازدحام أحيانًا يزيد من العدوانية (توتر الأعصاب، الضيق، عسر الحركة).

وأحيانا يكون مانعًا حيث إن الآخرين قد يمنعون العدوانى من الأداء أو التمادى فى العدوانية.

- ارتفاع الحرارة أو انخفاضها: وأيضا فى هذا الصدد لا توجد علاقة مطردة أو ذات دلالة إحصائية.

ثالثا: العوامل المرتبطة بالمكان (الموقفية):

*** الاستفزاز الفسيولوجى العالي:**

الدخول فى تنافس حاد -الألعاب الرياضية العنيفة جدًا - مشاهدة أفلام عنف شديدة.

*** الاستفزاز الجنسى:** والعلاقة بين العدوان والجنس ثابتة فى كثير من الأبحاث الطبية النفسية، وهى تتوقف على نوع المثير، ومسرح الأحداث، والخبرات السابقة وثابت قانونيًا ونفسيًا أن الاغتصاب الجنسى هو نوع من العدوانية تستحق العقاب.

*** إحداث الألم:** حيث ثبت أن إحداث الألم عند حالات التعذيب فى المعتقلات الجنائية والسياسية يؤدى حتمًا لا محالة إلى وجود نزعات عدوانية عند من تعرض لذلك (الرغبة فى الانتقام)، وثابت ذلك أيضًا فى الحيوانات.

تفسير العنف من وجهة نظر د/ عزت الطويل - أستاذ علم النفس

مفهوم العنف فى الثقافة الشرقية

نقصد بالثقافة: وعاء يضم مجموعة المعارف والعقائد الدينية والفنون والأخلاق والقوانين والأعراف والعادات والتقاليد فى أى مجتمع من المجتمعات، وقد يرى البعض أن الثقافة شيء مكتسب، كما يرى آخرون أنها شيء موروث، ونحن نرى أن الثقافة أشبه بالكائن الحى ينمو لينظم حياة أفراد الجماعة، وهى بذلك منظومة ديناميكية تتفاعل وتتواصل لتكوين آفاق جديدة من الدوافع التى تقوم الثقافة بإشباعها بهدف الحفاظ على نفسها.

ومنذ ثلاثين عامًا أو يزيد تسلل العنف إلى ثقافتنا الشرقية فى شكل صراع مستمر بين الدين الإسلامى والفلسفة الماركسية، ومن ثم تحولت كل من ألبانيا وبنجلاديش وزنجبار وأفغانستان واليمن الجنوبى والصومال إلى اليسار وفلسفته الماركسية بدلاً من الدين الإسلامى، وأخذت الأقليات الإسلامية تعانى من التفرقة العنصرية فى كل من قبرص والفلبين وبورما والصين وأثيوبيا وتنزانيا، وقد أثرت هذه القضايا على المثقفين الذين تقبلوا الأمر الواقع وأذعنوا له، وأخذت الآراء الخارجية المستوردة تؤثر فى حياتهم حتى أخذت القومية تغزو عقولهم، الأمر الذى قلل من شعورهم الدينى، وحتى أن المصدر المالى الدينى الوحيد (الوقف) أصبح خاضعًا للسلطة الحاكمة، الأمر الذى أضعف المسلمين (أحمد ظاهر: ١٩٨٨ – ٣٠٣) ومن ثم كان رد الفعل عنف الحياة.

هذا ومن المعلوم أن النظام الاقتصادى فى أى مجتمع من المجتمعات الإنسانية، يشكل عصب الحياة، سياسيًا واجتماعيًا ودينيًا، فالاقتصاد القومى فى معظم بلدان الشرق الأوسط اقتصاد هزيل منذ أن أخذت الاشتراكية تشق طريقها نحو التطبيق فى مثل هذه الدول، إن معظم أفراد هذه المجتمعات لا تتحمس أو تهتم بما يسمى بالاشتراكية؛ سواء كانت اشتراكية بعثية أو اشتراكية ناصرية، فهم يرون أن الماركسية وسياسة الباب المفتوح قد جلبت شرورًا كثيرة ووبالاً وخرابًا كبيرًا، كما يؤكدون على

أن السياسات الاقتصادية فى العالم العربى اليوم لا تشجع على الإنتاج، ولكنها تشجع على الاستهلاك الذى ينشط على حساب تدهور القيم الدينية، ففى مصر مثلاً تعددت مظاهر وصور العنف فى الحقبة الزمنية الواقعة بين الانغلاق الاكتئابى والانفتاح الهستيري، وهنا تخبط الإنسان المصرى بين كآبة الانغلاق الاقتصادى الاجتماعى من ناحية، وبين هوس الانفتاح الغوغائى من ناحية أخرى.

وقد أفرز الأخير أنماطًا سلوكية انحرافية فى المجتمع المصرى منها: الاتجار فى العملة الصعبة؛ من دولار وإسترلينى ودينار وريال... وإنشاء شركات توظيف أموال تعمل تحت ستار الدين، والانبهار بالفن المشبوه، وتمجيد الغش والخداع والعدوان، والتطاول على بعض المسئولين والاستخفاف بالقيم الدينية والأعراف الاجتماعية، وانتشار ظاهرة اغتصاب الإناث، وظهور بدعة قتل الزوجات لأزواجهن، والولع بأفلام الفيديو الآثمة، وما تقدمه أجهزة الإعلام الأخرى من أفلام ماجنة، وتفشى ظاهرة البطالة بين الشباب ووقوع الشباب ضحية لإدمان المخدرات بكل أنواعها وأشكالها، ومسلسلات تخدش الحياء وأغانٍ هابطة ساقطة، وعزوف الشباب عن الزواج لسوء الحالة الاقتصادية وتدنى المرتبات واستحداث نظم الزواج العرفى، وزيادة أوكار وبيوت الدعارة والقمار، وكثرة الدجالين والمشعوذين وأدعياء العلاج بالطب الروحانى، وبث الفتنة الطائفية بين عنصرى الأمة من مسلمين وغير مسلمين، والإضرار بالمال العام فى صورة سرقة البنوك وتحويل الأموال إلى الخارج واقتراض الملايين من الدولارات والهروب إلى خارج مصر، والخلل المستمر فى إدارة شركات ومرافق ومؤسسات القطاع العام وطغيان عفن البيروقراطية المكتبية على كل شئون حياتنا الإدارية، وكثرة القوانين يوما بعد يوم وتباينها ما بين قوانين وفرمانات عثمانية بالية وقوانين حديثة لجميع المقاسات، وضياع بعض الحقوق نتيجة العدالة البطيئة.

وهكذا يدور الإنسان المصرى فى فلك ثقافة شرقية تبعث على الأسى والأسف والإحباط frustration الذى يؤدى بدوره إلى العدوان حسب المقولة العلمية فى علم النفس القائلة (الإحباط يولد العدوان frustration Generates Aggression) والعدوان بالتالى ما هو إلا لب (العنف).

تفسير د/ مصطفى حجازى وعبد الرحمن الكواكبي:

يقول الدكتور/ مصطفى حجازى فى دراسته (التخلف الاجتماعى وسيكولوجية الإنسان المتهور) وعبد الرحمن الكواكبى فى كتابة (طبائع الاستبداد) إن العنف هو آفة نمطين من المجتمعات:

مجتمع بلغ أقصى ما يمكن من الترف والرفاهية فتحول إلى عبادة اللذة، وانهارت لديه قيم اجتماعية وأخلاقية كثيرة، والعنف الذى يشيع فى هذا النمط هو الوجه الآخر للحرية المفلوتة المبالغ فيها.

ومجتمع متخلف مع أهمية أن نفهم التخلف بالمعنى الحضارى الذى يجعل منه تخلفًا فى:

- منهج التفكير.
- الإرادة الوطنية.
- ندرة الإنتاج ونهم الاستهلاك.
- شيوع الأمية.

والعنف الذى يشيع فى مثل هذا النمط من المجتمعات هو الوجه الآخر للعنف السابق فى الطبقات الراقية، وهذا إذا نظرنا إلى العنف من الناحية الاجتماعية البحتة.

الوسائل المقترحة من وجهة نظر الأطباء النفسيين لمنع العدوان أو السيطرة عليه: يتضح مما سبق أن المصادر متعددة ووسائل الحدوث أيضا مختلفة، لذا فإن من الأفضل دراسة كل حالة بمفردها واستخدام أساليب مجتمعة أو منفردة منها.

* **الردع أو العقاب:** وقد اختلفت وجهات النظر فى نوعية وطريقة العقاب ومدى فاعلية الردع فى استمرار العدوانية أو إيقافها، ومدى ظهور أعراض جانبية شديدة من عدمه، وعلى أية حال فهو وسيلة من الوسائل المؤثرة، وسنتحدث فى نهاية الفصل عن القتل كوسيلة للردع.

*** التعامل مع العدوان:** وقد عبر أرسطو قديمًا عن تطهير الانفعالات الخاطئة بالفن، وجاء مَن بعده ليضيفوا أى طريقة غير مؤذية للشخص أو الآخرين، تمكنه من التنفيس عن المشاعر المحبطة، كالرياضة والحوار والمشاركات الاجتماعية.

*** تعليم مهارات اجتماعية:** حيث نلاحظ أن الأشخاص ذوى الميول العدوانية عادة ما يكونون مصابين بخلل فى الاتصال مع الآخرين عاطفيًا مثل:

- التعبير عن الذات بطريقة لائقة.
- الإحساس بانفعالات الآخرين.
- إحداث علاقات اجتماعية واسعة.

وقد أثبتت الأبحاث التى أجريت فى هذا الصدد نتائج مشجعة، عندما ركزت على تفعيل النقاط السابقة عند الأشخاص ذوى الميول العدوانية.

*** إحداث انفعالات مضادة للعدوانية:** فقلما يجتمع داخل الشخص الواحد شعوران متضادان فى لحظة واحدة. وأخذت هذه الفكرة لمعالجة العدوان وذلك بإحداث شعور داخلى مضاد للعدوان ويكون لها أثر فى تقليله مثل:

*** التعاطف أو الشفقة:** فقد نلاحظ أنه عندما تظهر على الضحية الألم أو تطلب الاستعطاف أو الرحمة فقد تنتقل إلى المعتدي(الدعابة، الشعور بالندم، الانشغال الذهنى بشيء آخر غير العدوان).

عقوبة القتل كرادع لحسم أقصى صورة للعنف وهى قتل الآخر:

زيادة العدوانية إلى درجة قتل الآخر ظاهرة عالمية بدأت مع ابنى آدم حين قال أحدهما للآخر: لأقتلنك، ثم قتله.. ثم امتدت عبر القرون.

وقد نراها فى الصغار وفى الكبار أيضًا، ولكن الصورة فى الكبار يبرز فيها عنصر الإرادة والوعى بالفعل وعواقبه بصورة تجعل المساءلة أكثر والعقاب أكبر.

وهى محل أبحاث بين علماء النفس والاجتماع والقانون، وإن اختلفت التفسيرات

والشروح، فهناك حقيقة واحدة اتفق عليها الجميع.. أن الظاهرة موجودة ولها آثار خطيرة، وتحتاج للحزم فى مواجهتها.

موقف أمريكا وروسيا والصين والدول الإسلامية:

وجميع القوانين تحيط بالظاهرة وتحاول منعها بدرجات مختلفة حسب كل بيئة وثقافتها، ونظرتها للإنسان والحياة، وقيمة كل منهما، فنرى الولايات المتحدة والصين وروسيا والدول الإسلامية تبيح قتل المعتدى على النفس مع سبق الإصرار والترصد والذى أدى لقتل الآخر حسمًا للفوضى، وحفظًا لحقوق المقتول وأهله ومجتمعه ومنعًا للعدوى وهى محقة لذلك.

موقف المجموعة الأوربية:

ترى المجموعة الأوروبية أن القتل لا يردع القاتل فى شيء وأن حرمان القاتل من الحرية مدى الحياة يكون رادعًا.

ونسألهم بمنطق العقل الذى يتحاكمون إليه: أليس حرمان الحرية مدى الحياة قتلاً من نوع آخر؟ وماذا تجدى الحياة مع الحبس؟ وما قيمتها للشخص نفسه أو لمجتمعه؟ وماذا سنفعل مع أولياء الدم والغل والغضب معهم مدى الحياة؟ وكيف سنوقف عدوى انتشار الفعل، وقد ازدادت الجرائم على نفس الخط مع فتح باب إمكانية تخفيف العقوبة أو الهروب من السجن الذى هو أمل كل سجين، ثم إن بعض دول أوروبا أجازت قتل المريض رحمة به وشفقة عليه من الألم والمرض رغم أن الأبحاث الطبية تتقدم بسرعة هائلة، وأصبح الكثير من الأمراض يمكن شفاؤها أو التخفيف من آلامها، أفلا تجيزون قتل القاتل شفقة بأولياء المقتول الذين لا يرجى بُرء آلامهم النفسية والتى تؤرقهم مدى حياتهم ولا يرجى شفاؤها.

ثم إنهم يجيزونه فى الحرب باسم الدول ومنطقها ورشدها، فالدولة هى المجيز والمانع لنفس الفعل والأفراد هم المقتولون فى الحالتين.

وكان الأولى بهم أن يقولوا: الأصل هو المنع، والدماء لها حرمة مؤكدة، أو الدولة

فقط هى التى تستثنى من هذا الأصل فى حالة الحروب أو السلام وفقا لشروط خاصة ومحددة وكل حالة لها حكمها، ويمتنع على الأفراد فعل ذلك من تلقاء أنفسهم.

ومكتوب فى التوراة أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص وفى القرآن... ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾. وعلى أية حال فطريقة العلاج الأوروبية لم تقلل من القتل بل زاد، ولم تحد من العنف بل زاد.

العنف فى المجتمعات الغربية:

الحديث ذو شجون، فنحن أمام مجتمعات قطعت شوطًا بعيدًا فى التقدم العلمى والتكنولوجى، وما زالت عاجزة عن حل أزماتها الاجتماعية رغم الحلول الكثيرة المقدمة من مراكز الأبحاث، وبدون انحياز وبموضوعية نستطيع القول بأن المجتمعات الشرقية الأقل حظًا من التقدم العلمى التكنولوجى ولكنها أكثر تماسكًا؛ مشاكلها أقل حدة وعنفًا من نظيراتها الغربية، فهل هذه هى ضريبة الحضارة كما يدعون؟

أم أن هناك خللاً ما فى طريقة علاج المشكلات الاجتماعية والنفسية؟

والحقيقة هى أن نظرة الحضارة الغربية للإنسان مختلفة ويحكمها تغليب المصلحة المادية والمنفعة على القيم والأخلاق وهذا لا يأتى إلا على الإنسان.

- ☜ ونصل إلى المأساة فى القرن ٢١:
- ☜ الإنسان فى الغرب تعيس نفسيًا
- ☜ والإنسان فى الشرق تعيس ماديًا وتقنيًا.
- ☜ كل يعانى ولكن بصورة مختلفة.
- ☜ الأول يصل إلى الانتحار والإدمان، والثانى يصل إلى الإحباط والاكتئاب.

وأصبحت قضية مصير الجيل قضية حية فى الغرب، فهل تصبح قضية حية فى الشرق؟

إنهم يطرحونها من منطلق عقلى مفاده أن [توجهات الجيل السابق هى التى أضرت بالجيل اللاحق].

وظهرت المواجهة المضادة والتى تنادى بـ :

- مواجهة انتشار مشاهد العنف والجنس فى التليفزيون.
- تفادى الجلوس الطويل أمام التليفزيون حيث إن ذلك يؤدى إلى أن الجيل الجديد لا يقرأ كتبًا أو قصصًا، بل يجد صعوبة فى القراءة والكتابة.

واقع إحصائى من ألمانيا: فى إحصائية ألمانية عام ١٩٩٤:

- ١٧,٠٠٠ حالة اعتداء جنسى على الأطفال.
- ١,٠٠٠ حالة ضرب مبرح أدى إلى القتل للأطفال.
- ٣٠٠,٠٠٠ حالة ضرب مبرح غير مؤد إلى القتل للأطفال.
- تناقص الزواج بنسبة ٢٥٪ فى جيل واحد.
- ١٢,٠٠٠,٠٠٠ شخص يعيشون على انفراد، ٤٣٪ لم يتزوجوا، ٣٤٪ من أصل ٤٠٤ آلاف حالة زواج انتهت إلى الطلاق.
- ٥ ملايين امرأة يتعرضن للضرب من جانب أزواجهن أو عشاقهن بنسبة ١ : ٧.
- ٥٠ مشهدًا يوميًا لتصوير جريمة قتل.

والنتيجة المباشرة: انطباع عن أن ممارسة العنف أمر اعتيادى فى مواجهة المشكلات اليومية.

- انتشار ظاهرة ارتكاب العنف المسلح من الناشئة بين ١٤-١٨ سنة.

آراء بعض المفكرين الفرنسيين:

ويذهب العالم الفرنسى روناى سالينجار إلى أن العديد من عمليات اغتصاب الأحداث تتم بعد مشاهدة أفلام الجنس الخليعة. وترى روايال عضو المعهد الوطنى للبحوث العلمية فى فرنسا أن العنف بجرعة قوية يقود المشاهد إلى التنفيذ.

إدمان الكمبيوتر: مشاهد العنف فى ألعاب الكمبيوتر وهى كثيرة جدًا، ويصل

تعلق المراهق بها بين ١٢-١٥ سنة إلى درجة الإدمان. وقد حدد علماء النفس خمس نقاط كمؤشر خطير:

- طول الفترة التى يقضيها مع الكمبيوتر.
- فقدان القدرة والرغبة فى اللعب مع أقرانه.
- إهمال الواجبات المنزلية.
- ظهور بوادر عنف متزايد.

عند اكتمال هذه النقاط لا بد من التدخل لإنقاذ المراهق من المرض الجديد.. إدمان الكمبيوتر.

***

الفصل الثالث

الإحباط (حكاية كل يوم)

- **التعريف**
- **ردود الفعل المتوقعة عند حدوث الإحباط:**
  - **١- العدوان.**
  - **٢- التغابى واللامبالاة والعزلة.**
  - **٣- التوهم والخيال.**
  - **٤- فقدان الحكمة (تكرار بلا معنى).**
  - **٥- النكوص.**
  - **٦- القلق.**
  - **٧- المبالغة فى الضد [مازق التطرف].**

الإحبـــاط Frustration

التعريف: [اصطلاح يصف أمرين]:

١- شعور نفسى بعدم الراحة ينشأ نتيجة عدم تحقيق هدف يسعى الشخص إلى تحقيقه بغض النظر عن الأسباب.

٢- شعور بعدم إشباع دوافع الفرد بسبب معوقات فى طريقها.

ويشيع استخدام الاصطلاح فى وصف معوقات البيئة الخارجية -المحبطات- التى تمنع الفرد من تحقيق أهدافه التى يسعى إليها.

مقومات البيئة أمر واقع: قوانين أو قيود وأعراف يضعها المجتمع لحماية الآخرين حينما تمثل دوافع الفرد عدوانًا عليهم، وبخاصة فيما يخص الجنس والعدوان.

ويؤدى الإحباط مباشرة إلى ظهور الصراع داخل الفرد conflict، حيث تتعارض

رغبتان وتتنازعان داخل الشخص الواحد، كلاهما يريد أن يفرض نفسه.

أ- شهوة تتعارض مع القيم -يريد الاستقلال وهو لا يستغنى عن الآخرين ويكره أشخاصًا ولابد له منهم.

ب- تصرف لا يتناسب مع مستواه الاجتماعى.

فكل دافع له إيجابياته وسلبياته، وكل فرد منا يعيش تحت وهم تحقيق جميع الإيجابيات، والابتعاد عن كل السلبيات، أو حل يرضى جميع الأطراف. ويدور فى حلقة مفرغة ويصل إلى الوضع المتوقف *Anbivalant Attitude*، ويصعب الاختيار بين الأمرين، وتبدأ ردود الفعل النفسية للخروج من المأزق: الصغار يعودون لمص الأصابع وقرض الأظافر. والكبار تظهر عليهم تصرفات غريبة لأنهم محبطون. وتختلف ردود الأفعال المتوقعة عند حدوث:

١- **العدوان** *Agression* وهو أكثرها انتشارًا حيث يزداد: التوتر، الحركات القلقة، والشعور بالغضب المؤدى إلى التدمير والاعتداء على الآخرين.

وقد يكون مباشرًا تجاه مصدر الإحباط والانزعاج *Direct*، وقد يكون غير مباشر *Displaced* [مين عذبك بتخلصه مني؟] كما يقول المثل.

يبحث عن أى شيء يهاجمه ويحطمه عندما يكون مصدر الإحباط أقوى من الشخص المحبط بكثير، ويسمى هذا بالعدوان الإزاحى. ويكون غالبًا تجاه شخص بريء وضعيف يصبح هو الهدف.

- **المدير مضايق الأب** ⟸ **يضرب عياله.**
- **زوجة المدير مضايقة المدير** ⟸ **يبهدل الموظفين.**
- **جوزها مضايقها** ⟸ **تضرب الأولاد.**

ونصل إلى الطامة والدائرة المغلقة، حيث يحتمل البرئ أوزار المذنبين، فيلجأ إلى برئ آخر أضعف منه، وتتحول الحياة إلى مسرح للأمراض النفسية، ويعيش المجتمع فى دائرة لا نهائية من الإحباطات والعدوانية.

٢- التغابى *Apathy* واللامبالاة Indipperence والعزلة Isolatim

يا بخت الهبل – طنش تعيش...

لا ندرى لماذا تختلف ردود الأفعال بالنسبة للامبالاة، فبعض الأفراد يصبح عدوانيًا والآخر يصبح انسحابيًا، والأرجح أنها عملية بيئية تعليمية ينشأ الفرد عليها منذ الصغر، فالطفل المتعود على إظهار نوبات غضب وهو صغير عند شعوره بالإحباط سيفعلها حتمًا وهو كبير.

٣- التوهم والخيال *Fantacy*:

يلجأ إلى حل لإحباطاته مبنى على الخيال أكثر من بنائه على الحقيقة، ويصبح خيالى التفكير: حكاية المهدى.. كلما حدث فشل فى تحقيق القيم وسيطرة الدين على الحياة.. حكاية هرمجدون والمعركة الحاسمة فى تاريخ البشر.

يضع حلاً مثاليًا لمشكلة واقعية صعبة.

٤- فقدان الحكمة- التكرار غير المفيد Stereo type:

مفاوضات السلام: نعمل مفاوضات كى نقتل الوقت وبعدها نصل لنفس نقطة البداية. خارطة الطريق: نعمل خطة لملء الفراغ، لازم يكون فيه خطة، وبعدين تفشل ونتبدى خطة ثانية.

بمعنى آخر يفقد الشخص مرونته والبحث عن حلول عملية مفيدة نتيجة الفشل المتكرر والإحباط، وبغباء يكرر نفس الجهود فى نفس الاتجاه رغم أن تجربته علمته أنه لا قيمة لما يفعل.

لا توجد أبعاد: المتواجد فقط.. استهلاك الوقت والجهود والسمت الغالب.. التكرارية.

٥- النكوص *Reqression*:

حضر إلى العيادة فى حالة فظيعة، لقد كان يمارس اللواط بشدة نتيجة الفراغ الذى يعيشه، والإحساس بمشاركة شخص ما مشاعره، ثم الالتجاء إلى شلة متدينة

نسى معها لواطه، وعاش عيشة الأسوياء خمسة أعوام متتالية، وبدأ يكشف حقيقتهم كانوا يتسمون بالأنانية والبرود والجرى وراء المصالح، ولكن قناع الدين كان يغطى هذا!! عاوده الشعور بالغربة وعدم الأمان، ورجع إلى اللواط قبل أن يتركهم، ويسمى هذا *retro-qrade-behavior* حيث يتصرف تصرفات الماضى التى كان فيها أمان أكثر، ثم قرر مواجهتهم بما هم فيه من التدين المزيف، وتركهم، واستمر على ما هو فيه من اللواط، ويسمى هذا *primativation* حيث يكون بعد انتهاء الإحباط، والتصرفات تكون بمستوى أداء بدائى وأقل نضجًا، ودخل فى الإدمان وحتى يقف على قدميه ويعود لفهم الحياة ببعد آخر... كان الأمر صعبًا للغاية.

وحالة أخرى:

يرجع إلى تصرفات الأطفال.. البكاء، لفت انتباه الآخرين بأى طريقة، لأنه حينما يفعل ذلك يعطف عليه الآخرون.. فليفعل وليشترى الأمان والحب بأى طريقة وبأى سبب.

٦- القلق *Anxiety*:

يفترض دائمًا أن أى وضع يهدد إحساس المرء بالسعادة قابل لإحداث القلق، ومن هنا يدخل الإحباط والصراع كسبب مباشر للقلق، وقد يكون القلق استجابة واقعية لخطر خارجى فى البيئة مصاحب للخوف، وهذا شعور طبيعى مفيد ويسمى *object anxicty*.

أو يكون داخليًا نابعًا من اللاوعي، لا يعرف الإنسان سببه، وغالبا ما يكون تراكميًا وهو ما يعرف بالقلق العصابى أو المرضى *Neuortic anxiety*.

والقلق عامة لا يمكن تحمله لفترة طويلة، وتتجه النفوس بقوة لإزاحته بغض النظر عن العوامل المرسبة أو الظروف المحيطة المسببة له.

وافضل امر هو:

- التعامل مع الحقيقة ومواجهة أسباب القلق.
- محاولة الوصول إلى حل ولو بخسائر، والمواجهة الشجاعة دائمًا تأتى بخير.

☜ والأشخاص العمليون والواقعيون هم أقل الناس تضررًا فى هذا المسلك.

شخصان لهما ملحق فى الجامعة:

أحدهما يقول: ⇐ **التصحيح غلط - الشهادة ليس لها فائدة - التخرج من الكلية مثل عدمه.**

الآخر يقول: ⇐ **أين الخطأ؟ ضعف المذاكرة- عدم وجود كتب - سوء التخطيط والإهمال - ويتجه لإصلاح الموقف - ويتحمل الألم، ويمضى رغم الجراح.**

٧- المبالغة فى الضد *Reaction Formation*:

فيظهر شعورًا عكس ما بداخله:

☜ يكره الشخص جدا ⇐ يظهر الحب الشديد.

☜ يأبى اتباع الآخر ⇐ يطيع كل أوامره.

☜ العدوانية تجاه الشخص ⇐ الحماية الزائدة.

يرفض الشيء لأنه يعادى رغباته ⇐ التطرف والتمسك

الوصول إلى القاع (التطرف): بكل حذافيره *phanatics*

وهنا تبدأ ↓ مصيبة المجتمع:

☜ شخص ينادى بفكرة ما أو مبدأ معين يرفض غيره تمامًا ويراه معاديًا له وإن لم يكن كذلك يعتبر أن: من ليس معى فهو ضدى.

☜ يفرض رغباته بدون داعٍ على الآخرين.

☜ يحارب من يقف فى وجهه ويرميه بكل ما يستطيع أن يرميه.

- يصل إلى العنف *Terrorisim*.
- لا يستمع للآخرين.
- يفشل الجميع فى إقناعه.

وسنتناول القضية فى باب آخر حيث التطرف والتدين كمفهومين منفصلين يراد الربط بينهما.

وأقول لهؤلاء كلمة ناصح شفيق يريد الخروج من الحلقة المفرغة:

إن يعلم الله فى قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم، فالأمل فى الله وبالله يجعل الحياة لها معنى، ويحمل على الصبر الجميل الذى لا شكوى معه، والهجر الجميل الذى لا عتاب فيه.

النظر إلى نعم الله علينا، وعدم التفريط فيها فنحن نعيش فى مجتمع ما زال آمنًا لماذا نفرط فى هذه النعمة، واسألوا أهل الصومال.

ونحن نعيش فى مجتمع متماسك ودولة واحدة، لماذا نريد التفكك والانقسام؟ إن المعبد سينهدم على رأس الجميع، ولن يراعى أحد المظلوم أو البريء أو الضعيف فلنبحث جميعًا عن حل آخر غير الاصطدام.

* * *

الفصل الرابع

الحيل الدفاعية النفسية للتغلب على صعوبات الحياة

- تعريف الصحة النفسية .
- الحيل العقلية واختلاف الآراء فيها .
- الطريقة الأمثل لحل الأزمات .
- أشهر أنواع الحيل :
  - ١- الإنكار.
  - ٢- التحريف.
  - ٣- التقديس البدائى.
  - ٤- الإسقاط.
  - ٥- التفعيل.
  - ٦- الإعاقة.
  - ٧- توهم المرض.
  - ٨- التقمص.
  - ٩- العدوانية السلبية.
  - ١٠- النكوص.
  - ١١- الخيال الفصامى.
  - ١٢- التبرير.
  - ١٣- المبالغة العكسية.
  - ١٤- العقلنة.
  - ١٥- الكبت والردع.
  - ١٦- الحيل النفسية الناضجة ، والمفيدة للمراهق.
- بعض تصرفات المراهقين مع الإشارة إلى الحيلة النفسية التى وراءها .

الحيل الدفاعية النفسية

للتغلب على صعوبات الحياة

تعريف الصحة النفسية: هى قدرة الفرد على إزالة العقبات التى تواجهه بسلوك سوى يتميز بالمرونة التى تكفل له التكيف مع هذه العقبات فى حالة عجزه عن إزالتها نهائيا.

والنتيجة التلقائية لذلك هى الاتزان النفسي، والذى يعتبر المؤشر الجيد للصحة النفسية.

وعندما يعجز الفرد عن إزالة العقبات أو التكيف معها أو مواجهة الحقائق والتعامل معها، فإنه يقع فريسة لواحدة أو أكثر من عدة عمليات نفسية عقلية لا إرادية أو شبه إرادية، تظهر عندما نعانى من الصعاب تهدف أساسًا إلى تفادى الألم النفسى الناتج والذى يظهر فى صورة قلق أو صراع أو غيره.

وتظهر على الشخص فى هذا الموقف تصرفات وسلوك هى انعكاس مباشر للحيل العقلية، وغالبا ما يعتبره الآخرون سلوكًا غير سوي، ويشعر الفرد بعدم الرضا ويزداد التوتر وتزداد الحيل عمقًا وتطرفًا.

الحيل العقلية واختلاف الآراء حولها:

اختلفت وجهات النظر فى الحيل العقلية رغم الاتفاق على وجودها، فالبعض يراها مفيدة، تسمح بالتكيف مع المعاناة والظروف الصعبة مع أقل درجة من الاضطراب، وأنها تسمح بحماية الجوانب الكلية للشخصية حينما نتعرض للخطر الناشئ عن توتر النفس حين تواجه الحياة، فهى ضرورة نفسية ملحة. وبعض العلماء يرى أنها فى عمومها تنكر الواقع وتزيفه، وتصيب الفرد بالعمى النفسى فلا يدرى بالواقع ويصاب بحالة خداع نفسى.

وقد تحدث أصحاب السير إلى الله عن هذه الحقيقة، وجعلوا النفس هى الصديق الخائن أو العدو الكامن داخل الشخص، يمنى ويخدع ويزور؛ وبالتالى يعوق التوافق السوى مع البيئة، وإن كانت تريده بداءة، ولكنها تريده على طريقتها الهشة المؤقتة وغير الحقيقية.

ثم إن التعود على تلك الحيل وإدمانها يدخل بصاحبها -على جميع الأقوال- إلى دائرة الشخصية المضطربة، ويكتشفها الآخرون فيه وهو لا يراها فى نفسه فيبتعدون عنه ويصل إلى العزلة النفسية بعد العمى النفسي، وهو لا يدرى بالواقع، ويتهم الآخرين بظلمه واضطهاده.

والحقيقة دائمًا وسط بين إفراط وتفريط، فالحيل الدفاعية تكون مفيدة مؤقتًا:

- كمخرج من أزمة طارئة غير متحملة عمر – رضى الله عنه –أنكر وفاة رسول الله ﷺ ليقلل الأمر الشديد على نفسه.
- كمخرج غير سوى لأزمة فى اللاشعور، يدفنها الشخص داخله، ولا يترحم عليها، ولا يذكرها، لأنها إذا خرجت طغت وسحقت ودمرت الواقع، نتيجة لأحداث فى الماضى لم تتم معالجتها بطريقة صحية وتكون ضارة إذا أدمنها الشخص.

والأمر الذى يجب أن نلقى الضوء عليه قبل الدخول فى الموضوع:

ماذا نفعل حينما نمر بأزمة؟ الجواب:

هناك أساليب شعورية واقعية رائعة تهدف إلى التوافق وخفض التوتر مثل:

- إزالة العائق.
- تغيير الطريق.
- تغيير الهدف.
- التوفيق والتأجيل.
- الإبدال الشعورى.
- الإعلاء الشعورى.
- التقمص الشعورى.

ومشكلة هذه الأساليب أنها:

١- تتطلب جهدًا وعزمًا لكنه جهد لذيذ وعزم مفيد تحس به النفس بعد انتهاء الموقف. ومشكلتها أيضا أنها تجبر صاحبها على المعاناة المؤقتة الصعبة من إدراك الفشل والإحباط بمعناهما الحقيقى دون التواء أو تعمية.

وهنا تكمن المشكلة، حيث إن بعض الأسوياء قد يظنون أن مواجهة الحياة وصعوبتها بهذه الطريقة أمر فوق الطاقة، ويؤدى إلى زيادة التوتر، أو هم بطبعهم نشأوا على عدم تحمل المتاعب والآلام، وهذا نقص فى نضج الشخصية. فيدفعون أنفسهم من المواجهة الشعورية فتلجأ أنفسهم إلى المواجهة اللاشعورية حيث تكون المأساة.

٢- انخفاض التوتر بعيدًا عن الوعى مع بقائه مزمنًا وكامنًا إلى هذا الحد يشترك فيه جميع الأشخاص.

فمتى نلجأ إلى الطب النفسى وتحليل الحيل ومعرفتها؟

- أولا: فى حالة عدم التوافق مع الآخرين.
- ثانيا: لمساعدة الشخص على معرفة تفهم أسباب السلوك غير السوى فيفهم نفسه أكثر، وينجح فى رؤية أعماق ذاته فيتطلع لتوجيهها والتحكم فيها أكثر.
- ثالثًا: تفهم الشخص أن المشكلة هى التمادى فى استخدام الحيل وليس الاستعمال المرحلى.

وقد أشرنا فى الكتاب الأول إلى بعض الحيل، والآن فلندخل إليها بالتفصيل.

أشهر أنواع الحيل:

١- الإنكار *denil* /التغافل:

إنكار الواقع الخارجي يراه ويسمعه ولكنه يتفاداه لأنه مؤلم جدًا.

- عمر أنكر وفاة النبي ﷺ.
- الرجل يواجَه بانحراف ابنه فيقول: انتو كدابين.
- الزوجة تواجه بخيانة زوجها فتقول: محصلش.

وهو مفيد فقط إذا كان بغرض التأجيل، حتى يستجمع الإنسان أشتات نفسه ويكون أكثر احتمالاً للمصاعب، والموقف مشابه للمثل «كالنعام يدفن رأسه فى الرمال عند الشعور بالخطر».

وهناك إنكار جزئى: كأن ينكر الحاقد أو العدو أو المنافس قدرات الخصم [داخليًا أوداخليًا وخارجيًا] ويهون من قدراته فيضيع ويهلك. وإذا تم الإنكار على المستوى الإرادى يسمى تغافلاً.

٢- التحريف *Distortion* التشويه:

إعادة تشكيل الواقع الخارجى بما يناسب احتياجاته، ويكبِّر ما لا يستحق التكبير، ويصغِّر ما لا يستحق التصغير. وإذا تم على المستوى الإرادى يسمى تشويهًا أو تزييفًا للواقع.

٣- التقديس البدائى [عبادة الأشخاص] *primitive idealijation*:

وحتى لا يُحمل كلامى على غير ما أريده أو يستعمل فى غير موضعه أقول:

مذهب أهل السنة والجماعة والعقل وكل ذى رشد هو أن الله تعالى اسمه القدوس، ومعناه الكامل فى صفاته المنزه عن النقائص، وأن أى كمال يعطى بنهايته وتمامه لله تعالى فقط، وأن أى نقص يجب أن يبعد ولو بأدنى شبهة [بمعنى تنزيه الله

عن النقائص] وهذا لا يعطى إلا لله، ومن أعطاه لغير الله فقد ضل وأخطأ.

والأنبياء عصمتهم مؤكدة ومضمونة فى تبليغ الرسالة الإلهية، وإن حدث خلل ينزل الوحى بتصحيحه فى حياة النبى ﷺ.

ومعنى كلمة بشر أنه يصيب ويخطئ، والناس فى ذلك متفاوتون كما بين السماء والأرض، والقضية تكون فى تعمد الخطأ والاستمرار عليه، أو فعل الخطأ بنية تحدى الخالق.

وليست القضية هى أن نخطئ أو لا نخطئ.

فلو لم نخطئ لاستبدلنا الله تعالى بآخرين يخطئون ويتوبون كما هو نص الحديث.

وقد رأت عيناى وسمعت أذناى التقديس البدائى الذى نتحدث عنه، حيث المبالغة فى التقدير والتنزيه، يتبنى شخص قضية أو موضوعًا أو الإعجاب بشخص ما، يبالغ جدًا فى المحاسن التى فيه بذكر محاسن غير موجودة فيه وتنزيهه عن كل نقص أو خطأ ويعمى عن كل عيوبه. وقد يعطى كل هذا لشخص معين ويرفعه من حيث لا يشعر إلى مرتبة الملائكة والأنبياء.

وكما يقول المثل مراية الحب عميا، والقرد فى عين أمه غزال.. وقد يعطى كل هذا لنفسه فتصل إلى قمة النرجسية والغفلة معًا.

والمردود الطبيعى لمثل هذه الحيلة هو:

- الحرمان من النظرة الموضوعية للأمور.
- الإحباط الشديد عند ظهور الحقيقة [مع الأيام أو المواقف].

والشخص المتلبس بهذه الحيلة يتميز بـ:

- عدم نضج الشخصية بصورة ملحوظة.
- الانفعالات العالية والشديدة.
- السلوك المبنى على العاطفة وليس العاطفة والعقل معًا.
- المبالغة والتهويل.

وما أروع الإمام مالك -رحمه الله- حينما قال: وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب الحجرة الشريفة.

٤- الإسقاط *Projection* :

قالت العرب: رمتنى بدائها وانسلت.

وقال الشافعى:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

فمعنى هذه الحيلة اللاشعورية؛ أن نتحرر من المسئولية والشعور بالذنب، بأن نلقى باللوم على الآخرين وننسب التقصير والخطأ الذى نعرفه من أنفسنا إليهم.

وبهذا تتشوه فكرة الشخص عن نفسه وتوضع غشاوة على بصيرته ويعمى عن عيوبها، بل ويلصقها بالآخرين، بل قد يضغط عليهم حتى يصابوا بالضيق والألم، ولحظتها يستريح وينطبق عليه القول الشائع: لبس غيره عمته [عمامته].

٥- التفعيل *Actinqout*:

هناك رغبات داخلية للشخص غير لائقة أو غير محترمة، وفى الأسوياء يتم تأجيل التعبير عنها أو تعديلها مع إخراجها بشحن انفعالية مخففة عن الشحن الأصلية، ويظهر هذا بوضوح فى المواضيع المتعلقة بالعدوان، الأنانية، اللذة.

أما عند المصابين بالتفعيل فهناك تعبير مباشر عن تلك الرغبات وبنفس الشحنة الانفعالية.. وتقول العامة: [بان على حقيقته]

وعند التعبير يبدو الشخص وكأنه شخص آخر، أو كأنه غول بشرى- شخصًا يغتصب آخر جنسيًا، سفاح يقتل ويمثل بالمقتول.

٦- الإعاقة *Blocking*:

عكس التفعيل حيث يتم عدم التعبير [مباشر/ غير مباشر] مع عدم إخراج الشحن الانفعالية المصاحبة بأى صورة مع توتر شديد يؤدى إلى ما يشبه الشلل النفسى أو الإعاقة.

٧- توهم المرض *Hypo-chondriasis*:

إنه الهروب إلى المرض.. إنه التسول بالمرض.

وصاحب الحالة إما إنه يعانى من نقص شديد فى الحب والحنان ولا يجد وسيلة لجذب عطف الآخرين إلا أنه صاحب مرض، وفعلا يجد ما يفتقده من الحب والحنان حين يمرض ويأتيه الآخرون.

وتتضح الصورة مجسده فى طفل يعانى من إهمال والديه الشديد، أو امرأة ترى من زوجها إعراضًا وصدودًا وتسعى لربطه بها عن طريق عيادات الأطباء، وتكاد تكون فرصتها الوحيدة لإجابة طلباتها. أو أم تركها أولادها وتزوجوا فتجذبهم بمقولة [اسأل عن أمك العيانة].

وقالت المغنية فى القرية تصف أم زوجها وتشتكيها:

إن قلنا نسهر تسهر ويانا وإن قلنا نخرج تعمل عيانة

وشخص آخر يعيش فى قلق دائم مع نفسه، وبدلا من أن يلومها أو يلوم الآخرين بالإسقاط كما سبق، فإنه يتحول إلى جسده. والصورة التقليدية أن يشكو من الألم وأعراض متفرقة فى جسده كله، والأعراض غير مترابطة بالمرة والفحوص سليمة كلها، وحالته الصحية لا تدل على ما يدعيه، وواضح هذا الهدف الثانوى، جر الآخرين، أو تفادى المسئولية. والشكوى دائمة ومتكررة وتكاد تكون سمتًا من سماته الشخصية. وإذا تمت الحيلة على مستوى الوعى تسمى تمارضًا أو ادعاء المرض.

٨- التقمص *Identification* **إبدال الغير مكان الذات / التمثيل:**

وتكاد تعتبر ظاهرة صحية فى الطفولة والمراهقة، حيث تكون شخصية الإنسان غير مكتملة، ولم تنضج بعد، فيضطر إلى أن يلبس شخصية غيره حتى تكتمل شخصيته هو، فيدمج الفرد شخصيته مع شخص آخر ويقوم بإبدال الغير مكان الذات.

وعادة ما يكون الشخص الآخر مثار إعجاب، ويحاول المتقمص تقليده والتمثل به فى كل خطواته وأفعاله ولا سيما فى غيابه.

وهو مفيد وضرورى عندما يكون وسيلة لنمو شخصية الطفل والمراهق، وإكسابه عادات حسنة، واتجاهات سليمة عندما تكون الشخصية الأخرى بها صفات مقبولة وتثبت معانى وقيم صالحة متفقًا عليها فى المجتمع فهو تقليد وتمثيل مفيد.

وكذلك للمراهقين والراشدين لتعلم السلوك السوى والسير على دربه.

ولا بد لكل وزارة إعلام فى كل دولة أن تقدم نماذج دينية، فكرية، رياضية، إبداعية للتقمص، وتلقى عليها الضوء وترغب الناس فيها، وهم يفعلون ذلك فإن كان النموذج للخير والصلاح فنعم. وإن كان نموذجًا للفتوة والبلطجة والمخدرات والعنف فهى جريمة فى حق الأمة وتعتبر إشاعة فحشاء فى عرف علم النفس.

ويختلف التقمص عن التمثيل أو *Rolemackling* لأن تقليد الدور عملية إرادية فى الاصطلاح الثانى.

٩- العدوانية السلبية *passive aqression*:

التعبير عن العدوان والغضب يكون دائما وتلقائيا بصورة غير مباشرة:الكيد، التشهير، الغمز، الامتناع عن المساعدة.

والسمت الأساسى لهذه الشخصية:

- العجز عند المواجهة والخوف من توابعها.
- عدم تحمل المسئولية عن الفعل.
- الخنوع عند الإحساس بقوة الخصم.
- الخوف من إبداء رأيه فى أى شيء.

وقد يكون فى موقع حساس أو له نفوذ، ولكنه نشأ وتربى على ذلك، ولم يحاول أن يجلس مع نفسه ويسألها ولو لمرة واحدة: لم تفعلين ذلك؟

وعلى مستوى الوعى والإرادة تسمى هذه الحيلة مراوغة ومكيدة.

١٠- النكوص *Repression*:

محاولة التراجع أمام ضغوط الحياة إلى ما يعتبره الشخص مرحلة أكثر أمنًا واستقرارًا، وتكون قبل المرحلة التى يمر بها هروبًا من التوتر وبحثًا عن الأمان.

مثال: - عودة الطفل إلى تبول لا إرادى ليلى بعد تدخل جراحي، أو بعد وصول طفل جديد منافس.

- التصابى للكهول وتشبههم بالشباب فى الملبس والمظهر والسلوك.

١١- الخيال الفصامى *Fantacy & schizoid fantacy* / **أحلام اليقظة**:

يلجأ الشخص للخيال والانغماس فى الانسحابية عندما تتراكم المشاكل، وتكثر الإحباطات، وهى من صور الحيل العقلية، حيث نبحث عن الحل فى الهروب إلى عالم الأحلام حيث الإمكانيات غير المحدودة بأقل مؤونة، ونتمكن من خلالها من إشباع دوافع لم نستطع إشباعها على أرض الواقع، والصورة المنتشرة فى الحياة هى أحلام اليقظة *Daydream* وأكثر ما تكون فى المراهقة. وتعتبر فى حدود الطبيعى إذا كانت مؤقتة كراحة ذهنية نعود بعدها إلى الواقع والتعامل معه، بل قد تكون مطلوبة، والصورة المرفوضة هى الكثيرة والواسعة والتى قد تصل إلى عالم متكامل يعيش فيه الشخص ويصعب عليه التخلص منه، وينصرف كلية عن الاندماج فى العالم وتصل إلى كونها ظاهرة مرضية مرصودة فى الأمراض النفسية؛ حيث يعيش المريض فى عالمه الخاص المنفصل تمامًا عن الواقع.

١٢- التبرير *Rationalization*:

وفى هذه الحيلة يسوق مجموعة من البراهين والحجج لتفسير موقف ما مثير للقلق إذا ذكرنا الحقيقة، وبدلاً من مواجهته أو الاعتراف به تحضر الأعذار، وتتميز بكونها مقنعة ولكنها ليست الحقيقة. وغالبًا ما يظهر التبرير فى لهجة حماسية مبالغ فيها، ولكنها لا تثبت أمام التصدى للمناقشة والأدلة. ويعتبر التبرير ظاهرة أصيلة فى كل اللغات والمجتمعات عند الأسوياء، ويفعله السياسيون ولكن على مستوى مدرك وعندهم ذخيرة لا تنتهى لتبرير الأعمال الغريبة وغير المقبولة، والنفس تستعمله أساسًا لتغطية نقص الخبرة والخطايا.

والمبرر يكذب على نفسه ويكذب على الناس، أما الكاذب فهو يكذب على الناس ولا يكذب على نفسه.

وقالوا: «اللى ما تعرفش ترقص تقول الأرض عوجا». وفى التبرير تبدو النفس لصاحبها أفضل من حقيقتها، وفى التبرير تحرم النفس من النقد الذاتى الأمين. فالصورة مشوهة داخل الكاميرا.. وعلى المستوى الإرادى يسميه العوام استهبالاً وكذبًا.

١٣- المبالغة العكسية / تكوين رد الفعل / قلب المشاعر لضدها *Reaction Formation*:

ومعناها أننا نقول أو نفعل عكس ما يكمن فى نفوسنا..

نعبر عن الكراهية التى فى نفوسنا لشيء بألفاظ الحب المفرط..

نعبر عن اشتداد الشهوة الجنسية التى فى نفوسنا بألفاظ العفة والطهر..

ونفعل ذلك فى اللاوعى حتى نحمى أنفسنا فى الوعى من مخاطر المواجهة المحرجة أو الرفض المؤدى للتوتر، وإذا فعلناه فى الوعى فهذا هو التصنع أو النفاق.

وفى الأمثال: «اليد التى لا تقدر على قطعها قبّلها» و«أقول أكرهه وعينى منه».

١٤- العقلنة *Intellectization*:

أو التفكير العقلانى الزائد المحروم من الانفعالات والعواطف.. أو عزل العقل عن المشاعر، أو التفكير بلا إحساس.. وهو مفيد أحيانًا..

فالطبيب الذى يجرى عملية خطيرة يجب أن يعزل عواطفه أو مخاوفه من الفشل أو موت المريض، والقاضى يجب أن يعزل مشاعره فهو حكم بين خصمين.

والعقلنة حيلة عصرية خطيرة أصبحت تهدد الإنسان، وتحدد وعيه؛ فمن خلالها تحل الرؤية العقلانية محل المعايشة الكاملة، ويحل الفهم المجرد بلا فعل ولا انفعال أو حتى معنى مسئول محل الرؤية الفاحصة الواضحة. وتغنى الحسابات التفصيلية الواضحة عن الاحتمالات الحدسية الشاملة، وأين يذهب الإحساس بالشيء الذى هو روح الحياة؟ وقديمًا قالوا: إن الحياة هى الشعور بالحياة.

١٥- الكبت والقمع *Repression & Supression*:

الأول: لاإرادى. **الثانى: إرادى.**

وكلاهما يرتبط بحادثة مهينة أو مخجلة أو مؤلمة جدًا ويصاحبها انفعال عال يدركها الوعي؛ فيحدث صراعًا مؤلمًا حقيقيًا تضطر النفس أن تنقله من دائرة الشعور إلى دائرة اللاشعور، فيستقيم السلوك ويحدث اتزان خلقى واجتماعى. وإلى هذا الحد فالأمر مفيد ومريح، ولكن المعضلة تكمن فى عدم حل المشكلة حلاً حقيقًا، إن ما حدث هو مجرد تأجيل وإخفاء وليس معالجة سوية للموقف.

فتظهر المشكلة وتطفح فى صورة رمزية، حيث يظهر سلوك لا عقلانى أو غير سوى غير معروف الهوية، وهو ما يسمى بالعقدة النفسية فى حالة الكبت، والعقدة هى الفرق بين الكبت والنسيان *Forgetting*، حيث يظهر الترميز والسلوك غير السوى وغير المبرر فى الكبت ولا يظهر فى الآخر، والكبت لا يمكن استرجاعه بالطرق العادية، أما الناسى إذا ما ذكّرناه يتذكر، والنسيان يكون للأمور غير المهمة أو المهمة، أما الكبت فهو للمؤلمة والمخجلة فقط.

١٦- الحيل النفسية الناضجة والمفيدة للمراهق:

أ- الإبدال *sulstition*:

عند العجز عن تحقيق هدف أو فكرة أو عند تحويل الطاقة نحو هدف آخر مقبول اجتماعيًا، ويمكن تحقيقه، وبدونه قد يقع الفرد فريسة للإحباط.

ب- الإعلاء *sublimination*:

إشباع الرغبات غير المقبولة اجتماعيًا بطريقة مهذبة مقبولة.

العدوان ← ممارسة ألعاب رياضية عنيفة.

عقيم ← رعاية الأيتام.

ج- **التأجيل:** تأجيل إشباع الرغبات لحين إيجاد الفرص المتاحة لإشباعها. وعلى قدر نضج الشخص وذكائه وقدرته فى التحكم فى نفسه يكون التأجيل.

بعض تصرفات المراهقين والتى منشؤها الحيل العقلية النفسية

- تحويل الحب إلى عناد وهجر.
- تحويل الاحترام إلى سخرية واشمئزاز.

[قلب المشاعر إلى ضدها *Reaction Formalion*]

- اهتمامات طفولية.
- الاعتمادية على الوالدين.

[النكوص إلى المرحلة السابقة *Reqression*]

- البحث عن مبادئ مجردة من السلوك.
- الإعاقة عن تطبيق المبادئ التى يصل إليها.

[البعد عن الإحساس بالواقع [العقلنة] *Rationalization*]

- الاهتمام الزائد بالمظهر والملامح مع توهم المرض والخوف على الذات مع قلة الإحساس بالعالم.

[الانكفاء على الداخل والتركيز عليه مع انطوائية *Intero vevsion*]

- يرى الأمور إما بيضاء وإما سوداء.
- وأن المبادئ قطعية يجب تطبيقها بغض النظر عن التدرج ومراعاة الواقع.

[المثالية النظرية *Idealistic* ويحقق منها الحماس والإخلاص، وهذه بالذات تنتقل مع الأيام إلى الواقعية *realisitic* من خلال وصول مفاهيم التعادلية إلى الأنا الأعلى].

الباب الثالث

الحاجة إلى تحديد الدور الجنسي
[النمو الجنسى عند المراهق]

الفصل الأول: مجموعة حقائق للحوار والتفكير

- مقدمة
- حقائق عن النمو الجنسى
- العادة السرية
- الحرية الجنسية بين التقييد والإباحة
- وجهة النظر الإسلامية

الفصل الثانى: أسئلة محرجة فى المسألة الجنسية

- عرض حالة (مصيبة الشهوة فى البلاد الإباحية)

الفصل الثالث: اللواط (الشذوذ الجنسي)

- تفسير الظاهرة
- بداية الظاهرة واستمرارها
- بعض الصفات السلوكية المصاحبة للشواذ
- العلاج

الفصل الأول

مجموعة حقائق للحوار والتفكير

- مقدمة (القضية هى: السبيل المتاح لتفريغ الشهوة وليس قضية الشهوة، والموقف من الجنس مرتبط بالموقف من المرأة).
- حقائق عن النمو الجنسى:

  * المقصود بالنمو الجنسى.
  * تذكرة قبل الدخول فى الموضوع.
  * أمور يضعها المربى فى اعتباره.

- العادة السرية.
- الحرية الجنسية بين التقييد والإباحة.

  * القيد الأول: عدم الإكراه.
  * القيد الثانى: عدم ضياع الذرية.
  * القيد الثالث: عدم ضياع حق الله.

- وجهة النظر الإسلامية:

  * الزواج نداء الفطرة.
  * الاعتراف بالغريزة الجنسية.
  * الإرجاء المؤقت.

مقدمة:

تشغل المسألة الجنسية حيزًا لا يستهان به من تفكير الإنسان ولو لم يتكلم به.

وإذا كان من الخطأ النظر للإنسان كظاهرة جنسية محضة، فإن الخطأ الأكبر أن ينظر للجنس كظاهرة عارضة، أو عيب، أو دنس لا يجوز الاهتمام به، أو أنه لا يشغل بال الشباب.

ونصل إلى أكبر الأخطاء حينما نترك الساحة للإباحيين والمنتفعين لكى يزرعوا سمومهم فى نفوس أبنائنا، ونكتفى بالنصوص العامة ولا نشرح القضية ونترك أبناءنا للضياع.. وأى ضياع.

ولقد راجعت كلامى أكثر من مرة حتى يخرج فى حيز مقبول ومتوازن، ومخافة أن تقطع جملة من الكلام ثم تذهب إلى الآفاق ويستغلها من يريد، والله تعالى أسأل أن يوفقنى ويهدينى سواء السبيل.

أقول بداية:

الشهوة الجنسية نعمة من الله تعالى وهبنا إياها، حتى تكون دافعًا للبقاء والاستمرار على الأرض، فهى من الاحتياجات المشروعة والصحية للإنسان، ولا يوجد فى الضمير ما يؤدى فى الحالة السوية إلى كراهية الجنس أو الشعور بخطأ اللذة فى ممارسة الجنس كضرورة للتكاثر، فالشهوة موضوعة لثلاثة أمور -كما قال ابن القيم رحمه الله-:

- حفظ النسل ودوام النوع.
- وإخراج المنى الذى يكون فى احتباسه ضرر.
- وقضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعم.

فالقضية هى: السبيل المتاح لتفريغ الشهوة والتمتع بها وليست قضية الشهوة نفسها.

والسبيل المتاح الذى حددته جميع الأديان والقيم هو: الزواج..

وحددته جميع الفرق الأخرى بالزواج وغيره، فالأولى تنظر إلى الفرد والمجتمع والنصوص المقدسة. والثانية تنظر إلى الفرد فقط وتتغافل عن قضية لا يصح التغافل عنها، وهى ضياع المجتمع وسقوط حرمة النصوص الدينية.

والقضية بذاتها محور جدل بين الأفراد وتوجهاتهم، وليست محصورة بين المؤسسات والمرجعيات. ببساطة؛ لأنها قضية عامة وشخصية فى آن واحد. والموقف من الجنس مرتبط بالموقف من المرأة.

ورث الغرب انتقاص مكانة المرأة من الحضارتين الإغريقية والرومانية.

فى أثينا: لم يكن للنساء حقوق سياسية أو قانونية أكثر من العبيد، وكن يلحقن بأقرب ذكر.

وفى كتابات الإغريق أن المرأة غير موثوق بها، وغير عاقلة، وشهوانية، ومنحطة، وكان زنا الزوج بلا عقوبة، ولكن الزوجة تعاقب إذا زنت.

وفى القانون الرومانى: كانت تابعة للرجل تنتقل هى وأملاكها إلى ملكية الزوج.

وقال (كاتو) فى مجلس الشيوخ الرومانى: المرأة حيوان لا لجام له.

وكان القانون الرومانى يلزم الأب بتربية كل الأولاد الذكور والبنت الأولى فقط.

وأعلنت مجلة التايم فى ٧/ ٢/ ١٩٧٧م أن الكنيسة الكاثوليكية لا تعتبر نفسها مخولة برسم قسيسات.

والعهد القديم واضح فى تحميل المرأة مسئولية خطيئة أكل الشجرة: فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر، وأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل.

الإسلام: حمَّل أكل الشجرة للطرفين بلا تخصيص ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

فلا خطيئة لحواء منفردة.. والمعصية انتهت بغفران الله لهما.. والخطايا عندنا لا تورث، ولا تزر وازرة وزر أخرى.. فلا حق على حواء، ولا عقوبة أبدية لبناتها.

ولكن الأجيال المتأخرة جاءت لتصنع أعرافًا وقيمًا تضع المرأة فى عكس ما وضعه الإسلام لها من مكانة وتقدير.

والحضارة الغربية وإن كانت أصدرت قوانينها فى المساواة والحرية، فإنها حولت المرأة عمليًا إلى مادة إغراء لجذب الرجل، ولفت انتباهه بجمالها ورقتها، لكى يشترى (صابون، ماكينة حلاقة، سيارة، جهاز موبايل).

فقد وضعتها فى موقع أدنى مما وضعته فيه الحضارة الرومانية والإغريقية. متناسية أن العبرة بالواقع العملى لا بالقوانين المكتوبة.

***

حقائق عن النمو الجنسي

المقصود بالنمو الجنسي:

يقصد به نمو الشعور بالميل للجنس الآخر (نمو الشعور بالحاجة إلى إشباع الشهوة).

ومظاهر هذا النمو:

☺ إظهار الإعجاب بشخص من الجنس الآخر (حالات تعلق وحب).

☺ التعبير بصور مختلفة منها إظهار مشاعر رومانتيكية تبدو خالية من الإثارة، والانجراف وراء الحب الرومانسي والحب من غير أمل.

☺ الاهتمام بالجنس والفضول الشديد نحوه مع الرغبة فى التعرف على حقيقته وكل ما يتعلق به.

☺ إظهار الرغبة فى الزواج والتفكير فيه.

تذكرة قبل الكلام عن الموضوع:

١- التكتم والتجاهل لا يفيدان بل سيلجأ المراهق إلى إشباع فضوله من مصادر أخرى غير موثقة أو غير آمنة.

٢- التوعية تزيل الخوف والتوتر وتحمى من الانحراف.

٣- لا بد من مفاتحته ومصارحته فى كل ما يتعلق بالموضوع (المراهقة، البلوغ، الزواج، الاحتلام، الحيض، الجماع، النسل) بل والمبادأة فى ذلك.

٤- فتح الموضوع أفضل من خلال الأحكام الشرعية لضمان وجود سياق من العفاف والانضباط.

٥- مناقشة آراء المراهق فى هذا الصدد (مناقشة هادئة وصبورة) وبعيدة عن التبذل والتفكه وبعيدة أيضًا عن الحدة والشدة.

٦- التنبيه على مضار الزنا واللواط.

أمور لا بد أن يضعها المربى فى اعتباره:

١- التركيز على تقوية النفس والتحكم فى رغباتها، وأن الشخص القوى هو القادر على التحكم فى نفسه، وليس هو الذى يسترسل معها ومع شهواتها.

٢- التوعية بضبط السلوك تجاه الجنس الآخر وفقًا للأخلاق والتعاليم الدينية (غض البصر، تحريم الخلوة، عدم الخضوع بالقول، حفظ الفرج).

٣- توضيح أن الإسلام صرَّح وحدد أن العلاقات الجنسية لا تكون إلا من خلال الزواج، وكذلك جميع الأديان، وأن الزنا حرام فى نفسه بغض النظر عن رضا الطرف الآخر من عدمه.

٤- تقوية صوت العقل والضمير داخل النفس.

٥- الاهتمام البالغ بقضية ملء وقت المراهق وفراغه.

٦- الاهتمام البالغ بقضية الرياضة البدنية كمصدر لتصريف الطاقة.

٧- التركيز على الهوايات والمهارات المتميزة كصورة من صور التسامى (الإعلاء).

٨- التركيز على مفهوم الإرجاء المؤقت فى علم النفس، ومدى كونه مقياسا للنضج النفسى (تأجيل الرغبة مؤقتًا لحين سماح الظروف) أو أن الشخص الناضج هو الذى يتحكم عقله فى شهوته وليس العكس.

٩- ضرورة الاهتمام بعدم إثارة الشهوة:

ستر العورة- التفرقة فى المضاجع- أحكام الاستئذان- أحكام غض البصر- تجنب الأفلام الخليعة (صور عارية- الكتب المثيرة-الصحبة السيئة- الأصوات الفاجرة- الاختلاء بالمرأة).

***

العادة السرية

☺ الاستمتاع بالشهوة الجنسية عن طريق إخراج المنى وما يصاحبه من لذة بطريقة إرادية غير الجماع.

☺ **بيولوجيًا**: حكمه حكم الممارسة الجنسية إلا أن الإسراف فيه قد يؤدى إلى:

- احتقان البروستاتا.
- الإرهاق والإجهاد العام.
- التوتر والقلق النفسى.
- تفضيله على الجماع بل قد يجعله بديلاً تامًا ويكتفى به.

☺ **شرعًا**: الحكم دائر بين الحرمة عند المالكية تفسيرًا لقوله تعالى ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾، وعلى أن الإسلام قد حدد مصرفًا واحدًا للشهوة هو الجماع عن طريق الزواج الشرعى، وأجازها الحنابلة عند خشية الوقوع فى الزنا أو خشية العنت باعتبارها أخف الضررين ودفع أعظم المفسدتين.

تعليق:

☺ إعلان الحكم بالكراهة أو الجواز عند الضرورة يفتح باب شر يعرفه كل من عايش المراهقة والمراهقين.

☺ إعلان الحكم بالتحريم قد يرفع درجة الشعور بالذنب والتأنيب، إلى حد القلق والاكتئاب والعزلة والإحباط الشديد، أو إلى الجرأة على الحرام واقتحامه.

☺ الأفضل الحث على العفاف والاستعفاف مع رفع قدرة المراهق على السيطرة على نفسه وشهوتها.

إظهار الامتعاض والحث على الترك والتعالي:

☺ يوضع فى الاعتبار أن الإسراف فى أى شيء أمر ضار، وأن الإنسان لا يجب أن تأسره أى عادة أو تستحكم فيه.

☺ التنبيه على ضرورة عدم الاسترسال مع الفكرة الخاطئة فإنها تتحول إلى ميل ثم نزوع إلى التنفيذ.

☺ الزواج المبكر والحض عليه.

☺ معرفة قصص الأنبياء والصالحين فى العفاف.

☺ الإكثار من الأذكار المعينة ومنها:

- رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير.
- إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون.
- والذين هم لفروجهم حافظون.

وإذا سلمنا جدلاً بأن العادة السرية مرحلة طبيعية يمر بها الإنسان فى مرحلة معينة من عمره، غير أننا لا يمكن اعتبارها كذلك عندما تصبح ممارستها لذاتها أو كوسيلة تنويع. ولن نصرف النظر أبدًا عن الطريقة الطبيعية الفطرية لتصريف الطاقة الجنسية وجعل بدائل لها، وهذا هو بعينه تفسير المالكية فى أن كل وسيلة أو علاقة خارج الزواج تدخل فى حكم (ما وراء ذلك).

ففى موضوع العادة السرية نحن نتعامل مع وضع صعب ألا وهو: مجتمع مستفز جنسيًا، شهوته عالية وواقع اقتصادى لا يسمح بالزواج قبل الثلاثين.

ولكن المؤكد عليه هو أن تعويد النفس على الانضباط فى موضوع الشهوة وإلزامها بذلك يأتى بنتائج إيجابية ملموسة.

***

الحرية الجنسية بين التقييد والإباحة

هل هناك قيود على ممارسة الجنس؟ الإجابة نعم.. في كل بلاد الدنيا، ولكن بدرجات مختلفة.

القيد الأول: عدم الإكراه:

كلمة نبدأ بها ويجب أن نعلمها لأولادنا: حرية الفرد تنتهي حينما تعتدي على حرية الآخرين، حق كل إنسان الاستمتاع، ولكن بشرط ألا يؤذي الآخر، وقد اتفق على ذلك البر والفاجر، والمتدين وغير المتدين، حيث يعتبر الإكراه على ممارسة الجنس أمرًا مرفوضًا.

فماذا لو كان الطرف الآخر راضيًا أو غير متضرر، نصل إلى القيد الثاني.

القيد الثاني: عدم ضياع الذرية:

نقول هناك ثلاثة حقوق متداخلة في قضية الزنا [ممارسة الجنس بغير زواج]:

- حق الفرد.
- حق المجتمع.
- حق الله.

وحق الفرد إذا ضيعه صاحبه وتنازل عنه فهو وشأنه.

وحق المجتمع هو عدم التفكك والانهيار بإشاعة ذلك الفعل، بحيث أننا سنصل إلى وجود جيل ضائع حتمًا ويقينًا. فلا بد من ضمان رعاية الصغير حتى يبلغ أشده، وفي حالة التنشئة في غير محيط الأسرة سينمو الصغير في شتات وضياع.

تقول كلود سكوت خبيرة علم الاجتماع الإنجليزية: الأطفال غير الشرعيين يربون عادة في مؤسسات أو عند عائلات غريبة، ولهذا السبب بالذات ينشأون معقدي الشخصية منحرفي النفسية.

ومشكلة الأم الصغيرة ذات الطفل من أكبر المشاكل الاجتماعية في أمريكا وإنجلترا *single un-married mother*، فمهما ساندتها الدولة وعوضتها فلن تجيب على سؤال وليدها: أين أبي؟ من هو؟ وأى فرد هذا الذى سينشأ لا يعرف أباه، والمؤسسات الاجتماعية مهما كانت كفاءتها ودقة نظامها لن تغنى عن الأسرة، ويجب أن تكون مساندة لها وليست بديلاً، فإذا ضيعنا حق المجتمع سنصل إلى أم ضائعة وطفل أضيع منها.

إن إباحة الجماع بدون زواج سيغرس ويزرع بذور الشك فى نفوس الآباء، إذ كيف يربى الإنسان ولفترة طويلة ويرعى وينفق ويضحى لشخص مشكوك فى علاقته به أو نسبه إليه، وهذا ما يسمى فى الشريعة الإسلامية (حفظ الأنساب).

إن الأب الطبيعى تنتابه لحظات بل ساعات من الضيق والضجر تجاه الأولاد، ثم يرده عقله وضميره ووجدانه [إنهم أولادى وأنا أبوهم ويجب أن أضحي].

فكيف إذا غابت الجملة الأخيرة هذه، أقول لكم لحظتها ولحظتها فقط: الكلاب والقطط أجدى وأنفع من هؤلاء المشكوك فى نسبهم، وهذا ما يحدث بالضبط، بل وتبقى المعادلة القاتلة للمرأة والتى يفعلها الرجل ألا وهى: [المال والرعاية المؤقتة فى مقابل الاستمتاع الجنسي] ولا داعى للأسرة وتشعر بأنها مجرد جسد يستمتع به، ويعود عصر الجوارى مرة أخرى ولكن بصورة غربية مقززة.

فنحن فى حالة التراضى هذه بدون زواج ضاعت الذرية، وضاعت الأم، وضاع الأب؛ وبالتالى ضاع المجتمع من أجل لحظة نشوة، وقد خاب وشقى عبد باع قليلا بكثير وآتيًا متيقنًا بحاضر غير متيقن [ألا وهو حصوله على الشهوة].

القيد الثالث: عدم ضياع حق الله:

بقى سؤال أخير: ماذا إذا كان الطرف الآخر راضيًا، ولا ينجب لكبر سن أو استخدام مانع؟ وفى هذه الحالة سنغلق الباب أمام ضياع الذرية كما تحدثت سالفًا فلماذا لا يباح فى تلك الحالة؟

والرد ببساطة: بقى حق لا يمكن التغافل عنه ألا وهو: حق الله.

إن جميع الشرائع الدينية حرمت الزنا (اليهودية والمسيحية والإسلام)، واشتدت اليهودية والإسلام حتى جعلت عقوبته الرجم حتى الموت، والمسيحية قالت: من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر، ولم تبح الزنا أى شريعة سماوية.

يقول جورج بالوش مؤلف الكتاب الشهير «حياتنا الجنسية»:

كان البشر فى الماضى يتزوجون باكرًا، وكان ذلك حلاً صحيحًا للمشكلة الجنسية، أما اليوم فقد أخذ سن الزواج يتأخر، والحكومات التى ستنتج قوانين تسهل الزواج المبكر ستكون جديرة بالتقدير؛ لأنها تكتشف بذلك أعظم حل لمشكلة الجنس فى عصرنا.

فإتيان الشهوة بدون زواج سيؤدى إلى عدم الحاجة إلى الزواج؛ وبالتالى عدم الحاجة إلى الأسرة، وبدون الأسرة لا يوجد مجتمع، ولو اتخذنا كل الاحتياطات لعدم حدوث ذلك.

وأيضًا سنكون قد أعلنا الحرب على الله، وعدم الاعتراف بسلطانه، وأمام أعيننا حقيقة ماثلة فى الغرب تفكك أسرى، إحساس بالضياع وعدم انتماء، عدوانية مستمرة.

* * *

وجهة النظر الإسلامية

وفى النهاية أرى أنه من الواجب على أن أعرض وجهة النظر الإسلامية لمن أراد أن يقرأها ومن لم يرد فلا عليه.

أولا: الزواج نداء الفطرة:

تحلم به كل أنثى، وقصة أسوقها للقارئ هى قصة إيفا عشيقة هتلر، والتى كانت تحبه جدًا، وكانت معه فى حصار برلين ولم تتخلّ عنه.

ماذا فعلت قبل أن تنتحر معه؟ طلبت طلبًا غريبًا لا يتناسب مع شدة الهول الذى هم فيه من هزيمة ساحقة وعدو يترصدهم ويسعى للحصول عليهم بأى ثمن.

طلبت منه أن يتزوجها ويسجلا العقد ثم تنتحر معه وفعلا حدث ذلك.

وقصة أخرى من مذكرات مارلين مونرو: كانت تحلم بأن تكون امرأة عادية لها بيت وأسرة مستقرة وأولاد، وأنها رغم ضياعها فى المجتمع الأمريكى، وعشق الرئيس كيندى لها، فإن الحلم ظل بداخلها حتى عندما أرادت أن تنتحر. وقد لا يكون الزواج حلم كل الرجال، ولكنه حلم كل النساء حتى الساقطات منهن، وقد كتبت فى مذكراتها المحفوظة فى صندوق الأمانات فى منهاتن بنيويورك:

احذرى أن تخدعك الأضواء، إنى امرأة لم أستطع أن أكون أمًا، إنى امرأة أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة التى هى رمز لسعادة المرأة بل الإنسانية.

إن العمل فى السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة.

وبين نداء الفطرة ونداء الشهوة تضيع كل امرأة لا تتخذ الدين حصنًا لها وطريقًا تسير فيه، والأمر إليك فاختارى.

ثانيًا: الاعتراف بالغريزة الجنسية:

اعترف الإسلام بالغريزة الجنسية مع تحديد السبيل لإشباعها، ولا سبيل غير الزواج، فقد ثبت أن شابًا جاء النبى ﷺ يستأذنه فى الزنا فلم يرفع عليه سيفًا، ولم يغضب ولم ينهره، لقد تفهم ﷺ الدوافع الداخلية للشاب، وقد رشدها بفعل شيئين:

الأول: حاور عقله ونادى على فطرته إذ قال له: **«أترضاه لأمك؟»** قال: اللهم لا. قال: **«أترضاه لأختك؟»** قال: اللهم لا.

الثانى: وضع يده الشريفة على قلبه، ثم دعا له **«اللهم اهد قلبه»** فقال الشاب: فقمت وما شيء أبغض إلى قلبى من الزنا، [إنها قوة الإيمان المواجهة لقوة الشهوة أو -كما قال ابن القيم- بثبات باعث الدين والعقل فى مواجهة باعث الشهوة والهوى.

إن أى طريق لن يفلح، إلا إذا اقتنع صاحب الفعل الرديء قناعة داخلية بتركه لحظتها، ولحظتها فقط لن يستجيب للمؤثرات الخارجية، إنه سيقاومها وسيبدع طرقًا وأساليب لدفعها عنه، وهذا تحديدًا ما يريده الدين منه. [وكلمة أخيرة للذين يدعون أن الدين يكبت الشهوة ويحول أتباعه إلى أشخاص معقدين جنسيًا.

هل عندكم دليل على ما تقولون؟ الإسلام اعترف بوجود الشهوة، ولم ينكرها، بل فى ضوء معرفته بطاقة الناس وقدراتهم، ولعوامل الخير والشر النافذة فيهم بيَّن لهم ما يضرهم وما ينفعهم. لم يتركها لذواتهم ولم يكلهم إلى نزواتهم. وعالج القضية بكل ما يمكن معالجته بالتربية؛ بالترهيب والترغيب، بما عند الله - بالحث على الاستعفاف والفضيلة- بالعقاب.

الإرجاء المؤقت: وقد أفاد علماء النفس بوجود حيلة دفاعية نافعة تسمى الإرجاء المؤقت أو الاستجابة المرجأة، وهى تعنى أن الشخص قد يؤجل إشباع الدافع لحين تعديل الظروف المحيطة أو لحين فعله فى ظروف أكثر مناسبة.

وهى قياس للنضج الشخصى فكلما كان النضج أقل كان التأجيل أصعب ووجود الاستجابة المرجأة تعنى أن الشخص أكثر ذكاء، أكثر نضجًا، أكثر حلاً للمشاكل، وأيضا أكثر تدريبًا.

الفصل الثانى

أسئلة محرجة فى المسألة الجنسية

- هل أنتظر مفاتحته أم أبدأ؟
- متى أبدأ؟
- حيائى يمنعنى.
- ماذا أقول؟
- أرى الشهوة متفجرة فى ولدى.. ماذا أفعل؟
- ضبطته يمارس العادة السرية.. فماذا أفعل؟
- ضبطته فى وضع مخل.. ماذا أفعل؟
- هل أوافق على الاختلاط بالجنس الآخر؟
- دراسة بريطانية عن الاختلاط.
- عرض حالة : مصيبة الشهوة فى بلاد الإباحية.

أسئلة محرجة فى المسألة الجنسية

السؤال : هل أنتظر حتى يفاتحنى ابنى أو ابنتى فى مشاكله الجنسية أم أبدأ ؟.

الإجابة: ولم الانتظار؟ ولا فائدة من الانتظار والموضوع يتم فتحه خارج نطاق الأسرة. والمعلومات خاطئة ومضللة، وطريقة سرد المعلومات مبتذلة ومثيرة أكثر من كونها موضوعية ومحترمة، وكونى أو كن كما قالت العرب: [بيدى لا بيد عمرو] ولا تكون البداية من المشاكل بل من طرح ما سيواجهه من تغيرات ومشاعر تخص الجنس.

السؤال : متى أبدأ ؟

الإجابة: عامة بعد العاشرة أو حينما ترى أن جسمه بدأ ينمو وطوله يزداد بصورة لافتة.

السؤال : حيائى يمنعنى.. وأريد أن يكون هناك حاجز فى تلك الأمور خاصة.. هل من سبيل آخر غير ما قلته؟

الجواب: الحياء والحشمة مطلوبان، ولكن هذا الحاجز لا بد أن يتم كسره.

فلتتكلم الأم مع ابنتها، وهذا لا بد منه، ولتكن هناك خصوصية بينهما، وليس على ملأ من الأسرة، وهذا مفيد لأن يتكون شعور داخل البنت بالصداقة مع أمها وأنها تقول لها ما لا تقوله للآخرين، وليتكلم الأب مع ابنه وبنفس الأسلوب ولتكن البداية:

- مراجعة وتسميع درس الأحياء الخاص بالجهاز التناسلي، وهذا مقرر فى مواد الدراسة.

- بل واطلبى من ابنتك، واطلب من ابنك أن يفاتحك فى أى شيء يخص هذا الموضوع، ولا حرج فى الدين، فإن الأمر أمر دين وأمر إنشاء نفسية سوية وليس مشاهدة فيلم جنس.

السؤال: ماذا أقول؟

بالنسبة للولد:

١- شرح الجهاز التناسلى للذكر والأنثى.

٢- شرح معنى الاحتلام وكيف ومتى يحدث.

٣- غُسل الجنابة.

٤- شرح معنى ميل الذكر للأنثى فى هذه الفترة، وأنه شيء طبيعى خلقه الله فينا لكى ننجب، ونأتى بالأولاد، وأن الحرام هو استعمال هذه النعمة فى غير ما وضعت له، ألا وهو الزنا وهو إتيان الفعل مع غير الزوجة.

٥- شرح معنى اللواط، والعادة السرية، والبعد عنهما، وضرورة السيطرة على الشهوة.

٦- الحث والتنبيه باستمرار على التعفف، وعدم استثارة الشهوة بغض البصر وعدم الاسترسال مع الأفكار وضرورة الاستعلاء وتصريف الطاقة فى الرياضة والهواية.

٧- قصة يوسف عليه السلام.

بالنسبة للبنت:

١- شرح الجهاز التناسلى للأنثى والذكر.

٢- معنى الحيض والأحكام الشرعية المتعلقة به.

٣- الاحتلام والغسل من الجنابة والحيض.

٤- التأكيد على عدم الإحساس بالدونية والخجل من كونها أنثى، فهذا قدر الله على بنات حواء.

٥- معنى غشاء البكارة والحكمة منه، وأنه الصورة المجسدة وليست المعنوية للطهارة.

٦- شرح معنى قول السيدة مريم البتول، لم يمسسنى بشر..ولم أك بغيًا.

٧- التنبيه على عدم إبراز مفاتنها وجمالها؛ حرصًا عليها هي؛ لأن الذباب يقع على المكشوف من الطعام والشراب.

٨- توضيح معنى إثبات الذات ولفت نظر الآخرين، إنما يكون في تمامه بإبراز قوتها العقلية وتفكيرها ومهاراتها، وليس بإبراز مفاتن جسمها، وأن هذا حرام إلا في حق المحارم.

السؤال: أرى الشهوة متدفقة وتظهر في كلماته وحركاته. ولا أدرى ماذا أفعل؟

الجواب: هذا أمر طبيعي المهم تحجيمه وضبطه وليس كبته - شجعيه وادفعيه لممارسة الرياضة، وتابعي نشاطاته الرياضية وهواياته- احرصي على تتبع الشلة وأخبارها؛ لأنها هي مسرح التنفيس غير المنضبط.

السؤال: أنا متأكد أنه يمارس العادة السرية، وبكثرة، يغيب في الحمام، يستحم كثيرًا، يبدو عليه الوهن والضعف، ضبطه مرة؟

الجواب: كن حكيمًا ولا تتهور - استر على ولدك، ولا تفضحه بينك وبينه- افتح موضوع العادة السرية على انفراد - اتفق معه على ممارسة رياضة، وشجعه بشدة على ذلك، وتابعه واذهب معه للنادى، وادفع قيمة الاشتراك.

على فترات كلمه عن العفاف والاستعفاف وقص عليه قصة يوسف.

السؤال: ضبطته في وضع مخل.. ماذا أفعل؟

الجواب: الزم الهدوء، واترك الكلام معه حتى تهدأ أنت فأنت موجه.

الغرض من الكلام بيان خطأ الفعل، وليس التعقيد من الجنس فافهم ذلك واستوعبه جيدا.

☺ احتفظ بتعبيرات وجه جامدة ولغة حوار جادة، فالأمر جد وليس بهزل.

☺ كن واضحًا وصريحًا وليكن مضمون الحوار:

- ما فعلته خطأ يضر ببدنك وشخصك وصحتك - استغفر ربك - لا تعد إلى ذلك إلا مع زوجتك فى الحلال - لا تتبجح بذكر الفعل مع أصدقائك- ليكن هذا سرًا بينك وبينى على وعد ألا تعود لذلك.

☺ ثم عامله بعد ذلك معاملة عادية أو كما سبق وكنت تعامله.

☺ شجعه على أن يقول لأصدقائه: لا تفعلوا الحرام.

السؤال: هل أوافق على الاختلاط مع الجنس الآخر فى النادى أو المدرسة أو فى محيط الأسرة؟

الجواب: لا بد ولا بد ولا بد من حضور الكبار فى مثل هذه الأمور:

☺ لكى يشكلوا كوابح تمنع الانفلات.

☺ لكى يقف كل طرف عند حده فهناك آخرون.

☺ ليضع الكبار فى اعتبارهم -كما حدثنا أجدادنا- أن البنزين والنار اجتماعهما معناه حريق، وجاء آخرون فقالوا: يقلل من حدة الشهوة وكذبوا وكذَّبهم الواقع، وقال البوصيرى رحمه الله:

ولا تَرُومَنّ بالمعاصى كسر شهوتها إن الطعام يقوى شهوة النهم

☺ الخلوة مع غير المحارم حرام، وليقل من شاء ما يقول بعد ذلك.

☺ الاختلاط فى حدود الشرع مباح، وليقل من شاء ما يقول.

☺ تجارب الأمم من حولنا.

أمة أباحت الاختلاط إلى حد الثمالة.

وأمة منعت الاختلاط إلى حد العنت.

وكلاهما فشل فشلاً ذريعًا:

فى إخراج أجيال سوية.

فى إطفاء قوة الشهوة واندفاعها، على العكس زادت ودمرت.

فى إخراج أجيال غير معقدة نفسيًا.

والتوسط دائمًا هو حد بين الإفراط والتفريط

والقضية تخص أولادنا والمغامرة بمصير الأولاد وجعله رهن التجربة أو تمشيًا مع مقتضيات العصر أمر خطير ويعتبر تفريطًا فى المسئولية.

وكون المراهق سيفعل ما يريد سواء بموافقتنا أو من وراء ظهرنا أمرًا لا يعفينا أبدًا من الدور المطلوب منا؛ ألا وهو التوجيه والإرشاد والضبط، اعتذارًا لأنفسنا أمام أنفسنا، وحين نلقى الله.. والله المستعان.

* * *

وشهد شاهد من أهلها
الاختلاط بين الجنسين فى المدارس خطر
(دراسة بريطانية)

كشفت تجربة جديدة فى المدارس الثانوية المختلطة فـى بريطانيـا عـن أن الأولاد عندما يتم فصلهم عن البنات فى فصول دراسية قائمة بذاتها، يحققون نتائج أفضل فى شهادة الثانوية العامة المؤهلة لدخول الجامعات المعروفة باسم *IGCSE*.

وقد بدأت هذه التجربـة منـذ عـامين فـى بعـض المـدارس عنـد تـدريس اللغـة الإنجليزية خاصة، فقد اعتقد المدرسون أن الأولاد فى سن المراهقة يشعرون بثقة أكبر فى أنفسهم عند الكتابة والقراءة، أو عند مناقشة القضايا العاطفية المرتبطة بالمسرحيات والروايات المقررة عليهم، وهم فى فصول مستقلة عنهم فى وجود البنات، خاصة أن البنات يحتكرن عادة التفوق فى اللغة الإنجليزية وآدابها، فى حين أن انحطاط مستوى الأولاد وتدهوره هو مشكلة مزمنة فى التعليم الثانوى فى بريطانيا.

وقد أثبتت التجربة الفعلية، والنتائج التى أسفرت عنها فى مدرسـة (كوتسـولد) أن عدد الأولاد الذين نالوا درجات مرتفعة تتراوح بين *C,A* تزايد ٤ مرات عما كان الحال سيكون عليه لو أن الفصل كان مختلطًا.

كيف جرت التجربة؟

عند بداية التجربة قبل عامين أشارت الاختبارات القياسـية علـى مجموعـة أولاد فى سن الـ ١٤عاما، إلى أن ٩٪ فقط منهم سيحصلون على درجـات تـتراوح بـين *A* و*C* بعد عامين من امتحان *IGCSE*.

وتم تقسيم الأولاد فى فصول صغيرة العدد، وضم المنهج المقرر للغـة الإنجليزيـة فى هذه التجربة برنامجًا مكثفًا لتعليم الكتابة والإنشاء فـى اللغـة كلغـة، وروعـى فـى اختيار الروايات والمسرحيات، والأشعار أن تنطوى على مضامين رجالية، مثل أشعار الحرب، ومسرحية (ماكبث) لوليم شكسبير، ورواية (ملك الذباب) لجولدنج.

أما فى مقررات البنات فقد روعى اختيار روايات ومسرحيات وأشعار ذات طابع عاطفى أنثوى مثل رواية (جين آير) لشارلوت برونتى، ومسرحية (روميو وجولييت) لشكسبير.

وقد لاحظ المعلمون أنه قد حدث تغير فورى بين ٤٧ ولدًا، و٥٠ بنتًا من الخاضعين للتجربة، فالأولاد الذين كانوا يخجلون من الحديث عن انفعالاتهم وعواطفهم سواء عند قراءة الشعر أو المسرحيات ومناقشتها فى وجود البنات، أصبحوا أكثر قدرة فى الإفصاح عما فى أنفسهم وطوروا أسلوبًا يتسم بالنضج فى التعامل مع الموضوعات المختلفة.

وذكرت القياسات أن سلوك الأولاد وقدرتهم على التركيز وتمكنهم من القراءة السليمة وفنون الإلقاء والخطابة، ارتفعت مستوياتها جميعًا، وتشير بعض هذه القياسات إلى أنه لو أمكن الفصل بين الجنسين فى سن أصغر من ١٤ سنة لتحققت نتائج أفضل، ففى هذه السن يبدأ الأولاد فى الانصراف عن القراءة ويستسلمون للتليفزيون والكمبيوتر، ويستجيبون للنماذج الاجتماعية السيئة التى تعارض كل ما هو كلاسيكى أو أكاديمى، ويقولون إن ذلك يعنى أنه يمكن غرس عادات القراءة والاطلاع والبحث فى سن مبكرة تمكن الأولاد من مقاومة الهجوم الشرس للتليفزيون والكمبيوتر.

وهكذا، ازداد اهتمام الأولاد باللغة الإنجليزية وآدابها، وأشعارها، وحدث نفس الشيء للبنات، فالأولاد الذين حققوا نتائج تتراوح بين C وA زادوا أربع مرات، وبلغت نسبتهم ٣٤٪ بعد أن كان من المتوقع ألا تزيد على ٩٪ فى حالة الفصول المختلطة، أما البنات فقد تمكن من زيادة احتكارهن النتائج الجيدة فى اللغة وآدابها، فقد حققت ٧٤٪ من البنات درجات من A إلى C فى الأدب مقارنة بـ ٥٦٪ عام ١٩٩٥، ونالت ٧٥٪ من البنات نفس المستويات فى اللغة مقارنة بـ ٤٦٪ فى العام الماضى.

رأى الخبراء:

ينظر خبراء التعليم فى بريطانيا إلى أن هذه التجربة تشير بوضوح إلى إمكانية

التغلب على المشكلة الأزلية المتمثلة فى ضعف مستوى الأولاد فى اللغة الإنجليزية، وأنه يمكن الاستفادة بها أيضًا فى الارتفاع بمستوى البنات فى مادتى العلوم والرياضيات اللتين يتفوق فيهما الأولاد عادة.

والأهم من هذا كله أن هذه التجربة تتحدى الاتجاه الذى ظل يسيطر بقوة على سياسة التعليم الثانوى فى بريطانيا خلال الـ ٢٠ عاما الماضية، فقد ظل هذا الاتجاه يرتكز على فكرة أن الفصل بين الجنسين سواء فى فصول قائمة بذاتها، أم فى مدارس كاملة، هو أمر غير طبيعى وفصل تعسفي؛ ولذلك تناقص عدد المدارس المنفصلة من ١٢٠٠ مدرسة فى أوائل السبعينيات إلى ١٥٠ مدرسة فقط الآن.

ويقول الخبراء: إن التجربة يمكن أن تساعد فى التوصل إلى حل وسط بين قضيتى المدارس المنفصلة والمدارس المختلطة، إذ يمكن للفصول أن تفصل بين الجنسين، أما المدرسة فيمكن أن تكون مختلطة، ويضيفون أن الأداء الضعيف للأولاد فى اللغة الإنجليزية وآدابها مشكلة خطيرة والنتائج تبين أنه يمكن تحسينها بقليل من الجهد، ويقولون إنهم سيستمرون فى التجربة حتى يمكنهم التأكد من أن هذا التحسن سيستمر عبر السنوات، وليس مجرد أمر عارض أو طارئ.

رأى الآباء والأولاد:

فى البداية كان الآباء والتلاميذ يشعرون بتردد وقلق تجاه الانضمام للتجربة، ولكن النتائج التى أسفرت عنها جعلتهم يشعرون بالرضا عنها.

ويقول تلميذ: فى أول الأمر كنت أعتقد أن الفصل بين الأولاد والبنات نكتة سخيفة، ومع مرور الوقت أصبحنا أقدر على التعبير عن أنفسنا، وتقول تلميذة: ما إن انفصلنا عن بعضنا حتى أصبح الجو فى الفصل مختلفًا تمامًا فقد أصبحنا نعمل بشكل أفضل بكثير لأنه لم يعد هناك أولاد يثيرون ضجة ومماحكات، ويشتتون انتباهنا.

***

عرض حالة
مصيبة الشهوة فى بلاد الإباحية

السؤال:

الإخوة الكرام.. عندى مشكلة كبيرة، فأنا شاب أبلغ من العمر ١٧ عامًا وأسكن هنا فى أوربا التى -كما يعلم الجميع- انتشر فيها الفساد فأحيانًا تكون عندى شهوة كبيرة للحرام، ولا أستطيع أن أقف فى وجهه؛ فقمت -وللأسف- بالفاحشة ٤ مرات، وأنا الآن ندمان جدًا، مع العلم أنى من عائلة ملتزمة جدًا، وأنا أيضًا ملتزم محافظ على الشعائر الأخرى، بل وأقيم الحجة على غيرى، وعندى بعض المعرفة الشرعية، وقد نصحنى البعض بالزواج، ولكن هل أنا أعتبر جاهزًا جنسيًا للزواج؟ وهل يمكن أن يعرف قيامى بالفاحشة من خلال كشف طبى أو أى علامات كما عند المرأة؟ وكيف أستطيع التوبة والابتعاد عن المعصية والانتصار على نفسي؟ مع العلم أنى فى بلاد الغرب، وجزاكم الله خيرًا.

الابن الحبيب..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أنت الآن فى سن اندفاع الشهوة والعواطف كطبيعة تلقائية لنمو الغدد الداخلية بجسمك مع وجود بيئة مستفزة مثيرة. المشكلة التى تواجهها هى كيفية التعامل مع الشهوة الجنسية المتدفقة داخل نفسك، **ولذلك أقول لك:**

☺ استعن بالله واعتصم به وانوِ فى داخلك التوبة عن جميع ما مضى من الذنوب، والعزم على عدم العودة إليها، والتصميم على أن يسيطر عقلك على شهوتك وليس العكس.

☺ كن صاحب إرادة قوية نابعة من داخلك، فاصرف بصرك وذهنك عن أى مثير، واعلم أنه لا يوجد شيء اسمه حبوب إرادة، بل يوجد شيء اسمه شخص تعامل مع نفسه بحيث يقودها للأصلح والأنفع دائمًا.

☺ الصحبة الصالحة من أكبر الأمور المعينة على ذلك، فاختر أصدقاء لك من مثل سنك ودينك تتوسم فيهم الصلاح، واجعلهم شلة لك تتحرك معهم وتبث إليهم بما فى داخلك، وكن على اتصال بأقرب مركز إسلامى منك.

☺ التزم بممارسة الرياضة البدنية الشاقة حتى تحافظ على صحتك، وتجد مصرفا للطاقة التى بداخلك.

☺ إن كانت لك هواية من رسم، صيد، أدب، فنمِّ هذه الهواية.

☺ أكثر من الصيام والعبادة وقراءة القرآن.

☺ حاول شغل نفسك باستذكار دروسك، تعلم دينك، دورات كمبيوتر، دورات لغة، فهذه أمور نافعة.

☺ إذا كانت ظروفك العائلية والمادية تسمح لك بالزواج فافعل ذلك بسرعة، واستمع لنصائح والديك فى هذا، واجعلهم يشاركوك فى الاختيار، وطالما أنك بالغ عاقل ذو شهوة فأنت جاهز جنسيًا، ولكن الزواج ليس ممارسة جنس فقط.

وأقول لك: إن الله يعرف قيامك بالفاحشة، فما قيمة أن يعرف الآخرون أو لا، فقط تب إلى الله وشروط التوبة كما قال الفقهاء: ترك الفعل، الندم، العزم على عدم العودة، المسارعة فى الخيرات والعمل الصالح.

واعلم أن هناك أناسًا تحدث عنهم القرآن فقال: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ أرجو من الله أن تكون منهم.

عوِّد نفسك على مواجهة الحرام والصمود أمامه وتحديه فأنت فى بيئة لا يصح فيها إلا ذلك، والله تعالى يرعاك ويحفظك ويسدد خطاك.

الفصل الثالث

اللواط [الشذوذ الجنسي]

- التعريف
- تفسير الظاهرة
  - ظاهرة طبيعية
  - توقف فى النمو الجنسى
  - الاشتهاء المزدوج
  - خلل وراثى
- رأى جمهور الأخلاقيين وعلماء الدين :
  - الأسرة غير المترابطة
  - الابن الأكثر تدليلاً
  - الأب القاسى
  - الحياة الزوجية الفاشلة بين الأبوين
  - التخويف من الجنس الآخر
- بداية الظاهرة واستمرارها :
  - انعزال فى بيئة محدودة.
  - الحب المستمر للذكورة، وكراهية الأنثى.
  - ضعف الثقة النفسية الجنسية.
- بعض الصفات السلوكية المصاحبة للشذوذ :
  - النرجسية
  - عدم الارتواء
  - الوحدة
  - الانعزالية العاطفية
  - العلاقات الداخلية السيئة بين أصحاب الظاهرة
- والعلاج
  - رغبة الشخص فى الترك
  - الأدوية المهدئة
  - الجلسات النفسية
  - تغيير فكرة المريض عن نفسه
  - إيجاد بدائل شرعية
  - إيجاد تجمع جديد

اللواط [الشذوذ الجنسي]

[الصادومية]

Sodomy – Homosexuality

التعريف:

هو الميل الجنسى نحو نفس النوع، ومحاولة المجاذبة الجنسية معه، والاعتياد على ذلك، بحيث يصبح بديلاً كاملاً عن الميل الجنسى تجاه النوع الآخر كوسيلة لتكاثر النوع وبقائه.

فها هنا:

- اشتهاء وميل داخلي ← انفعال.
- نزوع نحو الممارسة ← سلوك.
- ثم الممارسة والاعتياد ← عادة مكتسبة معضدة.
- ثم الاكتفاء والاستغناء عن الجنس الآخر تمامًا.

وهى ظاهرة موجودة فى كل المجتمعات والحضارات. من مجتمع مغلق جدًا يفرض العزل بين الجنسين فى كل مجالات الحياة، ويصنع القيود على الزواج والممارسة الجنسية لغير المتزوجين سواء بسواء، إلى مجتمع منفتح جدًا يبيح الاختلاط الشديد مع إباحة التمتع بالجنس بكل صوره ولا يضع أى قيد سوى الإكراه. بل نلاحظ أنه أشد وأظهر مع الإباحية خلاف المتوقع.

تفسير الظاهرة: لم يصل أحد لتفسير نهائى أو متكامل لهذه الظاهرة ولنعرض الآراء ثم ننظر فى أمرنا ولا نكون كما قال الحكماء: نسير وراء كل ناعق، أو كلما جاءنا رجل أكثر جدلاً من الآخر تركنا ما عندنا وذهبنا وراءه!!

١- يرى البعض -فرويد وتقرير كنسي-:

أنها ظاهرة طبيعية موجودة فى كل إنسان، كامنة، تنتظر ظروفًا خاصة لإظهارها أو تظل مكبوتة فى اللاوعى بسبب بالظروف المانعة من القانون والتقاليد والمجتمع وقيم الفرد ومعتقداته، ولكنها موجودة وتعبر عن وجودها بصيغة ما.

ويفترض أصحاب هذا الرأى أن الرجولة والأنوثة الكاملة افتراض عقلى لا وجود له، بل هناك نسبة أنوثة فى الرجل ونسبة رجولة فى الإناث، تتفاوت فى كلا الطرفين. ولم يكلف أصحاب هذا الرأى خاطرهم بإحضار دليل على قولهم.

وخريطة الجينات تم اكتشافها، ولو كانت على الجين لأعلنوها ونشروها وحاربوا بها كل فضيلة ودين.

لم يستطيعوا تفسير ظواهر شاذة أخرى؛ إتيان البهيمة، إتيان الموتى [هل كل إنسان فى داخله نسبة من اشتهاء البهائم والموتى؟ ولكن بنسبة متفاوتة كما يدعون].

- لم يفسروا الميل الجنسى ناحية الأشياء اللاجنسية [الكلف بالأشياء].

- ولم يفسروا أيضا السادية والمازوخية وهما ظاهرتان منحرفتان داخل الميل الطبيعى.

٢- هناك من يرى أنها توقف فى مرحلة التطور الجنسى وتثبيت عند مرحلة معينة، مرحلة الكمون الجنسى من ٦-١٠ سنوات حيث يميل الأطفال الذكور للعب مع جنسهم المثلي، والإناث كذلك لا يملن إلى اللعب مع الجنس الآخر.

وهذا التثبيت سببه: خلل فى الغدد، ظروف معينة فى البيئة، أحداث خاصة تمر بالفتى أو الفتاة فى تلك المرحلة.

ورد المعارضون عليهم بالآتى:

مرحلة الكمون الجنسى معناها عدم الميل إلى الجنس الآخر، وليس معناها اشتهاء الجنس المثلى - من أين أتيتم بهذا المعنى الإضافى ثم تثبتموه؟

- ماذا تقولون عن حدوث التثبيت فيما قبل هذه المرحلة وخاصة من ٢-٥ سنوات، حيث يميل الطفل إلى الوالد من الجنس المقابل؟ هل التثبيت فى هذه المرحلة يلغى ما بعده أم أننا أمام مجموعة تثبيتات افترضتموها فرضًا ثم بنيتم عليها فرضكم؟

مع نفس الافتراض السابق من قال: إن ميل الطفل إلى الوالد من الجنس الآخر هو جنسى التأويل؟

الكلام هنا لـ «يونج» أشهر الخارجين على فرويد وليس كلام المشايخ والمتدينين.

لم يفسروا أيضًا الظواهر الأخرى التى سبق ذكرها.

٣- يرى البعض أن نسبة كبيرة من الشواذ هم من ذوى الاشتهاء المزدوج *bisexual* أى يمارسون الجنس العادى والشاذ معًا، وأن القضية حسب الظروف وحسب التساهيل؟ كما يقول العوام.

وهذه النظرية تخرج عن التعريف الأصلى للشذوذ، ويتم التصنيف طبقًا لها إلى أسوياء، شواذ، مزدوج.

والحقيقة أنها تدليس، فالقضية هى أصلاً ظاهرة من ظواهر عدم النضج النفسى الجنسى حيث الطاقة الجنسية لم تتوجه أصلاً إلى شيء محدد، نتيجة قصور فى الخيال والخبرة، وعدم توجيه نهائى من الآخرين، فتبقى الطاقة على صورة فجة يتم تصريفها فى أى اتجاه ومع أى جنس وبدون تمييز بين الطفل والكبير، ويمكن تسميتها بالأدق تخلفًا جنسيًا، أو بدائية نفسية جنسية أقل بكثير من أحوال القبائل البدائية والحيوانات الراقية؛ لأنها تعرف وتميز بين ما يشتهى وما لا يشتهى.

ونضيف أيضا: إن تلك المقولة لم تفسر الأنواع الأخرى من الشذوذ..

٤- خرجت علينا «النيوزويك» فى التسعينيات بأن دراسة أجريت على عينة من الشواذ وأثبتت خللاً فى منطقة الجسم الصنوبرى فى المخ فى بعض الخلايا *Postlat nucleas thalamus*، وهللوا لهذا البحث وكبروه وعظموه، ولكن سرعان ما اختفى فهو فى حدود العينة المدروسة ولا يمكن التعميم على كل الحالات.

عودة جديدة لموضوع الجينات أو الوراثة.. محاولة يائسة لإثبات أنهم مظلمون [فهذه خِلقتهم]. جبرية جديدة حيث تعفى المرء من تبعات أفعال معينة وتلوم على القدر الذى سببها، ويسمون هذا باسم جديد ولكن بنفس المعنى [النظرة اللاعقلانية للأمور].

هناك أمراض ثبتت وراثيًا مثل ارتفاع الضغط وارتفاع سكر الدم، أما هذه الفعلة فلم تثبت وراثتها.

٥- رأى جمهور الأخلاقيين ورجال الدين:

إنه مرض اجتماعى نفسى مكتسب يرجع إلى أسباب نفسية قوية فى الطفولة، وتمتد إلى ما بعد المراهقة والأسرة غالبًا هى المنبع.

أ- فقد تكون الأسرة غير مترابطة والأم بخاصة مهملة غير متتبعة للصغار، ولا تحيطهم بعنايتها، ولا تسأل عنهم فتتركهم نهبًا للغرباء أو الخدم.

ومثل هذه الأم تكون غير مشبعة لحاجة الطفل للحب والحنان واللذين يجدهما عند من يمارسون معه هذه الفعلة. والملاحظ فى الشواذ: أن قليلاً جدًا منهم عندهم نضج عاطفى.

ب- فقد يكون الابن الأكثر تدليلاً -الأصغر- الوحيد، ويكون الولد كما يصفه التعبير الدارج [ابن أمه] ويفهم كلامها معه واحتضانها الشديد على أنه لذة وإحساس جنسى [ويكون هذا فى سن مبكرة جدًا]، ويصاحب انعدام الممارسة فهو لا يجامع أمه، وهى لا تسمح بذلك فينشأ فاشلاً فى أى علاقة جنسية مع أى امرأة، فيقف عند هذا الحد ويعيش عنينًا أو ينتقل تلقائيا لنفس الجنس.

ج- وقد يكون الأب قاسيًا جدًا يظهر عداء مستمرًا لأطفاله مع انصرافه عن تربيتهم، وهذا الأب يزرع فى ابنه:

- مشاعر الخوف والخجل فينشأ فاقد الثقة فى نفسه.
- ينشأ مبتعدًا عن والده ويحاول قدر طاقته أن ينمو مختلفًا عنه بل ويكرهه، فلا يقلده فى أى شيء.. حتى الجنس.

- يسعى لاكتساب الحب والحنان عند آخر بديلاً عن أبيه ويلتقى بالقدر مع رجل شاذ كبير.
- يفتتن برجل أكبر منه فى محاولة اكتشاف ذاته وخبايا مستقبله.

د- الأم فاشلة مع الأب؛ فتسعى أن تجعل ولدها بديلاً غير منطقى لزوج غير كفء، فينشأ الطفل مهذبًا ممتازًا مع النساء بغير شهوة جنسية معهم، وهذا سيصبح رجلا عنينًا أو رجلاً شاذاً.

فالأسرة والتنشئة الاجتماعية هى العمود الأصلى فى الموضوع وهذا الأمر له شواهد قوية وكثيرة يعرفها كل من له باع فى علم الاجتماع أو التربية أو علم النفس أو الأمراض النفسية.

والقصة معروفة عندهم.. متى وكيف بدأت القصة؟ كيف تم تعضيدها؟

هـ- وكنت أظنه لا يحدث حتى اصطدمت به فى حالتين متتابعتين:

الأسرة، رغبة منها فى زرع الفضيلة..خوفا منها فى وقوع الأبناء فى الفاحشة.. تفعل كما فعلت الدبة بصاحبها..

- استمرار التخويف من البنات وأنهم خبثاء ومصلحجية.
- الرعب من الجنس والتخويف بل التعقيد منه وبصورة مستمرة وحادة.
- ويضعون كلمة الجنس محل كلمة الزنا، والأمر ليس كذلك.

فينشأ الطفل مفضلاً الميل والانجذاب إلى الجنس الأقل خطورة والذى لم تشوهه وتحذر منه الأسرة، ويسمون ذلك عندهم «نظرية الخوف من الأفضل».

أحداث فى المراهقة: وكما تبدأ القصة كالعادة فى الطفولة، قد تبدأ فى المراهقة والمتتبع للحالين يجد ثلاثة عناوين:

أ- رجال بمفردهم فى حياة متلاصقة جدًا، حيث تجد الشذوذ منتشرًا بين فئات معينة:

طلاب المدارس الداخلية - معسكرات الجيش - السجون والإصلاحيات والملاجئ.

فاستمرار المعايشة فى المكان المغلق قد يدفع بعض العينات إلى الممارسة.

ب- الحب المستمر للذكورة وليس للأنوثة: وهو شعور بعدم الحاجة إلى الجنس الآخر، متزامن مع ضعف الثقة بنفسه ورجولته:

١- احتقار النساء كشخص ضعيف وسلبى يراه فى صورة أمه مع أبيه [مطيعة ومستسلمة] ولكنها معه هو [مسيطرة وقوية].

٢- يتزامن مع شخصية والد خشن وشرس يراها الطفل يفشل فى أن يصبح مثله.

فقد أخذ هذا الطفل معه إلى المراهقة أسوأ ما يأخذه شخص من قومه.. كراهية أمه ثم النساء بعدها، مع عجزه أن يكون مثل أبيه، فيأخذ رجالاً مثله ويكون تابعًا لهم.

٣- ضعف الثقة، فى نفسه وبالتالى فى رجولته وتتوالد من هذه الفكرة أفكار متتالية بشعة تحطم الثقة أكثر.

فهو يشعر بعجزه عن أن يجد لنفسه مكانًا بين الرجال ويشك فى رجولته وغير مقتنع بها، ويرسخ ذلك الوهم فيبحث عنه عند آخرين رجال.

ويشعر [تحت أوهام المراهقة] بصغر حجم أعضائه التناسلية فيبحث عن ذكر يملك جهازًا تناسليًا أقوى، هكذا يذهب الوهم بالإنسان فيلقيه فى غيابات الجب.

٤- وعينة أخرى تميل فى داخلها وأعماقها للأنثى، ولكن يسيطر عليها العجز وضعف الثقة بالنفس، والخوف من الجنس، فيبحث عن رجل له صفات الأنثى، ولكنه ليس بأنثى.

فالدوافع متعددة ولكنها تكاد تتفق على نقاط:

- أحداث جنسية فى الطفولة مؤثرة ومستمرة.
- ضعف شديد فى الثقة فى النفس.
- ضعف فى تحديد الهوية الجنسية.
- بيئة فظيعة [مهملة أو ماجنة].
- غياب الوازع الدينى أو ضعفه.
- محاولة إشباع كاذب لنقص الحب
- وحدة وفراغ وشباب.

بعض الصفات السلوكية المصاحبة للشذوذ

واسألوا عنها أقسام الشرطة ورجال القانون أولاً، فعندهم تنكشف الوقائع. واسألوا عنها رجال علم الاجتماع حيث ذكروا أن السلوك عند الشواذ مرتبط مباشرة بتلك الظاهرة، بمعنى أنه يكثر جدًا عند من يعانون منها ويكاد يرتبط [بأخلاق الظاهرة] مثلما ترتبط بالمهنة أخلاق معينة تكثر عند مزاوليها مثل [قيادة السيارات، الحرفيين].

١- النرجسية وحب الذات [الأنانية الشديدة والتمركز حول نفسه فى علاقته مع الآخر]، فهو يحب الطرف الآخر؛ لأنه يشاركه فى حياته وإحساساته، فيسعى بكل الطرق للاستحواذ على رفيقه، ويضايقه ويغار عليه بل ويؤذيه وقد يقتله أو يجرحه. وهى أكثر من التى بين الرجل وزوجته بمراحل. فالرجل يترك لامرأته شئون تصرفها دون تدخله إذا كان سويًا والمرأة كذلك.

ولكننا فى هذه الحالة نجد تدخلاً فى كل صغيرة وكبيرة، وكل طرف يفرض على الآخر شروطه وحقوقه ويحاسبه على النقير والقطمير، وبصورة واقعية جدًا العلاقة أسوأ بكثير من التى بين الرجل وامرأته ومصيرها دائما الفشل، فصورتها المعلنة الغيرة وصورتها المخفية النرجسية، وتصل إلى النهاية الطبيعية لعلاقة منغصة غير ممتعة وغير مريحة، وأسوأ بكثير من الطلاق النرجسى بين الرجل وزوجته.

٢- لا يشعر كلاهما بالارتواء الجنسى الذى يحلم به، فأصل العلاقة أنها غير متكاملة، ومع الشعور بعدم الارتواء يسعى إلى التكرار والتغير فى الأوضاع فيقع تحت طائلة أمرين يجد نفسه حبيسًا بينهما:

- قوة العادة والتكرار وسيطرته على النفس.
- سعار الشهوة، فيصبح كالبهيمة لا يبحث إلا عن شهوته، ولا يُنتفع به أو بهما فى أى مجال من مجالات الحياة الأخرى، فالطاقة النفسية

مستهلكة ومجهدة فى مجال واحد ومحدد تمامًا مثل مدمن الهيروين وزير النساء.

٣- الشعور المشترك العام بين جميع من يفعلون ذلك هو الوحدة وعذاب الوحدة. وذلك الشعور منفردًا -إذا كان فى غير الشواذ- قاتل للنفس ومدمر لها.

ويتبع ذلك ممارسة الشذوذ بحيث يصبح المصدر الوحيد للسعادة بما يحمل من عاطفة، وإن كانت شاذة، ويضع كلمة فى دماغه وينطقها لسانه [أنا لا أشعر بالسعادة الحقيقية إلا عند ممارسة الشذوذ].

ولو التفت يمينًا أو يسارًا ليسلى وحدته ويشعر بالسعادة، ولو أقل، لفر من الشذوذ كما يفر المرء من الأسد.

٤- الانحراف والانعزال العاطفى أو الشعورى عن المجتمع يدفعهم دفعًا إلى البعد عن الأسوياء وعن المجتمع، وهنا تبدأ النهاية.

٥- العلاقات الداخلية بينهم كتجمع ذى صفات خاصة غير مستقرة، والسبب عدم وضوح وثبات المشاعر بصورة تحدد طبيعة واحتياج كل منهما للآخر وكل منها لغيره. والأمر واضح فالعلاقة بينهم أصلاً غير طبيعية.

٦- يزداد الأمر تعقيدًا عندما يؤسسون رابطة لتجمعهم حتى يسهل التفاهم والتواصل بينهم، حتى يحلوا مشاكلهم المتزايدة النفسية والاجتماعية والصحية والقانونية، ثم يتحدثون عن حقوق الشواذ، وبالمناسبة هم حريصون أشد الحرص على استخراج بطاقات انتخابية حتى يؤثروا فى صناعة القرار.

ونحن نفهم تمييز الناس على أساس الموطن، الديانة، ذكر أم أنثى وعلى هذا تكون حقوق وواجبات وممنوعات، ولنضف إلى القائمة بندًا جديدًا الميل الجنسى، وعلى أى أساس أعطيهم حقوق والأعجب فى الأمر أن الدول التى أعطتهم

امتيازات وحقوقًا، تنادى فى نفس الوقت بعدم التمييز بين الناس بسبب الوطن، الديانة، الجنس، اللون، أم أنها حرام هنا وحلال هناك؟ اللهم إلا إذا عاملناهم على أنهم معوقون أو تحت فئة الإعاقة الخاصة وهم يرفضون ذلك قطعًا وحتمًا، فهم مصرون على أنهم صورة من صور الأسوياء.. إذن لماذا تطلبون امتيازات خاصة؟.

والحقيقة الوحيدة فى هذا الأمر هى شعورهم الداخلى الصادق بأنهم منبوذون، مضطهدون، معزولون، غير أسوياء.

العـــــلاج:

بداية نشير إلى حقيقة علمية يتم تغييبها أو نسيانها ضمنًا:

أكثر المصابين بالإيدز تقريبا -فيما عدا الإصابة الناتجة عن نقل دم ملوث- هم من الشواذ والساقطات، حيث ممارسة الجنس فى الدبر ولفترات طويلة ومتقاربة حيث وجود السائل المنوى فى غير مكانه المعد له فسيولوجيًا، ثم تبدأ تفاعلات المناعة فى الارتباك، وتضعف، ثم يتمكن الفيروس الملعون من الجسم كله ثم يتتابع فقدان المناعة.

وقد قال صاحب مجلة *play boy* الجنسية الشهيرة عندما واجهوه بذلك: «أخيرًا استيقظ الإله غاضبًا»، كبرت كلمة تخرج من فيه، فالله لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام.

ثم ماذا؟

بدلاً من أن يتوجهوا إلى محاربة الرذيلة ومنع الفعل لمصلحة الصحة العامة للمجتمع على الأقل، أو للحفاظ على ماليات الدولة، توجهوا إلى تقدم الطب والأبحاث وغضوا الطرف عن النقطة السابقة علمًا بأنه ثابت أن فلسفة الطب تقوم على الوقاية أولاً ثم العلاج للحالات المتبقية ثانيًا.

فالقضية ترتيب أولويات وليست قضية النظر إلى نقطة واحدة وترك الباقى حتى لو كان أولى منها.

ولندخل إلى العلاج:

أولاً وثانيًا وثالثًا:

رغبة الشخص فى ترك الفعل والتخلص منه، وعلى حسب قوة الرغبة واستمرارها تسير العملية العلاجية إلى الشفاء التام أو الانتكاسات أو الفشل.

فالشخص القادم بنفسه إلى العيادة

- غير الذى يأتى به أهله.
- غير الذى تأتى به الشرطة.

والتعليمات الموجهة إليه محددة:

١- ترك الفعل نهائيًا، الممارسة، وعدم الاستحسان للدوافع الداخلية أو الخارجية، وهى كثيرة وضاغطة عليه.

٢- الاستعانة بالمهدئات ومضادات القلق والاكتئاب، كل حالة بحالتها، وبجرعتها الخاصة بها، فالصراع بدأ ولا بد من التدخل العلاجى.

٣- الاستعانة ببعض الأدوية المعززة والمثيرة للامتعاض والرغبة فى القيء عند اشتداد النباح الداخلى أو الضعف والإقدام على الممارسة.

وتستغرق هذه المرحلة ما يقارب الشهر.

ثم يأتى دور الجلسات النفسية:

تاريخ جنسى مفصل: يتم سرد الأحداث سردًا فى البداية. ثم تفصيلها والتعليق عليها، وتحليل المواقف وكيفية تراكمها وتعضيدها.

وهذا الأمر ليس بالأمر الهين فلا بد من صبر المعالج، وتعاون المريض.

ثم يأتى الدور المهم:

١- تغيير فكرة المريض عن نفسه.

٢- محاولة إكسابه الثقة الضائعة فى نفسه وقدراته.

٣- تقوية الوازع الدينى كرادع داخلى أصيل.

ثم البديل: وأشترط شرطًا أن يكون حلالاً

ونقصد بالبديل:

- الممارسة مع الجنس الآخر.
- إشباع العواطف والحنان والاهتمام بطريقة جديدة، وليست على نهج الطفولة التى يبحث عنها ولا يجدها.

وآخر خطوة:

تجمع جديد بديل عن القديم المهلهل، فلا بد من ملء الفراغ كشرط أساسى لعدم الانتكاس، وعند هذه اللحظة أنصح المعالج بالابتعاد عن المريض قدر الاستطاعة؛ لأن النظرة الجديدة له ستكون كالآتى:

- إنه يذكّر المريض بمرضه القديم.
- إنه يعرف سره، فقد انكشفت عند هذا الشخص العورة والزلة.
- قد يظن المريض أو المعافى أنه يبتذله ويستغله.

وقد لا يحدث هذا، ولكن على أية حال فالعلاقة بينهما كمريض وطبيب قد انتهت.

اسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينجى أولادنا وشبابنا من هذا الداء ويجعلهم أسوياء، اللهم آمين.

***

الباب الرابع

الحاجة إلى الاستقلال الاقتصادى واختيار المهنة

الفصل الأول:

- وجهة نظر مقارنة.

الفصل الثانى:

- الصعوبات الحالية فى نظام التعليم وانعكاسها على المراهق.
- الأهداف التربوية من العملية التعليمية.
- الأم التى تحل الواجب لابنها.
- دور الأم المطلوب.

الفصل الثالث:

- الدوافع وأهميتها فى عملية التعلم.
- الإرادة كمفهوم أساسى فى الحياة.

الفصل الرابع:

- مشاكل المذاكرة.

الفصل الخامس:

- المهنة وهوية الإنسان.

الفصل الأول

وجهة نظر مقارنة

- **المجتمعات القديمة وقضية التكسب.**
- **المجتمعات الحديثة وقضية التعليم.**
- **عيوب طريقة التعليم الحالية.**
- **اقتراحات لحل الأزمة.**

مقدمة:

سنتناول -بإذن الله- فى هذا الباب قضية مهمة وإن كانت غريبة على الأذهان، فالهوية وتحديد الذات -من أنا- جزء مهم فى نفس الإنسان، وجزء واضح منها ما هى مهنتي؟ فالمهنة جزء منها الاكتساب والمعيشة وجزء منها تحديد الذات.

ولقد اخترعت النظم الحديثة نظام المضى فى قدر معين من الثقافة والخبرة أحيانًا لتحديد مهنة معينة.

وقديما كان الشاب عندما يقارب البلوغ، يدفعه والده ومن حوله للاكتساب والتعايش، وليختار مهنة من المهن المتاحة بالمجتمع (زارع، صانع، تاجر، حرفي)، ويمضى فى اكتساب خبراتها، وحسب قدراته الذهنية والبدنية ينمو ويكبر. فكان الإنسان مبكرًا، ومبكرًا جدًا يشعر بذاته ويتكسب ويتزوج ويعيش حياته.

أما الآن فقد فرض نظام التعليم سنًا أعلى حتى يبدأ الشاب حياته بعد الثامنة عشرة لحملة المؤهلات المتوسطة وبعد الرابعة والعشرين لحملة المؤهلات العليا.

هذا عدا الدراسات العليا والتجنيد، فيبدأ الشاب حياته حوالى الثلاثين من عمره، وتنتج عن ذلك أوضاع اجتماعية ونفسية جديدة تبدو فى عين الفاحص أكثر رداءة حيث:

- يعيش المرء عالة على والديه أو من حوله حتى تلك السن.
- تموت القدرات الذهنية المتوجهة ناحية الاكتساب والتعايش أو تنمو ببطء شديد.
- ازدياد النهم على الكسب السريع بأى طريقة، وضاعت معانى الكفاح والصمود والصبر، فخرجت للحياة عينات أقل جودة.
- تأخر سن الزواج وما يتبعه من أهوال ومتاعب.

والغريب أن الجميع راضون بذلك، وكأنه قدر الله عليهم الذى لم تصنعه أيديهم، تمامًا مثل المطر والسحاب والزلازل، لا حيلة لهم فيها أو قدرة على دفعها، وصدق قول الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

وتأتى الطامة الكبرى:

نظام التعليم فاسد ومضيع للأوقات، ولا يخرج أى طاقات فى الإنسان، مجرد كتب يحفظها وينساها بعد الاختبار. فالقضية قضية مجتمع بأكمله تنعكس على نفسية الشاب انعكاسًا مباشرًا.

ولا بد أن يتكاتف الجميع: الفرد والأسرة والدولة فيها، وهناك نقاط أساسية أقترحها كبداية لتحطيم الصنم، صنم التعليم والشهادة:

١- تشجيع الشباب على الزواج المبكر والوقوف بجانب الأولاد وتأييدهم ماديًا ومعنويًا رحمة بهم، وكما نبيع العفش من أجل إكمال التعليم نفعل ذلك من أجل زواج ابننا.

٢- إلقاء الضوء وبشدة على ضرورة التكسب والاشتغال على الأقل أثناء الإجازة الصيفية، حتى يأكل الولد من كسب يده ويفهم قيمة المال ولا يضيعه.

٣- اتباع نظام التعليم المفتوح، وأقصد به أن يدخل الامتحان متى سمحت الظروف بذلك بدون حساب مرات دخول أو دفع مصاريف، ولتكن هناك مجانية للنابهين والمتميزين حتى ينتهوا من الدراسة فى أسرع وقت ممكن.

٤- التجنيد لا يكون إجباريًا بل اختياريًا وبمرتب شهرى معقول، ولحظتها سيلجأ الكثيرون إلى التجنيد بدلاً من أن يتفننوا فى الهروب منه.

٥- إن لم يتيسر جعل التجنيد اختياريًا فليكن إجباريًا عند سن معينة -الثلاثين مثلاً- ولتعاد نظمه الخاصة بالفترات اللازمة لقضائه وفقًا لحاجات الدولة والحالة البدنية والاستعدادات الخاصة وليس وفقا للمؤهل الدراسى.

٦- يعاد النظر فى التعليم الفنى برمته، بحيث تتعدل معه النظرة الاجتماعية لحامل مؤهله، فالدولة بحاجة ماسة إلى فنيين زراعيين، وطبيين، وصناعيين، أكثر من حاجتها إلى موظفين على المكاتب كما وصفهم الشاعر:

محفلط مزفلط كثير الكلام قليل الممارسة عدو الزحام

ولنتحدث الآن عن قضية التعليم وصعوباتها، والمذاكرة وصعوباتها، كمحاولة لترقيع الثوب الذى اتسع خرقه، وصعبت محاولة الراقع على إصلاحه.

* * *

الفصل الثانى

مناقشـــة الـــواقع

أولاً: الصعوبات الحالية فى نظام التعليم.

ثانيًا: الأهداف التربوية الحقيقية من العملية التعليمية.

ثالثًا: الأم التى تحل الواجب لابنها.

رابعًا: دور الأم المطلوب.

الصعوبات الحالية الموجودة فى نظام التعليم والتى تمثل مصدر قلق للأسرة والمجتمع:

١- المدرسة لا تعطى الجرعة المطلوبة منها تربويًا أو تحصيليًا.

٢- الدروس الخصوصية.

٣- المدرسة كمؤسسة مهمة من مؤسسات المجتمع فهى مطالبة:

- بتهيئة النضج والنمو الاجتماعى للطالب من خلال علاقاته الاجتماعية بمن حوله: الطلاب، المدرسين، الناظر.
- توجيه القيم الصالحة والأعراف: وهى لا تفعل ذلك.

انعكاس الصعوبات على الأسرة:

- الجيل الجديد ليست لديه رغبة فى البحث والتنقيب فى المسائل العملية أو الثقافية.
- ونسبة لا يستهان بها تحتاج إلى الدفع والتشديد فى الاستذكار والتحصيل.

- وتصاب بعض الأمهات بحالة نفسية حينما ترى الأولاد غير متفوقين.
- ويستغل بعض المراهقين قضية المذاكرة كوسيلة للضغط على والديهم وابتزاز أموالهم.

وقد رأيت بنفسى أمًا تحضر الدرس بدل ابنها ثم تشرحه لابنها، لأن الصغير صاحب الثمانية عشر عامًا لا يصبر على الجلوس على الدرس، فتطوعت بحضور الدرس نيابة عنه ووافق هو مشكورًا على ذلك.

ورأيت بنفسى أمًا تقول عن ابنها: إنه غير ملتزم أخلاقيًا، وهى تعرف ذلك لكنها راضية؛ لأنه آخر السنة "بيعرف ينجح وأحيانا بتفوق".

الأهداف التربوية من العملية التعليمية:

١- تعليم تحمل المسئولية وأن قضية المذاكرة هى أساسًا قضية مهمة مطلوب إنجازها، وليس حفظ المعلومات.

٢- التفاعل مع العقبات والمشكلات الموجودة بسبب المذاكرة ونضج الشخصية من خلال ذلك، ويأتى الوالدان بمنتهى الحماسة والخطأ يحلون جميع المشكلات، والتى تستحق تدخلهم أو لا تستحق ليقدموا المذاكرة على طبق جاهزة له، وبدلا من أن يشب معتمدًا على نفسه يشب معتمدًا على والديه.

٣- التدريب على المهارات:

فيجب أن يتعلم الطالب:

- ☺ ترتيب الأوراق المطلوبة.
- ☺ تنظيم الوقت.
- ☺ كيفية التفكير فى المسائل.
- ☺ التدريب على الانتباه والتركيز.
- ☺ التدريب على الحفظ والتسميع.

والمفروض أن الطفل تحت التاسعة تساعده أمه وتتدخل بصورة مباشرة، ثم يتم ابتعاد الأم تدريجيًا حتى تتركه تمامًا في نهاية الإعدادي، ولا تتدخل إلا عند وجود مشكلة هو نفسه غير قادر على حلها، أو هي أكبر منه وتحتاج لتدخل الكبار.

ونؤكد على أن قضية الأم التي تفتش عن الواجبات:

☺ تتأكد بنفسها من إتمامها.

☺ تتابع إتمامها جملة وتفصيلاً بل وتقوم بحلها أحيانًا وبخطها.

☺ تتعصب وتتشاجر دائمًا مع الطفل بسبب المذاكرة.

هي قضية أم قلقة أكثر من قضية طالب مستهتر أو لا يذاكر.

وهذه الطريقة لها عيوبها:

١- تفقد الطفل إحساسه بالمسئولية، وأنه يجب أن يقوم بهذا العمل بنفسه ولنفسه وليس لوالديه.

٢- تقوم الأم بحل المسائل والواجبات، والطفل جالس يتفرج، وأحيانًا تكتب هي بخطها؛ فيفقد الاعتماد على نفسه لقضاء أموره.

٣- إنها تقوم بالتفكير نيابة عن الطفل، وتصيب مهارة التفكير والإبداع بشلل مؤقت أو مستديم وتُخرج إلى الحياة رجلاً عندما تمر به مشكلة يلجأ للآخرين كي يحلوها له. وتورثه الاعتمادية بشكل عام في شخصيته.

وقد تتبعت حالات وجدت فيها إحساس الأم بالدونية والإهمال، فتعوضه بأن تفعل كل شيء لطفلها حتى تصبح كل شيء في حياته.

دور الأم المطلوب:

دور الأم هو المتابعة والتأكد لحسن سلامة عملية الاستذكار، ويقل الدور تدريجيا حتى يتلاشى تقريبًا في نهاية الإعدادى.

وتصحيح الواجب مهمة المدرس وليس مهمتها.

وتُعلم الطفل من خطئه وإعادة التصحيح أفضل بكثير من إعطاء حل جاهز وقد حدثنى زميل لى متفوق جدًا قائلاً:

لا أذكر أن أمى طالبت أحدًا من أولادها بالمذاكرة أو قالت له: ذاكر، كل ما أذكره أنها كانت تقول:

كل واحد يأخذ باله من نفسه ويزقها لقدام، التعب راحة والراحة متعبة، اللى مش هايذاكر من نفسه من غير ما حد يكلمه عمره ما هايفلح فى حاجة بعد كده. وكل أولادها والحمد لله دخلوا كليات القمة.

كان يحدث فى بيتنا شيء عجيب:

كانت حبيبتنا تأتى وتقول: كفاية مذاكرة بقى، عينيك هاتوجعك، قوم اتهوى فى البلكونة. كانت تغلق المنبه وتقول سيبوه ينام شويه، ثم ماذا؟ خدمة على أعلى مستوى.. الأكل على الصينية، وبعده الشاى، المكان نظيف مريح..

اللهم أكرمها كما أكرمتنا.

قضية الدروس الخصوصية: تأجيلها بقدر الإمكان هو أفضل شيء فلابد من تفعيل مواهب الطفل وقدراته على حل المشكلات الدراسية التى تواجهه، كإعادة التفكير فى الأمر، والبحث والتنقيب عن الحل مع آخرين، والسؤال عما لا يعرف، كل هذه أمور أهم من فهم الدرس، ثم قضية تقديم الدرس على طبق جاهز! كل المطلوب منه هو حفظ هذه الكلمات!!

انظروا كيف تختزل العملية التعليمية التى يكتشف من خلالها الفرد مواهبه إلى كلمات تحفظ!! فضلاً عن تضييع الوقت ساعة قبل الدرس وساعة بعده، ثم يرجع منهكا ولو هناك درسان فى يوم واحد يضيع اليوم كله.

* * *

الفصل الثالث

الدوافع وأهميتها فى عملية التعلم

- **عرض مشكلة (لا أحب مذاكرة اللغة الإنجليزية ماذا أفعل؟).**
- **الإرادة كمفهوم أساسى فى الحياة.**

تعتبر الدوافع من أهم العناصر المحركة والمحفزة للسلوك فى حياة الإنسان عامة والتعلم بصفة خاصة فهى:

١- تمد الإنسان بالطاقة والنشاط.

٢- تساعد الإنسان على تحديد أوجه النشاط المطلوب ووضوح الرؤية.

٣- تركيز الانتباه والجهد مع عدم التشتت.

ومن هذا المنطلق فلنقم بتوضيح دوافع للتعلم وفى كل مرحلة، وحسب نضج الطالب واستيعابه، بمعنى أننا نضع حافزًا للطالب إذا كان لا يوجد حافز داخلى.

فى الابتدائى:
- ذاكر علشان تبقى حلو وشاطر.
- ذاكر علشان بابا وماما يحبوك.

فى الإعدادى:
- أنت كبير ولازم تعرف مصلحتك.
- علشان تبقى محترم لازم تأخذ شهادة.

فى الثانوى:
- عايز تطلع إيه.
- حدد هدفك.

لا بد من الجلوس مع الطالب ومناقشة أهدافه ودوافعه، وهذا ليس بكماليات بل أساسيات حتى يشعر بذاته.. يكّون رسالة خاصة به.. يحدد المشاكل والحلول.. يحدد خطة عمل..

ولا بد أن نعلمه أن:

- الفشل هو بداية النجاح ولا بد من المحاولة وإعادة المحاولة.
- تخطى العقبات هو مقياس لنضج الشخص.
- المتابعة وإعادة الاستذكار جزء من خطة المذاكرة لا يصح إهماله وأن التكرار يعلم الشطار.
- الفهم يسهل التذكر وأن المادة التى لا تفهم أسرع فى النسيان من غيرها.
- علم نفسك فهذه قصة الحياة كلها وليست قصة المدرسة فقط.
- قم بتحليل أى مشكلة إلى عناصرها ثم اقترح الحلول.

لا بد أن نعلّمه ذلك ونناقشه قبل بدء العملية نفسها، وإلا سندور فى فراغ، وقد لفت انتباهى أن المدرسة فى الولايات المتحدة الأمريكية ترسل رسالة للأب:

ما هى طموحات ابنك وآماله؟

ثم تتابعه:

ماذا فعلت لتحقيق طموحاته وهل تغيرت

ولما سألت لماذا فى الابتدائي؟ أجابوا: يجب أن يتعلم أن يكون له هدف فيما يفعله.. وبعد ذلك يصير هذا الأمر عادة عنده وبعدها سيمضى فى الحياة.

فوجود الدوافع والأهداف حتما سيؤدى إلى دفع الذهن إلى التغلب على الصعوبات التى تواجه الفرد، ومحاولة التغلب عليها وتذليلها.

وعلينا عند وجود صعوبة ما أن نحلل تلك الصعوبة إلى عناصرها المحددة، ونحاول التغلب عليها ونعلم أولاً طريقة التفكير فى الصعوبة.

مثلاً: لا أحب مذاكرة اللغة الإنجليزية وأهرب من الحصة، وإذا حَضَرت أسرح وأفكر فى حاجة ثانية.

نقول له:

الجملة دى عايمة، حدد بالضبط أين المشكلة، هنا ينتبه ويفكر وقد تكون الإجابة:

☺ عدم استيعاب القواعد اللغوية *Grammer*.

☺ صعوبة حفظ أو نسيان الكلمات.

الــرد:

القواعد: نحضر شريطًا لشرحها، نستعين بأحد يفهمنا.

الكلمات: التكرار.

ثم نكتب بروتوكولاً ونتفق على تنفيذه.

ثم نشجعه ونتابع معه التنفيذ.

ثم نكافئه على الإنجاز.

وهكذا تؤتى العملية التعليمية ثمارها..

☺ وتنضج شخصية الطالب..

☺ ويتعلم ألا يستسلم أمام الصعوبات..

* * *

الإرادة كمفهوم أساسى فى الحياة

وجِّهى الكلمة التالية لابنك: [إنها الإرادة].

المدرسة الألمانية فى العلاج النفسى لها كلمة جيدة:

إنسان = إرادة

الذى يحسم أى أمر هو الإرادة والهمة العالية، إنها تجُبر كثيرًا من النقص أو التفاوت فى الفهم والاستيعاب والحفظ.

كلما كانت الإرادة أشد والتصميم على التفوق.. كان الوصول إلى الهدف.

والذى لم يستطع أن يجمع عزيمته ويقهر الصعاب التى تواجهه لن يحقق ما كان يطمح إليه.

وبعبارة أخرى:

إن شخصًا سخَّر إرادته ووظفها للنبوغ فى أمر ما فكان له ما أراد، بينما آخر يكتفى بالمقاعد الخلفية ولا يبذل أى جهد للوصول للصف الأمامى.

وقديمًا علمونا قصة السلحفاة المصممة التى سبقت الأرنب المستهتر، فاستخدام الإرادة فى الاتجاه الصحيح يرفع قدر الإنسان فى عين نفسه وفى عيون الآخرين، ويميزه فيزينه ولا يشينه.

* * *

الفصل الرابـــع

المشاكل المتعلقة بعملية التعلم

- ضعف التركيز.
- السرحان (مع دراسة فسيولوجيا الانتباه).
- ما هى أفضل الطرق للمذاكرة؟
- أذاكر منفردًا أم مع أصدقائي؟
- أى كلية أختار؟

ضعف التركيز:

أعراض الظاهرة:

أعانى من مشكلة: ألا وهى عدم التركيز والسرحان أثناء المذاكرة مما أدى إلى رسوبى عدة مرات أثناء الدراسة بالرغم من كونى أقضى ساعات طويلة فى المذاكرة، ولكن بدون جدوى لدرجة أنى أصبحت أشك فى قدراتى الذهنية وهل هناك مرض أثر على عقلى أدى بى إلى عدم القدرة على التركيز؟ وهل هناك دواء لعلاج هذه المشكلة؟

للإجابة عن هذا التساؤل نقول:

الدراسة فى حقيقتها عبارة عن عملية فسيولوجية يقوم فيها المخ بتخزين المعلومات كيميائيا على هيئة مركبات بروتينية، والواقع أن عملية المذاكرة تمر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: هى التعلم، والمرحلة الثانية: هى الحفظ، والمرحلة الثالثة: هى مرحلة استدعاء المعلومات التى حفظناها عند اللزوم، أى عند الامتحان، وهذا هو التذكر، وتحتاج كل مرحلة إلى إتقان المرحلة التى تسبقها؛ فلا يمكن للطالب أن يحتفظ

فى مخه بالمعلومات إن لم تكن طريقة حفظه سليمة، كذلك لا يمكن أن يتذكر ما قرأه إلا إذا أجاد المرحلتين السابقتين من تعلم واختزان.

والواقع أن درجة الانتباه أثناء الاستذكار تلعب الدور الرئيسى فى التعلم والكثير من الطلاب يعانون من صعوبة فى الانتباه وتشتت فى الأفكار عند البدء فى المذاكرة.

وهناك أسباب عديدة تضعف التركيز منها: الأسباب الجسمية مثل: الإرهاق والأرق، وصعوبة الاسترخاء، وعدم الانتظام فى تناول وجبات الطعام، وضعف الجسم، والأنيميا، والاضطرابات فى الغدد الصماء، هذه الأسباب تقلل من حيوية الإنسان، وتضعف من مقاومته مما يؤدى إلى تشتت أفكاره.

أما عن الأسباب النفسية، فنذكر منها: أحلام اليقظة والسرحان والوساوس المرضية التى تسيطر على الفكر لأى سبب، كذلك هناك بعض الأسباب العقلية، مثل: مرض الفصام والاكتئاب، وهى حالات مرضية تحتاج للعلاج الطبى النفسى.

أما عن الأسباب والمشاكل العائلية والنزاع الدائم بين أفراد الأسرة فإنها تحتاج للعلاج الاجتماعي؛ لأنها تؤثر تأثيرًا سلبيًا على قدرة الطالب على الانتباه.

وأفضل الطرق للمذاكرة هى: أن يقرأ الطالب الدرس بطريقة إجمالية ويفهمه أولا، ثم يلخصه بلغته الخاصة إما بطريقة شفوية، أو عن طريق الكتابة وهى طريقة أفضل، ثم يسمعها لنفسه ذاتيًا ثم الإعادة من الملخص الخاص، وهذه الطريقة تجعل النسيان مستحيلاً، ويجب أن يعرف الطالب أن القراءة دون التسميع الذاتى أو الكتابة من أهم أسباب فشل الإنسان فى دراسته، ومن المهم أيضًا أن يضع الطالب جدولاً زمنيًا لما سيتم مذاكرته يوميًا أو أسبوعيًا؛ لأن تنفيذ هذا الجدول ينظم عمل الطالب ويشعره بالرضا عن نفسه مما يساعده على أن يبدأ اليوم التالى بأمل وتفاؤل مما يقوى ثقة الطالب بنفسه ويساعده على النجاح.

ويجب أن تعلم أن المخ يحتاج للراحة بعد المذاكرة حتى يستطيع تثبيت المعلومات التى احتفظ بها؛ لأن الفرد يحتاج لفترة زمنية معينة تتم فيها عمليات كيميائية فى بعض المواد البروتينية فى المخ حتى تستطيع تثبت المعلومات فى المراكز العصبية العليا

فى قشرة المخ؛ ولذلك فإن الأحداث القديمة تأخذ وقتها فى التدعيم فى المخ؛ وبالتالى يسهل تذكرها، أما الأحداث القريبة فلم تتح لها فرصة التدعيم الكافى ولذلك فإنها تكون عرضة للنسيان أكثر من غيرها.

أما العملية الأخيرة فى التركيز فهى عملية استدعاء المعلومات، وأهم ما يؤثر فى هذه العملية هو الترابط، ويمكن أن نذكر فى هذا المجال ما يحدث عندما نذكر الطالب بكلمة أو جملة أثناء الامتحان، فيسارع على الفور بذكر التفاصيل الكاملة؛ لأن عملية الترابط تساعده، ولذلك يجب على الطالب أن يذاكر دروسه بصورة مترابطة منتظمة تساعده على سرعة استدعاء المعلومات بطريقة سهلة ومنظمة، أما عن الأدوية التى تساعد على التركيز فإننا لا ننصح الطلاب باستخدامها لأنها تعرض الطلاب فى بعض الأحيان لحالة من الانهيار النفسى.

السرحان:

فى البداية، لا بد أن نعرف لماذا يحدث السرحان وقت المذاكرة؟ ولماذا لا يأتينا ونحن فى جلسة جميلة مع الأصحاب؟

الإجابة هى: يحدث السرحان عند المذاكرة عندما لا يكون الطالب مستريحًا أو عندما لا يكون شغوفًا ومحبًا للمادة أو للفصل الذى يذاكره، لذلك فإنه يهرب منها بخياله إلى أى شيء فى الدنيا.

أى أن السرحان يحدث عندما نكون فى موقف لا نحبه ولا نستمتع به، والحل يكون بإعادة شحن الذهن وملئه بالرغبة فى مواصلة المذاكرة، عن طريق السماح للدورة الدموية بالنشاط والحيوية، ولا يحدث ذلك بالمنبهات والشاى والقهوة، ولكن بتغيير الموقف فورًا، وممارسة بعض التمارين الرياضية لدقائق حتى تستدعى النشاط والقوة لتواجه ما لا تحب وتنتصر عليه.

تذكر أن: السرحان وعدم القدرة على التركيز قد يحدثان لأسباب صحية، مثل فقر الدم، لذلك لا بد من العناية بالصحة العامة والتأكد من الخلو من الأمراض وتناول الغذاء الصحى المتوازن.

أيضا من أسباب عدم التركيز: الإرهاق بسبب عدم كفاية ساعات النوم أو لعدم الانتظام فى تناول الطعام.

ومن الأسباب الرئيسية للسرحان: أحلام اليقظة التى يسترسل فيها الطالب فتحرمه من المذاكرة الجيدة رغم أنها الطريق الحقيقى لتحقيق الأحلام، وفى هذه الحالة لكى يطرد الطالب أحلام اليقظة عليه أن يتشبث بالواقع، وأن يذاكر بصوت مرتفع قليلاً، أو أن يستخدم الكتابة كوسيلة لمقاومة السرحان.

كما يعد القلق من أسباب السرحان وعدم التركيز، والحقيقة أن القلق نوعان:

أولهما: إيجابى فهو يؤدى إلى زيادة الإنجاز والتركيز وعدم الركون إلى الكسل والخمول.

ثانيهما: وهو القلق السلبى الذى يتحول إلى نوع من الخوف المستمر من الحاضر والمستقبل مما يعوق الطالب عن المذاكرة، ولا بد من محاربته ببث الثقة فى النفس، وتدعيم الذات لكتابة ما تم مذاكرته فعلاً، والإنجازات التى تمكن الطالب من تحقيقها لبث الأمان فى النفس وتقويتها على أداء المزيد من المطلوب منها.

لا تنس أبدًا أن التركيز هو القدرة على الانتباه إلى موضوع واحد وترك كل الأفكار الأخرى والقضاء على أحلام اليقظة.

لا تنس أنه عند التعلم فإنك تقوم بتخزين المعلومات فى المخ، وهذا الاختزان يحتاج إلى عوامل خاصة، فهو يشبه جهاز التسجيل، ففى المخ شرائط كيميائية من مواد خاصة، فإذا ما تعلم الإنسان يتم تخزين المعلومات فى المخ لحين استدعائها، وهذا لا يحدث بصورة كافية إلا عند التركيز الشديد، أما فى حالات السرحان فإن التسجيل يتم بصورة مشوشة وضعيفة فيضعف استدعاؤها فيما بعد، لذلك تمسَّك بمحاربة السرحان والانتصار عليه فهو من ألد أعداء النجاح.

الانتباه *Attention*

من وجهة نظر طبية نفسية

عملية عقلية يتم من خلالها التركيز على موضوع معين وإبعاد باقى الموضوعات عن دائرة التركيز.

الأجزاء المسئولة عنه:

الطبقة العليا من القشرة الدماغية *Cesebral cortex*

المنطقة الشبكية فى جزع المخ *Reticular system pbrai stev*

العوامل المؤثرة عليه:

١- خارجية.

٢- داخلية.

١- الخارجية:

نوع المنبه	[الصور أفضل من الكلام].
وضع المنبه	[الجزء الأعلى من الصفحة يشد أكثر من الجزء الأسفل].
شدة المنبه	[الألوان، الصوت العالى، الروائح].
التناقض	الألوان المتضادة تشد أكثر. أرضية سوداء أو زرقاء فى وسطها أبيض.
التغيير	اللوحة المتحركة تشد أكثر من الثابتة.
التكرار	

٢- داخلية:

مؤقتة: الحالة الفعلية: المشغول بشيء يبحث عنه.

الحالة الجسمية: الجائع يبحث عن الطعام.

مستمرة: الدوافع الداخلية.

العوامل المؤثرة على عدم الانتباه:

الحالة الجسدية:

التعب، الإرهاق، قلة النوم، اضطراب نظام الأكل، سوء التغذية.

الحالة النفسية:

الفتور

تداخل ← أحلام اليقظة

الشعور بالدونية

وجود صراعات

الإحساس بالذنب

الشعور بالاضطهاد

الحالة الاجتماعية:

مشاكل فى الأسرة.

مشاكل مادية.

الجو المحيط:

عدم وجود ضوء كافٍ.

ضوضاء.

برودة أو حرارة شديدة.

سوء التهوية.

أفضل الطرق للمذاكرة

أولاً: الفهم:

بعض الطلبة يأخذهم الحماس فى بداية تنظيم المذاكرة، فيحاول أن يكون دقيقًا فى حفظ كل صغيرة وكبيرة فى الدرس فيبدأ نقطة نقطة، بكل تركيز، وقد لوحظ أن مثل هؤلاء الطلبة كثيرًا ما تعرض لهم مشكلة السرحان أثناء الدرس، حتى أنهم يحفظونه ببطء، وعندما يأتى الطالب إلى نهاية الدرس -إن كانت له القدرة- على ذلك فإنه يتبين أنه نسى الجزء الأول منه، ذلك الجزء الذى حاول التدقيق فيه، كذلك فإنه يشعر بأن الدرس صعب، لذلك فإنه لتلافى هذه العيوب يجب اتباع الآتى فى طريقة القراءة الإجمالية للدرس:

١- حفظ عناوين الدرس الكبيرة جميعها وتسميعها جيدًا، إن حفظ هذه العناوين سيكون أمره سهلاً عليك، إلى جانب أنك ستشعر بعد ذلك برغبة قوية فى التعرف على المعلومات التى تشملها العناوين، وبذلك يزداد حماسك وقوة تركيزك ورغبتك فى الحفظ.

٢- حفظ العناوين الأصغر وتسميعها جيدًا مع مراجعة العناوين الكبيرة السابقة.

٣- قراءة الدرس قراءة إجمالية وسريعة، هذه القراءة السريعة تفيد كثيرًا فى سرعة فهم الموضوع عند الرجوع إلى قراءته تفصيلاً ودراسته بإمعان، كما تفيد سرعة الحفظ والقدرة على التركيز والتغلب على السرحان.

٤- الاهتمام كثيرًا بدراسة الرسوم التوضيحية والتعرف عليها جيدًا أثناء القراءة الإجمالية السريعة.

٥- قراءة ملخص الدرس.

ثانيا: المذاكرة والحفظ:

كيف تحفظ؟ إن القراءة الإجمالية للدرس ساعدتك على الإلمام به وربط أجزائه، إلا أنه عند القراءة للحفظ يجب اتباع الآتى:

١- تعرف على النقاط الأساسية فى الدرس، وضع خطًا تحتها وكرر قراءتها بحيث تكون مرتبطة بباقى الموضوع.

٢- فهم القوانين والقواعد والمعادلات والنظريات، وما شابه، فهمًا جيدًا ثم حفظها عن ظهر قلب.

٣- حفظ الرسوم التوضيحية والتدرب على رسمها مع كتابة البيانات على الرسم.

٤- التأكد من فهم الدرس فهمًا تامًا بحيث تستطيع إجابة الأسئلة الموضوعية التى توجد عادة فى نهاية الدرس.

٥- محاولة وضع أسئلة على أجزاء الدرس والتعرف على الإجابة الصحيحة لها.

٦- فى المواد التى تحتاج إلى دراسة طويلة مفصلة يجب تجزئتها إلى وحدات متماسكة؛ بحيث تكون كل وحدة ذات معنى واضح، وفيها ارتباط كامل فى أجزائها.. هذا إلى جانب ارتباط بالموضوع الأساسى.

٧- لا تكن جبانًا فتفقد ثقتك فى ذاكرتك، احفظ سريعًا وستجد أنك مع التدريب تستطيع تذكر جميع ما حفظته.

٨- عند محاولة الحفظ اجعل فترات العمل قصيرة ومتقطعة، واحفظ المادة بالطريقة التى ترى أنك ستستعملها.

٩- يجب أن تؤكد لنفسك قبل البدء فى الحفظ أنك مصمم على تسميع ما تحفظ؛ وبذلك تشعر بازدياد قدرتك على التركيز وسرعة الحفظ.

١٠- فى نهاية المذاكرة اليومية وقبل النوم مباشرة استرجع حفظ وتسميع القوانين والقواعد والنظريات التى درستها، فإن الراحة والنوم يساعدان على تثبيتها فى الذاكرة تثبيتًا جيدًا، وتوجد دروس يجب حفظها عن ظهر قلب، وبالرغم من أنه يقال: يجب الفهم والحفظ عن طريق الفهم وهذا صحيح إلا أن هناك بعض الأجزاء المعينة يجب حفظها عن ظهر قلب.

وبعض الطلبة الأذكياء يستطيعون الفهم سريعًا، غير أن طاقتهم لا تتحمل المجهود اللازم للحفظ ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن حفظ القرآن ثم نسيانه، وكثير من الطلبة الأذكياء كان فشلهم يرجع لاعتمادهم على الفهم دون الحفظ، هذا بعكس الحال مع بعض الطلبة متوسطى الذكاء الذين استطاعوا التفوق فى الامتحانات معتمدين على الحفظ كثيرًا، إلى جانب الفهم المحدود حتى فى أدنى المواد احتياجًا للحفظ مثل الرياضيات.

ثالثًا: التسميع:

(التسميع هو التأمين على المعلومات ضد النسيان).

أهمية التسميع:

١- يعتقد كثير من الطلبة أن قراءة الدرس وفهمه ومحاولة حفظه تكفي، لكن الطالب عندما يحاول إجابة أحد الأسئلة وخاصة فى الامتحانات فإنه يتعذر عليه التعبير عن بعض أجزاء السؤال، ويقف حائرًا وهو يقول: (إنى أعرفها) و(إنى أفهمها)، لكنه عندما يحاول تذكرها ولا يستطيع فإنه يدرك أهمية التسميع وتكرار الحفظ مهما كلفه من وقت.

٢- التسميع يكشف لك مواضع ضعفك والأخطاء التى تقع فيها، وهو مرآة لذاكرتك.

٣- عملية التسميع تساعدك فى التعرف على النقاط المهمة فى الدرس.

٤- التسميع هو الوسيلة القوية لتثبيت المعلومات وزيادة القدرة على التذكر.

٥- كثير من الطلبة يفيدهم التسميع كعلاج ضد السرحان وأحلام اليقظة.

وتتكشف لنا أهمية التسميع من نتائج التجارب التى أجريت على مجموعات كثيرة من الطلبة، ومنها يتبين الآتى:

١- بعد الانتهاء من القراءة فإنك لا تتذكر أكثر من ٥٥٪ مما قرأت، وهذا مما

يؤكد أن عملية النسيان كانت مستمرة أثناء القراءة.

٢- تستمر عملية النسيان، وبعد يوم من القراءة لا تستطيع أن تتذكر أكثر من ٢٥٪ إلى ٢٠٪ مما قرأته.

٣- تقل عملية النسيان نسبيًا؛ إذ إن ما بقى فى الذاكرة قليل، وفى نهاية أسبوعين لا تتذكر أكثر من ١٠٪ مما قرأته.

هذه النتائج كانت تختلف تمامًا بالنسبة للطلبة الذين يقرءون ثم يسمعون ما قرءوه، إذ تبين أن الطالب الذى يقرأ بدون تسميع ينسى بعد يوم واحد كمية تساوى ما ينساه الطالب الذى يستخدم طريقة التسميع بعد ٢٦ يومًا.

طرق التسميع:

تختلف طرق التسميع تبعًا لمادة الدراسة، وبالنسبة لطريقة الطالب فى المذاكرة، إلا أن أفضل الطرق للتسميع هى الطريقة التى تشبه استخدامك لمادة الدراسة فى الحياة العملية أولاً وفى الامتحانات ثانيًا، وإن كانت أغلب الامتحانات تحريرية، إلا أن بعض مواد الدراسة فى المرحلة الجامعية بصفة خاصة تعتمد على الامتحانات العملية أو الشفوية. وفيما يلى نشرح لك طرق التسميع بمختلف أنواعها:

أ- التسميع الشفوى: وهو أسهل الطرق وأسرعها ويحسن ملاحظة الآتى:

١- إذا كنت تُسمع إلى نفسك يكون من المهم جدًا الرجوع إلى الكتاب فى الأجزاء غير المتأكد منها.

٢- التسميع مع أحد الزملاء أو مع أى شخص آخر أفضل من التسميع الشفوى إلى نفسك.

٣- التسميع الشفوى إذا حدث فى صورة مناقشة ومحاولة لشرح الدرس فإنه يكون أفضل جدًا.

٤- لا تحاول تسميع أجزاء صغيرة مفككة من الدرس؛ لأنك بذلك تفقد القدرة

على فهمه وربط أجزائه.

ب- التسميع التحريرى العملى: إن كتابة الدرس تكشف بصورة دقيقة عن الأجزاء التى لم تستطع حفظها جيدًا والتى تحتاج إلى عناية وتكرار.

ويحاول بعض الطلبة إعادة كتابة الدرس كله، وليس هذا هو المقصود بالتسميع التحريري، بل يكفى كتابة النقط المهمة والقوانين والنظريات والقواعد، كذلك العناية بالرسوم التوضيحية وكتابة البيانات عليها، وهنا يجب التأكد من أن ما تكتبه صحيح وذلك بالرجوع إلى الكتابة.

وقبل أن نختم نود أن نقول :

ثبت يقينًا أن هناك طلابًا يعيشون فى ظروف قاسية ومشاكل اجتماعية واقتصادية وينجحون بتفوق.

وثبت أيضا يقينًا أن هناك طلابًا يوفر لهم ذووهم كل أسباب الاستذكار ويذللون لهم كل الصعاب ولا ينجحون أو لا يتفوقون.

فالقضية ذاتية شخصية أكثر منها بيئية خارجية، ولكن علينا الأخذ بالأسباب.

أذاكر منفردًا أم مع أصدقائي؟

بالنسبة للمذاكرة مع الآخرين

الإيجابيات:

☺ إذكاء التنافس.

☺ ضرورية أثناء المراجعة قبل الامتحانات.

☺ القضاء على السرحان وعدم التركيز.

☺ التسلية.

☺ لا يحب الوحدة.

السلبيات:

☺ ضياع الوقت.

☺ الثرثرة.

☺ تذكر ما حدث في المدرسة.

☺ التشتت.

☺ اختلاف الميول والاتجاهات والحوافز الداخلية ومدى التفكير ومدى الاستجابة للمعلومة

طالب غير مهتم بالمذاكرة أصلا

آخر نشط وقوى الملاحظة.

وبناء على ما سبق فالأفضل:

١- أن يذاكر منفردًا.

٢- أو اثنان يذاكران موضوعًا واحدًا وكلاهما عازم على الاستفادة دون تضييع للوقت، والمناقشة حول الموضوع.

٣- أكثر من اثنين مرفوض كمذاكرة، ومقبول لأى شيء آخر.

أى كلية أختار؟
خطـــاب يجـــب أن يُقرأ

الأستاذ الدكتور:

أرسلت إلينا المدرسة استمارات لاختيار الرغبات فى الدراسة بالنظام الجديد؛ ولذا فإن على أن أختار بعض المواد المؤهلة للكليات الجامعية، وبدأت فى التفكير هل أختار الكليات العملية أم الأدبية؟ وهل دراسة المواد العلمية أسهل أم الأدبية؟ وبدأت فى التفكير فى مستقبل كل كلية، فهناك الكليات العملية ومستقبلها أفضل، ولكن الدراسة أطول وأصعب، أما الكليات الأدبية فالدراسة أقصر ولكن الطالب الدارس بها لا يجد الوظائف المناسبة بعد التخرج، وقد تناقشت مع الأسرة والأصدقاء وأبدى كل واحد منهم الرأى، ولكننى لا أستطيع أن أجزم أمري، هل أدرس المواد العلمية أم الأدبية التى تحدد المستقبل أم أختار المواد التى توافق ميولى ورغباتى فى الحياة وشكرا.

الأخت هـ. م. ج

الدراسة بوجه عام وسيلة وليست غاية، وهى وسيلة لكى نتسلح بالعلم الذى يساعدنا فى العمل والتفكير والتدبر فى الحياة، ولقد اجتهد المسئولون لكى يجعلوا من الدراسة فى الثانوية طريقًا سهلاً لكى يختار كل طالب ما يناسبه من المواد العلمية والأدبية التى تساعده فى دخول الكلية الجامعية التى تناسب قدراته ومواهبه، وعملية الاختيار وتحديد الدراسة المناسبة تضع الطالب وأسرته عند مفترق طرق خاصة إذا كان الاختيار بين المواد العلمية والأدبية؛ فالمواد العلمية تؤهل لكليات محددة مثل: الطب والهندسة والعلوم والصيدلة، أما المواد الأدبية فتؤهل الطالب لكليات نظرية مثل الحقوق والآداب والاقتصاد، وهذا ليس ضارًا، ولا يجب أن يخيف أحدًا؛ لأن المطلوب هو الخروج منه بنتيجة إيجابية. والجوانب النفسية فى هذا المجال تتعلق

بالطالب صاحب الشأن فى توجيه رغباته وميوله الدراسية، وكذلك فهى تتعلق أيضًا بأسرته والتى دائمًا ما يكون لها دور فى النصح والإرشاد تجاه اختيار معين.

أما من جهة الطالب فعليه الاختيار، ويعتمد اختياره على الفهم الواعى والدراسة الجادة لميوله الحقيقية دون أى توجيهات تلقى عليه من الخارج، وكذلك تبعًا لقدراته العلمية فى المجال العام للعلوم التى تلقاها بالثانوى، وكذلك على إمكانية تصوره لطبيعة العمل الذى يريد أن يلتحق به، والذى يستطيع أن يحقق فيه ذاته ويجد فيه نفسه؛ بصرف النظر عن نوعية هذا العمل ونظرة المجتمع له؛ لأن عجلة الزمن تتحرك، وما يظن أنه ليس ذا قيمة أو شأن فى هذه الأيام قد يكون غير ذلك فى المستقبل.

ومن جانب الأسرة فالدور الذى يجب أن تلعبه هو الترقب عن بعد بملاحظة خط سير الطالب وأسلوبه المتبع فى عملية الاختيار، ثم توجيهه وإعطاؤه النصيحة إذا كانت هناك بوادر لتردده وعدم مقدرته على الاختيار، وهذه النصيحة يجب أن تكون مباشرة ومحددة بأن تختار شيئًا محددًا بذاته، ولكن بإلقاء الضوء على جميع الجوانب والمميزات لكل كلية يفكر فيها، وكذلك مدى قدراته العلمية المستنتجة من درجاته بالسنوات السابقة، وكذلك على التوجيه العام وتبصيره بنوعيات الدراسة، ثم تترك الأسرة للطالب حرية الاختيار بعد ذلك حتى يشعر بكيانه، وأن طريقه إلى الدراسة بمحض إرادته لما فى ذلك من أثر طيب على مساءلته مستقبلاً إذا عمد إلى التقصير أو الشكوى من الدراسة التى التحق بها، وأخيرًا فليعلم كل طالب أن المستقبل بيد الله والاعتماد على الله هو طريق الخير والنجاح.

* * *

الفصل الخامس

المهنـــــة وهويـــة الإنســــان

- مجموعة حقائق حول المهنة
- عرض حالة:

الضعف الأبوى وخايب الرجا

مجموعة حقائق حول المهنة:

بداية يجب أن نقر بحقيقة:

«شخص بلا مهنة هو شخص بلا هوية وشخص مرفوض».

«الطالب مهنة، والكناس مهنة، والطبيب مهنة».

والشخص بلا تكسب إن كان غنيًا ينفق من ثروته فأين إثبات ذاته؟ أين تفاعله مع المجتمع؟ وما هى حاجة المجتمع إليه؟ وإن كان فقيرًا فهو إما ضائعًا وإما لصًا، فالبطالة مشكلة حتى فى الدول المتحضرة والتى تدفع أجورًا للعاطلين.

والحقيقة الثانية:

إن الاحترام والتقدير يجب أن يكون معياره الصواب والخطأ فى المهنة، وليس العرف، فما دامت المهنة حلالا فهى محترمة، وما دامت نافعة للشخص وللمجتمع وليست ضارة فهى محترمة.

فلا يعيب شخصًا يحمل مؤهلاً عاليًا عندما لا يجد ما يسد قوته أو أراد تحسين دخله المادى أن يعمل فى مهنة دون مستواه.

فالمعيار هنا هو النجاح فى توفير مطالب الحياة، فإن العجز فى ذلك سيجر وراءه حتمًا الشعور بالفشل وعدم التوافق، ويتلوه مباشرة زيادة الشعور بالعزلة عن العالم الحقيقى.

والحقيقة الثالثة:

إن ثقافة المجتمع وخبراته وحاجته هى التى تحدد الأهم فالأقل أهمية من المهن، فالترتيب فى أمريكا: المحامى، ثم المحاسب، ثم طبيب النفسية، ثم طبيب الأسنان. فالمتمكن فى هذه الوظائف التى يحتاج إليها الكل بشدة؛ يحقق وضعًا اجتماعيًا مقبولا وليس العكس.

الحقيقة الرابعة:

إن وظيفة شخص ما تجعلنا نأخذ فكرة ما عن ثقافته وخبراته اليومية واهتماماته وذوقه.

الحقيقة الخامسة:

إن المهنة تساهم فى تقدير الذات فعلينا أن نتصور شخصًا فى موقع يحتاج الناس إليه من كل الفئات، وآخر فى مكان ناءٍ يفعل طقوسا محددة ينال عليها أجرًا كيف ينظر كل منهما إلى ذاته؟

الحقيقة السادسة:

هناك مهن مرتبطة بالجنس [ذكر أو أنثى] أو بمعنى أدق يكثر فيها النساء ويتفوقن، مثل المربية والمدرسة، وأخرى يكثر فيها الرجال ويتفوقون، مثل الحراسة، والعمل الليلى، والهندسة، والأعمال المحتاجة لمشقة بدنية.

وإن كان هذا لا يعنى حكر طرف منهما على المهنة، وهناك مهن تتطلب أعمارا معينة أو صفات محددة بغض النظر عن جنس صاحبها [قوة الإبصار، الدقة العالية، تركيز ذهنى مستمر، مهارة فى اللغة].

ولذلك لا بد أن نسأل المراهق عن نوع الوظيفة التى يظن أنه قادر على أدائها أو يهواها، إن كان له الخيار، ونحدثه عن كل ما سبق من الحقائق ونتحـ معه حتى نصل إلى الاختيار السليم.

عرض حالـــــة
الضعف الأبوى وخايب الرجا

بذور فساد! مسببات نفور ومحنة! طحالب تطفو على سطح بحيرة الحياة فتعكر صفوها، أولئك هم: عبيد الملذات، ملوك الكسل، أرباب الخمول، أباطرة الاعتماد على الغير، والمكافحون من أجل هدف مزرٍ هو: العيش على جهد وعرق الآخرين وفى نعيم ليس من صنع أيديهم.

أطلق علماء النفس على هذا الصنف الذى يرقد فى قاع سلة البشر اسم (المستهدفين للفشل، وقلنا عنهم بالبلدى: (خايب الرجا).

الحكاية مش نكتة بل مأساة تهدد مجتمعًا ينظر إلى النتائج، ولا يدرس الأسباب من بدايتها قبل أن تتحول الظواهر إلى أورام سرطانية فتاكة، فكل (خايب رجا) هو ابن نشأة خاطئة فى الطفولة، وتمرد يصل إلى حد (البلطجة) فى المراهقة دون رادع، وفرض السيطرة بمنطق القوة على من حوله، وتطويعهم لأهوائه وخدمته مستمرئًا الحياة «على قفا غيره» مؤجلاً للأبد تحمله للمسئولية ومواجهته لأعباء الحياة ما دام هناك من يحمل عنه الهم، ليرتع هو فى نعيم الملذات، وكثيرًا ما ينزلق تلقائيًا فى هوة الرذائل والموبقات، وتلك هى النتيجة المنطقية لأنماط بلا مؤهلات علمية ولا ذاتية ترشحهم للسير فى ركب الأسوياء، ومع ذلك ينشدون بإلحاح حقوق النابغين والصالحين.

فمعظم «الخائبين هؤلاء» فاشلون دراسيًا، يبدأ الأمر باستسلام الأهل لإرادتهم فى ترك التعليم، ويتوهمون معهم أن قدراتهم على شق طريق النجاح بما يملكون من إمكانيات (كاذبة طبعًا)، تغنيهم «عن حتة» ورقة مختوم عليها ختم النسر «ووظيفة ملهاش لازمة بمرتب أى كلام».

فما من عائلة مصرية إلا وطالها غم من هذا النوع؛ فى ابن أو شقيق أو قريب يقف فى حلق أهله «زى العقلة فى الزور»، يستنزف طاقاتهم المادية والمعنوية من أجل أمل يائس فى إصلاح حاله الأعوج وإنقاذه دون جدوى؛ ذلك لأن هذا الصنف

الخبيث مدرب على المراوغة، كلما داهمته بحل؛ هرب منه باقتراح مؤجل التنفيذ؛ لأنه ببساطة لا يريد حلولاً تورطه فيجهد أو يتعب، باختصار، خايب الرجا عايز يعيش دائمًا على أعلى مستوى من غير تعب؛ لأنه كائن مهيأ للأخذ فقط.

وجدت أيضا أن معظم هؤلاء الذكور، حيلة أهاليهم، يعنى المصيبة أن الواحد منهم وحيد أبويه أو شريك إخوة مع كام بنت خذلت أهلها قبله فجاء هو ليروى أرض أمه التى انهزمت بالإناث، بالتالى دلَّله أبواه وجدوده والجيران والبائعون وقطط وكلاب الشارع الضالة كمان، والنتيجة أنه يكبر ويترعرع «ع الحجر» ولا يبرحه أبدًا حيث يستحلى القعدة المريحة، وغالبًا أيضا ما ينشغل هو وأمثاله فى أمر لائق بالتفاهة المكتسبة بحكم النشأة، وهو الحفاظ على مناطق جاذبيته الخارجية وتنميتها؛ فهو فى مرحلة الشباب ينشغل بتأثيره على البنات ألطف الكائنات، ويشحذ كل همته لمنازلة وهزيمة أى شاب فى حلبة المنافسة على أسر قلوب الفاتنات، يعنى بالعربى ممكن الدنيا تتهد من حوله فلا يفرق ولا يهتم بأمورها الجسام لأن أمره أهم، فإنجازات الصنف المعجبانى هذا فى أمور الغرام تستحق الدراسة.

وعلى فكرة.. غيره فعلها بدون إدمان فواحد تانى من نفس الماركة، باع ملابسه ومقتنيات من بيت عيلته. مرارًا تحت سمعهم وأبصارهم ليلعب كام دور بلياردو و«يفرتك» بسخاء الكرماء كام جنيه فى عزومة أو خروجة ترفع مقامه وسط أصحابه.

يعنى كلها تجاوزات انحرافية مع اختلاف الأسباب، وتصب جميعًا فى مجرى اللهو والعبث والملذات. وآل إيه كلهم ذكور يعنى رجاله، آه والله فى خانة النوع مكتوب ذكر.

لكن خايب الرجا يستحب الدور التاريخى البائد للأنثى المعتمدة (زمان مش الآن) على حماية وإنفاق الأبوين ثم الزوج، وبالمناسبة أعرف زوجًا من النوع المنفر هذا، خذل أهله وتركوه للدنيا فى كنف زوجة قاعد لها زى العمل الرضي، يرتضى دورها فى البيت يربى الأولاد ويذهب بيهم للنادى وبالليل بعد عناء العمل الذى تجهد نفسها فيه لإعالته هو وعياله يلعب معها (عشرتين طاولة)، وهو وديع ومؤدب وصبور وملوش مطالب غير رضاها عليه، وبالذمة ده بنى آدم.

بَلْ ريقى بكلامه الحلو دكتور فرج أحمد فرج أستاذ علم النفس الكبير، وقال مضيفا فى حق هؤلاء الخائبين:

النوع ده لم تتمايز شخصيته عن الغير؛ لأن الحياة السوية فيها شبكة من المتناقضات يتحقق فيها التوازن، يعنى كل واحد متوازن نفسيًا عنده قدر من السادية والمازوخية، والسادية: وهى حب تعذيب الآخرين- وتظهر فى الشخص السوى عندما يكتسب قدرًا صحيًا من العدوان على الذين يتجرءون على حقوقه فيوقفهم بهذه السادية الصحية عند حدهم، وأما المازوخية -وهى حب تعذيب الذات- فتوجد بقدر متوازن أيضا فى الأشخاص الأسوياء عندما يتحملون المواجهة والاختلاف مع الآخرين والابتعاد عنهم، فمثلما يلزمنا قدر من السادية الإيجابية يلزمنا قدر من المازوخية الإيجابية التى نتحمل فيها أعباء الحياة، أما هذا النمط المتراخى ممن نطلق عليهم فى علم النفس «المستهدفين للفشل»، فهو يفتقد التوازن الصحى بين الأمرين؛ لأنه فاتر الهمة. وكتب الصحة النفسية مثلاً تؤكد أن الأبوة وبصفة خاصة الأمومة فى حاجة إلى قدر صحى من المازوخية متمثلة فى التضحية من أجل الأبناء، أما الإفراط فيها باحتمال «رزالة الأبناء» وجموحهم وشطحهم فمعناه أن الأم والأب عندهم مازوخية مرضية (حب زائد لتعذيب الذات)، وأغلب الظن أنها السبب فى احتمال الأبوين لهذا النوع من الأبناء.

فالعلاقة بين البشر وبعضهم البعض لازم يكون فيها توازن بين الاعتماد والاستقلال، والأب والأم (اللذان يصنعان نموذج ابن خايب الرجا)، يجب أن تكون لديهما قدرة على العطاء وعلى المنع أيضًا، وقدرة على الحماية بجانب القدرة على الردع، والإسراف فى أى منهما يؤدى إلى اضطراب شخصية الأبناء، فالقسوة الزائدة تؤدى إلى تكوين شخصية مستسلمة ضعيفة، كما أن الإسراف فى العطاء والتدليل وغياب أشكال الردع يجعل الأبناء عاجزين عن مواجهة أعباء الحياة، والتوازن بين الأمرين هو ما نسميه الصحة النفسية للأم والأب من أجل تنشئة أبناء أسوياء.

قلت له: لاحظت يا دكتور أن هناك عوامل كثيرة مشتركة بين من أسميتهم أنت

(المستهدفين للفشل) وأسميتهم أنا والناس (خايب الرجا)، ومن بينها أن لهم طموحات تفوق إمكانياتهم وقدراتهم على تحقيقها، وأنهم حالمون غير واقعيين رأيك إيه؟

قال: واحنا أطفال كانت أحلامنا بسيطة يحققها أهالينا، والأمر بيختلف لما بنكبر؛ فإما أن نحقق أحنا أحلامنا بأنفسنا أو نقوم بتعديلها كى تتناسب مع إمكانياتنا، وهو ما نسميه واقعية، والواقعية تتطلب تدريبًا على مقدرة التحقيق، وحياة الإنسان -كل إنسان- تمر بثلاث مراحل: الطفولة والمراهقة والنضوج، أما فى الطفولة فيعتمد الإنسان على أمه وأبيه تماما أو من يقوم بدورهما فى حالة غيابهما كالجد أو العم أو الخال.

وإذا ظل البنى آدم طفلاً رغم تقدمه فى السن؛ يظل فى حاجة إلى بديل للأم وربما تكون الزوجة هى هذا البديل، وشعار الطفل: إلحقينى يا ماما، بعكس المراهق الذى يتمرد ويصرخ: محدش له دعوة بيا، ويظهر ذلك فى عنف الأبناء فى سن المراهقة، أما الراشد الناضج السوى فيحقق التوازن بين النقيضين السابقين، وهو التوازن المطلوب بين الاستقلال والارتباط.

أما المستهدفون للفشل الذين تطلقين عليهم المعنى العامى «خايب الرجا» فهم بلغة التحليل النفسى: ناس بيعيشوا على مبدأ اللذة لا مبدأ الواقع وعندما يحاصرهم الواقع يسقطون فى الانهيار الكامل فإما يصيبهم مرض نفسى أو إدمان أو جريمة أو انتحار، أو البحث عن بديل لأمه وأبيه يجعله يعيش بشكل طفيلى ويكمل مسيرة حياته على نفس منوال التراخى والاعتماد على مساندة غيره.

قلت: لاحظت كمان أن معظمهم من الذكور، يعنى (خيبة رجالة) فى مجتمع ذكورى يضع الرجل على القمة ويقدسه، أيه رأيك فى المفارقة العبثية دى: الأنثى الأم والابن الذكر، والضعف التاريخي؟!

قال: أعتقد أن الأزمة فى الأب والأم وعند الأم بالذات المصرية، فهى ملتصقة بالابن جدًا، وأول ما يولد يطلقون عليها أم فلان فتنتشى، بعكس المرأة الغربية مثلا التى تأخذ اسم زوجها بعد الزواج، وأنا أعتقد لذلك بأن المرأة المصرية مشروع أم والغربية مشروع أنثى، ولأن مجتمعنا هو مجتمع ذكورى أبوى تحكمه سلطة الذكور

(الأب والأخ والزوج) فإن الأيديولوجية عندنا أبوية والعادات والتقاليد أبوية ذكرية تقدم الذكور على الإناث، وتضع المرأة فى هذا المأزق دون فرق فيه بين فلاحة أو أستاذة فى الجامعة، فكما قال نزار قبانى فى قصيدة هوامش على دفتر النكسة: (لبسنا قشرة الحضارة والروح جاهلية)، فالثقافة والتعليم عندنا قشرة وطلاء حديث مثل ديكور لواجهة حضارية تخفى المتناقضات خلفها.

والمسألة ستحسم نفسها قريبًا، فنحن بصدد الانتقال للألفية الثالثة والدخول فى قرن جديد، لا يعرف ذكرًا أو أنثى لكنه يعترف بالإبداع الإنسانى عموما وليس العمل فقط (وهو قيمة مفقودة أصلاً عند المستهدفين للفشل)، فهذا الزمن الآتى يحمل لنا طفرة فى شكل العمل المطروح فى القرن القادم، وهو العمل الذى يعتمد على الإبداع العقلي، وإذا كان القانون الذى خضع له الإنسان منذ فجر تاريخه وحتى هذه اللحظة هو من لا يعمل لا يأكل، فالقانون الذى سيحل محله هو من لا يبدع ويخترع لن يأكل، فالآلات والإلكترونيات أصبحت تدير مصانع بأسرها من الآن وتسببت فى مأزق بطالة رغم تزايد الإنتاج، لأن الآلة أخذت موقع العمالة، والمشكلة بالنسبة لخايب الرجا وأمثاله من المستهدفين للفشل والمعتمدين فى حياتهم على المساندة الكاملة من الغير؛ أنهم بالطبع شخصيات غير مبدعة وبدائية، وبالتالى فهى شخصيات مرشحة للاندثار والفناء، فلا مكان لها على خريطة الإنسانية فى المرحلة القادمة.

كلام جميل.. تحليل علمى سليم، يبرئ المتهمين بالافتراء على هذه النماذج البشرية العشوائية ساقه د. فرج موضحًا معالم زمن قادم لن يتحمل تلك الأنماط الهلامية التى تعيش على الاستهلاك فقط، وترفض الاعتراف بأن (الإيدى البطالة نجسة)، وتقاوم الالتزام باستماتة تحت شعارها المزمن الأثير: ساعة الحظ متتعوضش.

فخايب الرجا هذا شيطان انتهازى يعزف بمهارة على وتر حساس هو ضعف الآخرين تجاهه، خصوصًا أبويه حيث يدرس منافذ الرجاء والعشم عندهم فيتسلل منها.[١]

* * *

---

(١) آخر ساعة ١٢/ ٣/ ١٩٩٧م

الباب الخامس

الجانب الديني

[حكاية لا بد أن نحكيها]

الفصل الأول:

- الله واليوم الآخر

الفصل الثاني:

- الخبرة الدينية (كيف يأخذ الناس الدين؟)
- (وجهة نظر نفسية)

الفصل الثالث:

- موقف الآباء والمربين من الدين، وأثر ذلك على الأبناء

الفصل الرابع:

- التطــــرف

الفصل الخامس:

- الأخــــلاق

الفصل الأول

الله واليوم الآخر

- هل يمكن أن يعيش الإنسان بلا عقيدة؟
- ما الدليل على وجود إله؟
- لماذا لا يكون للكون إلهان (الاثنينية)؟
- لماذا لا يكون الكون قد جاء صدفة؟
- ماذا نقصد بالفطرة؟
- لماذا يكون هناك يوم آخر؟
- لماذا الرسل؟
- المحاولات المستميتة لإبعاد الناس عن رب الناس.
- رأى الدكتور شعلان عن الدين وأهميته.

هل يمكن أن يعيش الإنسان بلا عقيدة؟

يخطئ البعض حينما يتصور أن الإنسان يمكن أن يعيش بلا عقيدة، حتى البسطاء من الناس.

فالكون من حولنا واسع: سماء وأرض وبحار، وآخرون غيرنا، ولا بد من نظرة شاملة تنبع من نبع واحد، الحياة التى نعيش فيها على كوكب الأرض، فالكون كله يبعث على التفكير فى أمور محددة: كيف بدأت؟ كيف تستمر؟ إلى أى شيء مصيرها؟

هل للكون إله نظَّم هذا؟ وماذا يريد منا؟ أم أنها الصدفة؟

هل هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة؟ أم أنها أرحام تدفع وأرض تبلع؟

ماذا نفعل مع أنفسنا؟

ماذا نفعل مع الآخرين؟

هناك فئتان من الناس لا ترِد هذه الأمور على خاطرهم: الأطفال والمجانين.

بل ترد ويفسرونها تفسيرات مضحكة ثم يكملون مسيرهم فى عالمهم الخاص، وهناك من لا يجدون إجابة، ولم يحركوا عقولهم للبحث، وظلوا فى ريب وتردد حتى الموت.

وهناك من استسلم للعقيدة التى تلقاها من أبويه وممن حوله، ولم يناقش أو يفكر بل انشغل بلقمة عيشه.

وهناك من فكر واهتدى، ثم انصرف للقمة عيشه، وهناك من فكر واهتدى ودعا إلى أفكاره وتبناها وضحى من أجلها.

وهناك من يظل يبحث ويقلب الأمور وأكثرهم من الشباب والمراهقين..

ويسألون... ويسألون..

ونداء إلى كل أب ومربٍّ..

لا بد من مناقشة هذه الأمور وبخاصة إذا سألها الفتى أو الفتاة..

كما نسأله عن أحلامه وأمانيه للمستقبل فاسأله عن مستقبله الأبعد.

ما الدليل على وجود إله؟

السؤال الأول والأهم:

هل للكون إله؟.. نعم.

والأدلة كثيرة نسرد بعضها:

دليل الأعرابى:

إن البعرة [الروث] تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير. أفلا تدل السماوات والأرض على الواحد القهار.

دليل الإرادة العليا:

هذا الكون كان محتملاً أن يكون ومحتملاً ألا يكون، فهناك إرادة عليا رجحت أن يكون.

دليل الإلهام والهداية:

حاول عالم روسى أن يثبت أن الكتكوت يخرج من البيضة إذا وفرنا حضانة تشمل كل ما توفره الفرخة لبيضها، وفعل ذلك ولم يخرج الكتكوت، فدله فلاح بسيط على أنه رأى الفرخة تقلب البيضة باستمرار، حتى لا تترسب المحتويات ففعل ذلك وخرج الكتكوت فمن علم الفرخة هذا التقليب.

دليل التكامل:

بين وحدات الكون، والتكامل بالذات لا بد له من صانع:

الشمس تبخر مياه البحر فيتجمع السحاب، فينزل المطر، فينمو الزرع، ليخرج النبات فيأكله الحيوان.. فيأكل الإنسان..

الإنسان يتنفس فيخرج ثانى أكسيد الكربون فيمتصه النبات ويخرج الأوكسجين فيتنفس الإنسان.

الزهرة الذكر تخرج اللقاح فتأتى الحشرة فتمتص الرحيق وتعلق بها حبوب اللقاح فتنقلها للزهرة الأنثى فيتم التلقيح.. ودورات متكاملة فى الكون يخدم بعضها بعضًا.

لماذا لا يكون للكون إلهان [الاثنينية]؟

أراد أحدهما خلق كذا وأراد الآخر عدم خلقه، فالنتيجة تنفيذ إرادة الاثنين معًا وهذا محال [شيء مخلوق وغير مخلوق]. يتنازل الآخر [هذا غير قوى وغير إله]. ينفذ أحدهما إرادته؛ هذا هو الإله وهو الأولى بالعبادة، وما ينطبق على الاثنين ينطبق على الأكثر.

لماذا لا يكون الكون جاء صدفة أو بدأ صدفة؟

هناك صدفة ممكنة [حروف مطبعة تتناثر فتكتب كلمة مفهومة].

وهناك صدفة مستحيلة [حروف مطبعة تتناثر فتكتب قصة جميلة رائعة لها معان وأبعاد ورموز] فالصدفة المستحيلة غير ممكنة عقلاً.

ماذا نقصد بالفطرة؟

دليل الفطرة:

هناك أناس لا يشكون فى وجود إله خالق قادر وهؤلاء أسعد الخلق فهم مستجيبون لنداء فطرتهم.

زار الزمخشرى تركستان فاجتمع حوله الناس، ومنهم عجوز وولدها فسألت: من هذا يا بني؟ قال: إنه عالم كبير عنده ألف دليل على وجود الله، فقالت: كذب، والله لو ما شك ما جاء بدليل، وهل يحتاج وجود الله إلى دليل؟

فأجاب الزمخشرى: صدقت.. ثم دعا: اللهم ارزقنى إيمان عجائز تركستان.

لماذا يكون هناك يوم آخر؟

قال عمر بن الخطاب ﷺ: لو لم تكن الآخرة لكان غير الذى ترون. وصدق رحمه الله. فأى تاجر يحاسب عماله عن تصرفهم فى البضائع التى معهم. كيف تصرفوا فيها؟ ولماذا فعلوا ذلك؟ ويعاقب المسيء ويكافئ المحسن، ولو لم يفعل ذلك لكان غير حكيم والله تعالى حكيم.

سيسأل الرسل وسيسأل المرسل إليهم.. الظالم والمظلوم والبر والفاجر..

وهناك قصص كثيرة نهايتها مفتوحة ولم تحسم، ولابد أن تكون للقصة نهاية، وعند الله يجتمع الخصوم كما يجتمعون فى الدنيا عند القاضى، ولكن قاضى الدنيا قد يغفل، وقد يخون، وقد يخطئ، فلا بد من حكم عدل خبير يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ولابد من مكان وزمان يجتمع فيه الخصوم، لابد وإلا فالعبث العبث، وهذا محال فى حق الله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥].

لماذا الرسل؟

كيف لنا أن نعلم ماذا يريد الله منا؟ لابد من خطاب عام وقواعد عامة تحكم الجميع، وهذا أصل إرسال الرسل. ولابد لمن يأتى بالخطاب من صفات محددة فيه تضمن توصيل الخطاب بنصه: الأمانة، الفطنة، العصمة، عدم الكذب، حسن الخلق.

وأن يكون الخطاب مفهومًا للبشر المرسل إليهم الخطاب وبلسانهم حتى يفهموا المراد فلابد للرسول أن يكون بشرًا.

هكذا وببساطة وبتسلسل عقلى يسلم بعضه لبعض. لابد أن يكون الحوار، وبعيدًا عن الجلبة والغوغائية والفلسفة والتعقيد، كل ما سبق ذكره أمانة يجب توصيلها من الآباء للأبناء، ولن تغنى أموال الأرض ومناصبها وخيراتها عن سد هذا الفراغ.

المحاولات المستميتة لإبعاد الناس عن رب الناس:

لقد بذلوا عزيز أموالهم وخلاصة عقولهم وأفكارهم لكى يبتعد الناس عن الدين، وبخاصة فى الشرق الأوسط مهبط الديانات السماوية الثلاث، فخرجوا علينا بالإلحاد، والشهوات، والمهرجانات، ووسائل الإعلام.

والحمد لله فشلوا، وازداد إقبال الناس على الدين واعتصامهم به، الأدهى من ذلك.. كفروا بهم وبسياساتهم فقد عانوا منها طويلاً. وكفروا بجنتهم الموعودة على الأرض، ولم يجدوا حولهم حينما آمنوا بكلامهم وتركوا دينهم، إلا النهب والقتل والخراب والاستبداد وما زال المسلسل مستمرًا.

أهل الشر بسطوتهم وجبروتهم وسجونهم ونيرانهم، وأهل الحق بثباتهم وقلتهم فى المال والعتاد، وأهل الوسط يسيرون وراء كل ناعق، ويتيهون فى الظلام والمشاعل بأيديهم.

والقول الفصل:

لا بد من دين يحكم القيم، ويكون نبعًا لها، ولا يفرق بين جنس وآخر، أو شعب

وآخر، ويكون عادلاً، منصفًا، حكيمًا.

لو لم نقل ذلك لضعنا أولاً ولضاعت الأجيال من خلفنا، ومعهم أبناؤنا ثانيًا، ولصارت البشرية إلى ما تكاد تصل إليه اليوم من خراب ودمار.

هذه ببساطة هى حكاية الدين التى يجب أن نحكيها لأبنائنا.

والله المتسعان وعليه التكلان.. وهو الهادى إلى الرشد والرشاد.

رأى الدكتور شعلان عن الدين وأهميته:

قال الدكتور شعلان فى مقالة له عن العلوم السلوكية:

إن الغرب أدرك بعد فصل الدين عن الدولة، أو العلم عن الإيمان، أن هناك آثارًا جانبية كثيرة نتجت عن كون العلم منفصلاً عن القوة الروحية وأشدها ضررًا: الحروب، التفكك الأسرى، الإبادة الجماعية، التلوث، الجريمة، الإدمان، وغطرسة الرجل الأبيض.

ثم ماذا عن مساحة المجهول الشاسعة والتى لم يغطها العلم والتى ستظل شاغرة حتى تنتهى الحياة؟ وأدرك أنه لا بد من الاهتمام بالقيم والسلوك التى أوحت بها الأديان بعيدًا عن تأثيرها النفعى والدنيوى مثل: الإيثار، الرحمة، السلام، وأن وسائل التربية تحتاج إلى مراجعة جذرية بحيث تحافظ منذ البداية على التوازن فى نمو الإنسان روحًا وجسدًا والتعامل معه كوحدة متكاملة: جسدية، روحية، نفسية وفى وجود تفاعل مستمر بين وجدانه كأجزاء وبينه وبين العالم الخارجى.

وبعبارة طبية وعصبية: التفاعل المستمر بين الفص الأيمن فى الدماغ والمسئول أساسًا عن التفكير الحدسى والفنى والشمولى والوظائف اللاحسية واللالفظية وبين الفص الأيسر فى الدماغ والمسئول أساسًا عن الوعى المحدود للفرد والصراع من أجل البقاء والاعتماد على الحواس وتنمية الفرد واستخدام المنطق والفهم الميكانيكى للأمور.

وأن الوعى بالبعد الروحى للإنسان فطرى ولو فى حالة كمون منذ البداية.

الفصل الثانى

الخبرة الدينية من وجهة نظر نفسية

(كيف يأخذ الناس الدين؟)

- **لماذا يختلف الناس فى أخذهم للدين؟**
- **مظاهر الأخذ:**
  ١- **التدين المعرفى.**
  ٢- **التدين الانفعالى.**
  ٣- **تدين البيئة والعادة.**
  ٤- **تدين المنفعة والمصالح.**
  ٥- **التدين كرد فعل.**
  ٦- **التدين كوسيلة دفاعية نفسية.**
  ٧- **التدين المرضى الذهانى.**
  ٨- **التصوف.**
- **مظاهر التدين الناقص.**
- **التدين الأصيل.**

سؤال: لماذا يختلف الناس فى أخذهم للدين؟

الدين واحد لأنه نزل من عند الإله الواحد. ولكن عند تناول البشر لهذا الدين وتطبيقه فى حياتهم يختلف مأخذ كل منهم للدين، وطريقة تطبيقه ويرجع هذا الاختلاف إلى عاملين:

١- العامل الأول: أن الدين رغم وحدته إلا أنه يتفرع إلى عناصر متعددة، ففيه الجانب الاعتقادى وفيه العبادات والمعاملات والأخلاق، وكل شخص يأخذ من هذه الجوانب بقدر يختلف عن شخص آخر، ولكن يبقى مع هذا صورة التطبيق الكامل

للدين بكل نواحيه متمثلة فى شخصية الرسول محمد ﷺ وصحابته الأبرار.

٢- **العامل الثاني:** إن الإنسان رغم فرديته الظاهرة فإنه يتكون من عناصر ونشاطات متعددة، اختلف وصفها من فلسفة إلى أخرى، ففيه اللاشعور وما تحت الشعور والشعور، وفيه الهو والأنا والأنا الأعلى (فى نظر مذاهب التحليل النفسي)، وفيه ذات الطفل وذات البالغ وذات الوالد (فى نظر مذهب التحليل الفاعلاتى لإريك برن)، وفيه الذات المثالية والذات الواقعية والذات الحقيقية (حسب رؤية كارين هورني).

حتى فى النظرة الدينية نجد أن الإنسان فيه النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة. إذن فنحن أمام إنسان متعدد العناصر (رغم وحدته الظاهرة) يتفاعل مع دين متعدد الفروع (رغم وحدته الحقيقية أساسًا ومصدرًا).

ومن هنا ينشأ الاختلاف فى الخبرات الدينية من شخص لآخر، وهو ما نراه فى اختلاف درجة ونوعية تدين الأشخاص والجماعات، وهو طبيعة بشرية وكونية يجب أن نعرفها كى نحسن التعامل معها وترشيدها، كما فعل المسلمون الأوائل، وهذا فى اعتقادى من أهم دروس الصحوة.

والدين الإسلامى بالإضافة إلى ذلك يتميز بتعدد مستوياته، والتى يرقى فيها الإنسان من مستوى إلى مستوى فى خط تصاعدى كلما اجتهد فى فهم وتطبيق هذا الدين وهذه المستويات هى: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وهذه المستويات يوضحها الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب ﷺ حيث قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**» قال صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرنى عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله**

واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت، قال: فأخبرنى عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».. إلى آخر الحديث.

إذن من كل ما سبق نستطيع أن نصل إلى أن هناك اتفاقًا على مفهوم الدين بكل عناصره، ومستوياته، ولكن هناك اختلاف فى الخبرات الدينية الشخصية منشؤه التعددية السابق الحديث عنها ونوضح تلك الخبرات فيما يلي:

مظاهر الأخذ

١- **التدين المعرفي:** وهنا ينحصر التدين فى المعرفة فقط [مجرد معرفة عقلية] وهؤلاء بارعون فى الحديث عن الدين أو الكتابة فيه، وقد يشتهر ككاتب أو مفكر، ولكن تتوقف المعرفة عند الجانب العقلانى الفكرى، ولا تتعدى إلى دائرة العاطفة أو السلوك. فنراه لا يلتزم بتعاليم الدين الذى يتحدث عنه.

٢- **التدين الانفعالي:** فالشخص يبدى عاطفة طيبة وحماسًا كبيرًا نحو الدين، ولا يواكب هذا معرفة جيدة بأحكام الدين ولا سلوكًا ملتزمًا بقواعده. ونراه يكثر فى الشباب حديثى التدين ويجب لفت نظرهم إلى هذا.

٣- **تدين البيئة والعادة:** حيث ينحصر الدين فى دائرة السلوك، فالعبادات والطقوس الدينية تقام، ولكن بدون معرفة بحكمة العبادات وأبعادها وبدون عاطفة قوية تعطى للعبادات معنى روحيًا، وهؤلاء أفراد نشأوا فى مجتمع متدين محافظ وأخذوا الدين كعادات طيبة مكتسبة. ولا بد من إرشادهم بإضافة الجانب المعرفى وإيقاظ الجانب الروحى.

٤- **تدين المنفعة والمصالح:** هذا الشخص يلتزم بكثير من مظاهر الدين الخارجية واللفظية، للوصول إلى مكانة اجتماعية خاصة أو تحقيق أهداف دنيوية، وهذا الشخص يسخر الدين لخدمته وليس العكس.

٥- **التدين كرد فعل:** يقضى حياته بعيدًا عن الدين، وفجأة نتيجة تعرضه لموقف معين أو حادث معين يتغير من نقيض إلى نقيض، يلتزم بكثير من مظاهر

الدين، مع عاطفة دينية قوية وحماس زائد.

وهذا الشخص يجب تنبيهه إلى أهمية الجوانب المعرفية والروحية العميقة، وأنه يجب الدخول فى الدين برفق، وإكمال جوانب الشخصية حتى لا ينتكس ويعود لسابق حاله بعد زوال أثر المحنة.

٦- **التدين كوسيلة دفاعية نفسية:** يلجأ الفرد إلى التدين لكى يتخلص من مجموعة من المشاعر أو يخفف منها مثل: العجز من مواجهة الوقع، الخوف، القلق، يقظة الضمير، القهر، الإحباط، الشعور بالذنب، طلب الراحة. وكلما زادت هذه المشاعر قوة كلما كان اتجاهه للدين أقوى.

ولا حرج فى ذلك ولا غضاضة؛ فهذا الشخص احتمى بحمى الدين، وغيره احتمى بحمى غير الدين.

فالدين دفاع نفسى صحى إذا كان فى الوقت المناسب وبالكمية المناسبة، وذلك الشخص يعلمه الدين كيف يواجه الحياة ومشاكلها من خلال المفاهيم الأساسية للحياة: الإيمان بالله، الصبر، الرضا.

ولابد من لفت انتباه هذا الشخص إلى شمولية الدين للجوانب الروحية وجوانب المعاملات، والأخلاق.

٧- **التدين المرضى الذهاني:** فى بدايات المرض العقلى -الذهان- يلجأ المريض للتدين فى محاولة منه لتخفيف حدة المرض المتدهور والتناثر النفسى، ويكون الوقت قد مضى فتظهر معًا:

أعراض المرض العقلى + بعض المفاهيم الدينية الخاطئة: **يوحى إليه - له ولاية -** **هو المهدى.**

ويتصرف على هذا الأساس ويصل الجميع ممن حوله إلى حقيقة أن هذا مرض نفسى وليس دينًا.

٨- التصوف: والتجربة عالمية نجدها عند البراهمة والهندوس والمسيحية والإسلام. فهى تجربة شخصية شديدة الخصوصية، عرفها مجموعها من الناس لهم تركيب اجتماعى ونفسى وروحى خاص، والتعبير عن التجربة بالألفاظ المعتادة عسير جدًا؛ لأنها تحدث خارج حدود الألفاظ ومعانيها المستخدمة لها.

وتبدأ عادة بمعاناة من متناقضات داخلية أو خارجية، ثم فجأة كأنه ولد من جديد يرى نفسه، ويرى الكون بشكل مختلف تماما عما سبق، ويحس أن كثيرًا من صراعاته قد هدأت، وأن كثيرًا من الحجب والأقنعة قد كشفت، وعلى الرغم من عمق التجربة وأثرها فى النفس فإنها تبقى خبرة شخصية غير صالحة للتعميم، لا تحل أو تواجه مشكلات الحياة أو تتصدى لقيادتها بمفاهيم محددة.

مظاهر التدين الناقص: هناك صفات عامة يمكن رصدها:

☺ إعلاء قيمة المظاهر الخارجية على حساب المعنى الروحى العميق للدين [رغم أن كليهما مهم].

☺ وجود نوع من الإعاقة النفسية والاجتماعية [صعوبة التكيف مع الآخرين وإقناع المجتمع بأفكاره].

☺ نوع من الإعاقة الشخصية [عدم التكامل، ضعف فى مواجهة الواقع].

☺ الرغبة فى السيطرة الفكرية على فكر ومشاعر وسلوك الآخرين.

وهذا الكلام نداء للمتدين [اتركوا هذه القبائح إن كانت فيكم]

التدين الأصيل: حيث يتغلغل الدين فى دائرة المعرفة والعاطفة والسلوك فى وقت واحد وبدرجات متقاربة يتحقق فيها معرفة دينية كافية وعميقة، عاطفة دينية تجعله يحب الدين ويخلص له: ويسلك سلوكًا متوافقًا مع نفسه والآخرين، فالقول متفق مع العمل، والظاهر متفق مع الباطن، ويسخر نفسه لخدمة دينه وليس العكس.

الفصل الثالث

موقف الآباء والمربين من الدين
وأثر ذلك على الأبناء

١- عدم القناعة بالدين

٢- الاقتناع بالدين مع التغافل عنه

٣- الاقتناع بالدين مع الخوف على الأولاد

لقد أردت بما ذكرته فى الفصل السابق أن يركز فى ضمير الوالدين والمربين أهمية الدين كحل لا بديل له كقيمة فى حياة أبنائنا.

☺ نربيهم عليها.

☺ نلزمهم بها ونلزم أنفسنا حتى تسرى فيهم كروح للحياة وليس كلاما.

☺ كحكم حين الاختلاف.

ونضمن بذلك –إن شاء الله – فردًا صالحًا.. لا يعصى الله فى نفسه.. لا يتعدى على حقوق الآخرين.. لا يتطوع بالإيذاء والضرر لغيره.

ولقد قال جون ديوى – بطل فلسفة المصلحة والمنفعية–: لماذا يحاربون فكرة الله ولولاها لسرقنى خادمى ولخانتنى زوجتى.

انظروا بالله عليكم، قيمة الفكرة عنده فقط هى سرقة الخادم وخيانة الزوجة؟

وأنا آسف على الاستدلال بهذه المقولة، ولكننى أردت أن أثبت فقط أنه حتى عند أكثر النفعيين منفعة توجد فكرة الله والدين وأهمية ذلك فى كبح السلوك الفاسد.

وأضيف مؤكدا أن الدين فى حياة المراهق الكبير عصمة.. وأى عصمة.

إنها عصمة داخلية نابعة من نفسها ولم يفرضها عليه قانون أو قوة.

عصمة من المخدرات، عصمة من الزنا واللواط، عصمة من السرقة، عصمة من الطغيان على الآخرين. ستضمن مع الدين، مراهقًا يمكن ترويضه أو الحد من جوره وظلمه.

والسؤال الذى يطرح نفسه: لماذا لا يفعل ذلك الوالدان أو المربون رغم اقتناعهم بما تقول – بل وقناعة كل عاقل– فالذى تقوله كمن يثبت وجود الشمس؟

والجواب:

حنانيك أيها الحبيب، الأمر ليس كما تقول عن الشمس، فقد قال البوصيرى رحمه الله:

وقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سـقم

فبعض الآباء والمربين –وهم قلة ولكنهم بدأوا فى التكاثر والزيادة– لا توجد عندهم قناعة بالدين وأهميته، نتيجة خبراتهم أو ثقافتهم السابقة وإلى هؤلاء أهدى كلامى الذى سبق.

وبعضهم غافل أو لاهٍ مشغول بنفسه ومصالحه، ويستثقل عبء التوجيه والنصح متمركزًا حول ذاته وليكن ما يكون بعد ذلك، والآخرون حتى ولو كانوا أولاده أو من هو مسئول عن توجيههم، وهؤلاء سيلجأون إلى الدين ولكن قد يكون بعد فوات الأوان.

أما الفئة الثالثة فمقتنعة ولكن خائفة على أولادها.

- ☺ إما من التطرف والتشدد.
- ☺ وإما من المصير الأسود الذى ينتظر المتدينين فى أى بقعة من الأرض... هكذا وبصراحة وبدون رتوش.

وإلى هؤلاء أقول:

إن المصير الذى ينتظر أولادكم والمجتمع حين يبتعدون عن الله ودينه أشد سوادًا وخطرًا من احتمال تعرضهم للسوء حينما يتدينون، ولا أجد دليلاً وشاهدًا خيرًا من مصحات الإدمان، أقسام الشرطة، الجحيم النفسى الذى يعيش فيه الآباء نتيجة جنوح أولادهم.

فالقضية يجب أن تكون.. نعم للدين.. لا للتطرف، وبذلك نكون قد فوتنا الفرصة على من يريد الخلط بين المفاهيم وفزنا بأنفسنا وأولادنا. وهذا محط البحث فى النقطة التالية إن شاء الله.

وأوجه نداءً إلى أهل الخير الذين يرون أنفسهم قلة قليلة مستضعفة لا يؤثر عملها تأثير أهل الشر

يقول الأستاذ سيد:

بذرة الشر تهيج، ولكن بذرة الخير تثمر. إن الأولى ترتفع فى الفضاء سريعًا، ولكن جذورها فى التربة قريبة، حتى لتحجب عن شجرة الخير النور والهواء، ولكن شجرة الخير تظل فى نموها البطيء؛ لأن عمق جذورها فى التربة يعوضها عن الدفء والهواء، مع أننا حين نتجاوز المظهر المزور البراق لشجرة الشر، ونفحص عن قوتها الحقيقية وصلابتها تبدو لنا واهنة هشة نافشة فى غير صلابة حقيقية!. على حين تصبر شجرة الخير على البلاء وتتماسك للعاصفة، وتظل فى نموها الهادئ البطيء لا تحفل بما ترجمها به شجرة الشر من أقذاء وأشواك.

* * *

الفصل الرابع
التطرف كمشكلة دينية

- المفهوم الشرعى
- التطرف الفكرى
- التطرف الانفعالى
- التطرف السلوكى
- العلاج

المفهوم الشرعي:

يعنى المبالغة الشديدة فى جانب أو أكثر من جوانب الدين، وهذا الكلام ترجمة مباشرة للحديث الصحيح:

«إن المنبت	لا أرضًا قطع	ولا ظهرا أبقى»
يضرب الدابة (التى هى نفسه) بشدة حتى تمتنع عن السير	لم يقطع مسافة فهو واقف فى مكانه	نهاية الموقف.. تقلبه الدابة من على ظهرها

والمبالغة قد تكون فكرية - عاطفية - سلوكية.

أما الفكرية: فهى على ضربين:

أ- فكر خاطئ ومتمسك به صاحبه، كالتكفير العمومى والجماعى لأصحاب الكبائر والمعاصى، التوقف فى إسلام مسلمين ينطقون بالشهادتين

ويؤدون الفرائض، العنف غير المبرر.. فإن الدماء أول شيء يتقاضى الناس فيه يوم القيامة.

ب- فكر صحيح وصاحبه متحجر: لا يقبل أى فكر أو رأى آخر سواءً من داخل الدين أو من خارج الدين، ولا يصطدم معه، ويسميهم البعض أصحاب مدرسة الرأى الواحد.

أما العاطفية: عواطف الشخص كلها متركزة على عاطفته الدينية، ولا ينظر، ولا يلتفت بل يحتقر أى عاطفة أخرى إنسانية، وينظر إليها على أنها غير صحيحة أو ضد عواطفه الدينية النبيلة.

السلوكية: المبالغة الشديدة فى أداء الطقوس مع عدم الالتفات للمعنى الروحى لها، وقد يقوم بأفعال تلزم الآخرين بفكرة من أفكاره، وقد يعتدى عليهم إذا لم يطاوعوه، ولو سكت وانكفأ على نفسه لكان خيرًا له، ولكن القضية هى إصراره على إلزام الآخرين، والأمر دائمًا يتعلق بغير الفرائض الشرعية ويقع تحت قضية عقلية، وهى إلزام للناس بما لم يلزمهم الله به [لزوم ما لا يلزم].

العلاج: للأسف يبدأ متأخرًا جدًا. ولا يتحرك القائمون على شئون الدولة أو على شئون أولادهم إلا عندما يصطدم الأولاد بالآخرين، أو يلقون قنبلة على مبنى أو يقتلون. ويكتفى الجميع بالردع المباشر والتشهير والتوبيخ للأولاد، ويزداد الأمر تعقيدًا، ويزداد الأولاد تحديًا وعدوانية، وتنتهى النهاية الحزينة فى السجن، حيث يخرج منه نوعان من الأفراد.

الأول: خانع يائس متحطم ماشى جوه الحيط، وليس بجانبه، لا يعرف للآخر معنى ولا لونًا ولا طعمًا، ونكون بذلك أهدرنا طاقات هائلة فى المجتمع كان من المفترض أن ندفعه نحو الأمام لو أحسن استغلالها وتوجيهها وعقابها.

النوع الثانى: متحجر متسلط يزداد تطرفًا، ويسعى إلى تجنيد الآخرين إما نشرًا لفكرته أو انتقامًا لنفسه وتلاحقه أجهزة الأمن ويهرب منها.. وهكذا إلى ما لا نهاية.

ونسأل أسئلة:

من يصحح خطأ الولد؟

من يقيله من عثرته؟

أين البديل؟

أين مناخ الحرية الذى يسمح بالتعبير عن الرأى والفكر؟

أين الحوار للرد على الفكرة؟

أسئلة ولا جواب..

وهناك حقيقة أكيدة.. إذا استمر المجتمع والأسرة والدولة فى معالجة القضية بنفس الأسلوب الحالي، فالأمر سيزداد والهوة ستصبح سحيقة وسنصل، لا قدر الله، إلى حرب أهلية.

فلابد من رصد الأمر من بداياته.. ولابد من الإيجابية وعدم الصمت عن رصد أى اعوجاج فكرى أو عاطفى أو سلوكى يظهر، وهذا بالأخص دور الأسرة وبالتحديد:

أ- تطرف فكرى خاطئ ومتمسك به صاحبه: وعلاجه يكون بالذهاب للعلماء وأصحاب الخبرة فى هذا المجال مع التزام الصبر والصمود وزعزعة الولد عن تفكيره ومناقشته المستمرة.

ب- فكر صحيح ولكن صاحبه متحجر: لا يقبل أى فكر آخر من داخل الدين أو خارجه.

هذا مرض اجتماعى ليس إلا، والحل: النزول بالولد إلى الحياة والإكثار من تعامله مع الناس واحتكاكهم به، فهو يغيب عن دماغه قضية [الآخر] وحلها عملى وليس نظريًا، ومع الاحتكاك سيعرف أهمية [الآخر] وضرورة التعايش معه.

ج- تركيز العاطفة فى الدين والنظر إلى أى عاطفة أخرى على أنها غير صحيحة أو ضد الدين.

الخطأ هنا فى الشق الثانى وليس فى الأول، فلا بد أن يدرك الفتى قضية مهمة فى أصول الدين:

المباح: وهو ما لا يعاقب فاعله ولا يمدح تاركه.

المكروه: هو ما لا يذم فاعله ويمدح تاركه.

فالمباح والمكروه دائرتان من الأفعال لا ذم فيهما ولا عقاب والحياة مليئة بهذا:

- الخروج للتنزه المباح - الذهاب إلى المتاحف والمعارض والمباريات الرياضية- حب الجمال والتزين- جمع الأشياء الغريبة والنادرة من حشرات وحيوانات وطيور وتحف وطوابع وعملات.

فلماذا تنظر إلى هذه الأشياء باحتقار والله أباحها، ولم يعاقب على فعلها، وماذا علينا لو وجدنا أشخاصًا يفعلونها، ولا يفعلون الحرام قد يكونون تركوا الأهم والأولى، فهل هذا يبرر احتقارهم أو عداوتهم، الشعور الأولى هو الشفقة عليهم.

د- الاعتداء على من لا يفعل فعله أو يفعل عكس فعله أو إجباره على الالتزام بفعل معين:

وهنا الخطورة أشد ولا بد من المواجهة والردع، ولابد أيضًا عند منعه من تفهيمه سبب المنع، مع عرض الحل البديل وتفهيمه طرق التعبير المناسبة عن الخطأ أو الاعتراض، وأن سلطة المنع ليست فى إمكانه وأن تنفيذها بهذه الصورة:

- لن يغير المنكر بل سيزيده.
- سيجلب عليه ضررًا.
- سيتبعها أضرار أكبر من المنكر الذى قام بتغييره.
- ضرورة الصبر والمثابرة لحين التغيير بأقل ضرر ممكن.
- الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، ويقينًا أن تكليف الأفراد بسلطة الدولة وقوتها ليس فى وسع الأفراد أن يعملوه.

والذى وصلت إليه قناعتى وخبراتي، أن الاقتراب من هؤلاء الأولاد مع العطف والشفقة عليهم والإصرار على محاوراتهم وتحمل العنف والشطط يأتى بنتائج طيبة ومفيدة.

الفصل الخامس

الأخلاق [بحث مفصل]

- مقدمة
- الاعتماد على العقل كوسيلة لإدراك الحكمة
- الاعتماد على المنفعة والعقد الاجتماعى كوسيلة لإدراك الحكمة
- الاعتماد على العواطف كمصدر للسعادة
- الاعتماد على الجماعة والعرف كمصدر للأخلاق
- الأخلاق المسيحية واليهودية
- تهذيب الأخلاق عند علماء المسلمين
- الحس الأخلاقى والشعور بالولاء
- التقييم الأخلاقى عند المراهق

مقدمة:

قضية الأخلاق قضية قديمة حديثة، ومهمة تشغل بال القائمين على قضية التربية من آباء ومعلمين ومشرفين، أكثر من كونها تشغل المراهق والشاب، فهو يمضى فى حياته على ما هو عليه من أخلاق تعلمها من البيئة أو الآخرين أو من والديه أو مما يمليه عليه ضميره وتفكيره، ولا يشغل نفسه من أين جاءت، وما هى النتائج المترتبة على الالتزام أو عدم الالتزام بها؟

ولكن القائم على التربية والموجه يرى أثرها الحقيقى فى كبح جماح الشهوات والغرائز، ويحس بفائدتها حينما يصطدم بشخص عديم الأخلاق، فالأخلاق تمنع كثيرًا من الأعباء التى قد يعانى منها.

ويعرف أثرها أيضا حينما يلمس الفوائد الجمة النابعة من حسن الخلق.

ولكى نفهم القضية لا بد من التفتيش عن جذورها، ولا بد من الاطلاع على أقوال المتكلمين فيها، ونسمع منطقهم والرد عليه، وهذا أمر صعب وشاق خاصة وأن

هذا الجيل فقد قضية البحث والتنقيب، ويريد الأمور على طريقة «كنتاكي» وجبة سريعة جاهزة فقط [كل وادفع]، وتزداد الصعوبة عندما تجد نفسك مضطرًا للبحث فى الفلسفة لارتباطها بالأخلاق منذ القدم.. وهذا أَخَّر خروج البحث مدة طويلة.

ولفت نظرى روح التعصب السائدة عند الكُتّاب فكل متشدد لرأيه يراه صوابًا ويرمى الآخرين بل ويتهكم عليهم ويسفههم، وهذا كثير فى مقالات الفلسفة، ولا أراهم إلا كعميان انطلقوا ليصفوا الفيل؛ فمن أمسك ساقه قال هو كالعمود، ومن قال غير ذلك فقد ضل، ومن أمسك ذيله قال هو كحبل، ولا شيء غير ذلك. ومن ركب على ظهره قال هو كلوح خشب وعندى الدليل على ذلك، فالحقيقة أنهم أدركوا جزءًا من الحقيقة وادعى كل منهم أنه اكتشف الحقيقة كلها.

وفى موضوعنا هذا نرى اتجاهات واضحة لا يكاد يخرج عنها الأمر:

١- التعويل على العقل وأنه مصدر الهداية والرشاد.

٢- التعويل على الفطرة التى تهدى الإنسان حينما يحتار.

٣- التعويل على الوراثة والجينات والاستعدادات الوراثية.

٤- التعويل على البيئة والاحتياج للآخرين، ومنشأ الأخلاق على قدر الاحتياج للآخرين والمنافع المرتبطة بهم، البيئة والتعليم.

٥- البحث عن السعادة واجتناب الألم ولا شيء غير ذلك.

٦- النصوص الدينية فقط لا غير كمصدر للعصمة وضمان لعدم التحيز. وقد نال الدين القسط الأكبر من الهجوم، حيث اجتمع الجميع على مهاجمته ولم يسكت رجال الدين فقد هاجموا الجميع وتركوا ما فى أيديهم من جواهر وكنوز.

وتاهت الحقيقة واحتار الجميع حتى خرج من يقول:

[كل واحد يعمل اللى هو عايزه].

وخرج من يقول: الشهوة.. والآن، وليقل كل ناعق ما يريد، وظهرت الوجودية ومن ورائها العبثية والفوضوية، وسنتناول عرض هذه الأفكار، والرد عليها من خلال انتقادات الآخرين لها وليس من خلال وجهة نظرى الشخصية.

ونقطة هامة أود الإشارة إليها:

غياب الدراسات الشاملة والمقارنة وهى المسلك الوحيد للباحث عن الحقيقة فى أى أمر وتمثل الهيكل الأصلى والذى يتفرع منه هياكل أخرى كثيرة.

لقد اصطدمت بهذه الحقيقة عند مراجعتى مجموعة من الكتب وأبرزها كتاب «المشكلة الأخلاقية والفلاسفة» لأندريه كريسون، ترجمة الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- فالكاتب أستاذ فى قسم الفلسفة جامعة السوربون وهو حاذق متقن موفق وذكى.

الرجل يتحدث عن الفلاسفة والأخلاق، وجال كل أنحاء الدنيا فى أوربا القديمة والحديثة، مسيحية وعلمانية وملحدة وهندوسية وبوذية، وبلاد تركب الأفيال والبغال وكأنه لا يوجد فى الدنيا شيء اسمه الشرق الأوسط، ولا يوجد شخص اسمه أبو حامد الغزالى، ولا آخر اسمه ابن سينا أو ابن رشد أو الكندى أو الفارابى أو ابن عربى أو القشيرى أو ابن القيم أو ابن الجوزى، ولا محمد إقبال ولا محمد الغزالى ولا محمد قطب فى العصر الحديث ولا يوجد شيء اسمه الإسلام!!

ولا أظنه جاهلاً بهذا، فموقعه وكتاباته تؤكد غير ذلك حيث ذكر سهوا فى ص ١٧٣ عند الكلام عن الفلسفة المسيحية [أما الفترة الثالثة فقد كانت فى القرن الثالث عشر حينما أخذ الغربيون فى الاطلاع على الشروح العربية لأرسطو وعلى الخصوص شروح ابن رشد] وبسهولة وبدون جناية على ما فى ضميره لا أجد سوى أمرين:

إما أن هؤلاء (أهل الشرق والإسلام) من السخافة والسذاجة والسطحية بحيث إنهم لا يستحقون حتى مجرد السرد لآرائهم أو الرد عليها، وإما أنه يجب عدم ذكرهم قصدًا وابتداء.

أيها الأستاذ الجليل:

إن من ذكرتهم لك من الشرق الأوسط وبلاد المسلمين لهم أتباع ومدارس وتربت على أفكارهم أجيال متعاقبة صنعت تاريخًا وأثرًا فى الإنسانية، أفلا يستحقون على الأقل نقد أفكارهم وتسفيهها وأنت حاذق فى ذلك؟ أم أنه أمر دبر بليل أو أمر يراد؟

الرجل فى قرارة نفسه لا يؤمن بحوار الحضارات، بل يؤمن بحضارة واحدة يحاور رجالها بعضهم بعضًا؛ حضارة الغرب قديمًا وحديثًا، ولا مكان فيها للشرق الأوسط أو الإسلام، وهناك هامش محدود للشرق الأدنى يستحب ذكره من باب إثبات أن هناك آخر، فقط لا غير، أو لإثبات أنه محايد وموضوعى.

وعلى الشرق الأوسط وإفريقية الوثنية أن تبقى مصدرًا للثروات والعبيد فقط لا غير، ولن أقع فى نفس المستنقع ولن أتعصب للشرق الأوسط ولكنى سأبرز الجانب المهمل، ولا يهمنى أن يصل كلامى إليه أو لا يصل [أقصد هو ومن على شاكلته فى السوربون] ولا يهمنى أيضًا أن يرد عليه أو لا يرد، فقد أهمل آبائى وأجدادى من قبل ولم يضيرهم ذلك شيئًا.

الذى يهمنى هو أن أعتذر إلى الله تعالى أولاً فى توصيل علمى للآخرين وقد من على وفتح لى بابا فيه، وثانيا أن يصل الراغب فى البحث عن الحقيقة لأول الطريق وإنى على يقين كما قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله [إن العناية الإلهية لن تدع فكرة صالحة للبقاء إن تموت].

وسؤال فى ذهن القارئ أطرحه على لسانى:

ما هو رأيى وتوجهى فى قضية الأخلاق وأى المذاهب أعتنق؟ فهذا يحدد الغرض من الكتابة كدعاية لما أعتنقه، ويحدد أسلوب العرض وترتيب الأحداث، أو أن هناك جهة ما تتبنى مذهبًا ما وتريد منى أن أستخدم قلمى كسلاح من أسلحتها؟

أقول لك:

هذا أمر ليس مهمًا، على الأقل بالنسبة لك. المهم هو عرض الحقيقة بدون رتوش وبدون انحياز، هذا أمر ألزم نفسي به دون أن تطلب أنت مني ذلك، حتى يمكنك بطريقة مبدئية غير مخطئة الحكم على أي مذهب، حتى مذهب الدكتور حاتم نفسه.

ويمكنك أن تكون لنفسك مذهبًا خاصًا تجمع فيه حسنات الآخرين وتتجنب سيئاتهم ولا أنصحك بهذا الآن.. لماذا؟ لأن الأمر ينقصه شيء جوهري وهو النزول لواقع الحياة، ومعايشة الآخرين، ومعرفة مدى مسايرة الفكرة لواقع الحياة، وتكوين الخبرات العملية بجانب الواقع النظري، لحظتها، ولحظتها فقط، تكون قادرًا على أن توجه نفسك ثم الآخرين.

والله يوفقك ويرعاك ويهديك إلى سواء السبيل.. اللهم أرنا الحق حقًا ووفقنا لاتباعه..

اللهم أرنا الباطل باطلاً ووفقنا لاجتنابه.. اللهم لا تلبسه علينا فنضل.. اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدى إليها إلا أنت..

* * *

الاعتماد على العقل وحده كوسيلة لإدراك الحقائق ومعرفة الأخلاق السليمة

أول من بدأ ذلك أرسطو وتبعه آخرون حتى يومنا هذا:

- كان يبحث فى كل ما يكوّن الرجل الصالح الشريف.
- وركز على أن هناك نوعًا من المعرفة فى مقدورنا الوقوف عليه، ويعنى بذلك معرفة المدركات الكلية التى هى عند كل إنسان بدون شعور منه، حيث قال: إن الأرواح جميعًا تحمل الحقيقة الأخلاقية التى لا تعدو أن تكون من مستلزمات العقل السليم، كما تحمل المرأة الجنين، وكل ما يلزم هو معرفة كيفية التوليد، وألا وهى معرفة النفس [اعرف نفسك بنفسك].
- وكل إنسان يعرف نفسه.. يعلم النافع له، ويميز بين ما يمكن أن يتحمله وما لا يمكن. وعندما يعرف فى شيء ما أنه لا يمكن تحمله أو الوصول إليه يختار القناعة والرضا، ويصل بذلك إلى السعادة.
- أما الذى لا يعرف نفسه أو يسرف فى استعمال ملكاته بحيث يطغى أو يهلك، فإنه لا يعرف أن يقدر الأشياء بل والآخرين وينوء كاهله بالشقاء.
- والوصول إلى السعادة باستخدام العقل والإدراك هو عين الحكمة حيث تنسجم رغبات الإنسان مع ظروفه المحيطة به.
- وإن موطن الثراء والفقر ليس فى بيوتنا إنما فى نفوسنا.
- والذى يعمل الشر هو آثم وجاهل أيضًا، فهو لا يقدر عواقب الأمور ولا يريد أن يفكر فيها.
- وعلى الإنسان أن يقلل ويضبط إلى أقل حد ممكن العواطف والرغبات والحاجات، كى يعيش بعيدًا عن القلق والخطر وليصبر عند ضغط المطلب.
- ونفى أن يكون ذلك دعوة إلى عيشة البطالة والرضا بها. رغم أن ذلك قد

يفهم من كلامه، وذكر أن هناك قوانين وضعها الناس ليسود السلام والعمران ولها زمان وإقليم معين، وهناك قوانين غير مكتوبة صادرة عن إرادة الله، وهى عامة مثل: تقديس الإله واحترام الآباء.

- وذكر أيضا أن الإيمان مكمل للحياة الأخلاقية، غير أن الأخلاق لا ترتكز عليه وإنما ترتكز على الحكمة.

نقد المذهب:

١- قدرة العقل على إدراك معنى الكمال والنقص [كالعلم والجهل] ثابتة وحقيقية.

قدرة العقل على إدراك الفائدة فى الشيء أم مخالفة ذلك للفائدة موجودة وثابتة.

ميل الطباع إلى اللذات ونفورها من الألم موجود.

لكن: الحسن والقبيح أو الصواب والخطأ ليس ثابتًا فى الأشياء ولكنه متغير [نسبى وليس بمطلق]. فما هو نافع بالنسبة لك قد يكون ضارًا بالنسبة لى [وكلانا صواب] وما هو نافع الآن لى قد يكون ضارًا بعد تغير الظروف [والحكمان صواب].

٢- قد يكون للنفس فى شيء ما غرض وهوى ومصلحة، فتوهم للعقل وتخدعه وتزينة وتجعله حسنًا وممدوحًا، وهذا يسمى التبرير فى علم النفس.

فهاهم رجال الدين فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية، يتحالفون مع السلطة ويقولون على باطلهم حقًا وعلى ظلمهم عدلاً، ويقتنع عقل العامة بذلك، ومن لا ديانة له يستحسن الزنا بزوجة الغير ويعد الظفر بها نعمة.

وقد ينفر الطبع من شيء فيزين العقل أنه خطأ، فمن يكون طبعه مستحسنًا السمرة من الألوان يحب ذلك، ومن يكون طبعه مستحسنًا البياض يعتبر السمرة قبحًا.

وباختصار.. العقل البشرى يستبعد منه أن ينأى عن النسبية، أو ينأى عن الفرضية، أو أن ينأى عن الميل لحكم الطبع والنفس. فكيف وهو به ... ة أن يحكم حكمًا مطلقًا صادقًا؟

٣- القيم البشرية الثلاث؛ الحق والخير والجمال، فيها نسبية لا يخرج منها الإنسان إلا حين يأوى إلى الشرع ووحى السماء.

أمريكا ترى غزو العراق حقًا، ومن خالفها باطل.

إسرائيل ترى احتلال أرض فلسطين حقًا، ومن خالفها فمعادٍ للسامية.

٤- كون الشيء أبيض أو أسود مثلاً [أمر لا خلاف فيه وهو مطلق].

كون الشيء مفيدًا أو ضارًا [أمر فيه خلاف وهو متغير فهو نسبي]. والخلط يجيء دائمًا باعتبار المطلق نسبيًا أو النسبى مطلقًا.

٥- قد يحكم العقل على شيء ما أنه خطأ أو صواب بصورة مطلقة عندما تغيب عنه الحالات الاستثنائية، أو عندما يرسخ عنده حكم الأغلبية ويستولى عليه بحيث لا يبقى مكان للاستثناء. وهذا يسمى التعميم والحكم بالذاتية [أى أن الشيء صحيح أو خطأ فى نفسه].

◎ الكذب مثلاً قبيح..
◎ ولكن قولنا قبيح مطلقًا فى كل حال أمر آخر..
◎ الكذب فى الحرب ضد العدو.
◎ والكذب لإصلاح ذات البين.
◎ والكذب على الزوجة لدفع ضرر عظيم يلحق بالمنزل.
◎ وكذلك حسن الصدق..ينطبق عليه أحيانًا ما ينطبق على قبح الكذب.

٦- كم من الأفعال يراها الناس حسنة أو صالحة، أو يراها الناس قبيحة أو طالحة لا لشيء إلا لما ارتبط بها واقترن معها من أحداث [الاقتران].

حبل منقوش [يشبه حية مبرقشة] ← يخاف منه شخص لدغته حية من قبل.

اللون الأصفر الباهت [يشبه البراز] ← يتركه من يُقدم له طعام بلونه.

يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- فى قضية احترام العقل البشرى:

الاستسلام المطلق للاعتقاد فى الخوارق والقوة المجهولة خطر؛ لأنه يقود إلى الخرافة، ويحول الحياة إلى وهم كبير. ولكن التنكر المطلق لهذا الاعتقاد ليس أقل خطرًا؛ لأنه يغلق منافذ المجهول كله. وينكر كل قوة غير منظورة لا لشيء إلا لأنها قد تكون أكبر من إدراكنا البشرى فى فترة من فترات حياتنا. وبذلك يصغر من هذا الوجود - مساحة وطاقة، وقيمة كذلك، ويحده بحدود المعلوم، وهو إلى هذه اللحظة حين يقاس إلى عظمة الكون - ضئيل.. جدًا ضئيل.

إن احترام العقل البشرى ذاته لخليق بأن نحسب للمجهول حسابه فى حياتنا لا لنكل إليه أمورنا كما يصنع المتعلقون بالوهم والخرافة، ولكن لكى نحس عظمة هذا الكون على حقيقتها، ولكى نعرف لأنفسنا قدرها فى كيان هذا الكون العريض. وإن هذا لخليق بأن يفتح للروح الإنسانية قوى كثيرة للمعرفة وللشعور بالوشائج التى تربطنا بالكون من داخلنا وهى بلا شك أكبر وأعمق من كل ما أدركناه بعقولنا حتى اليوم بدليل أننا ما نزال نكشف فى كل يوم عن مجهول جديد وإننا لا نزال بعد نعيش.

من الناس فى هذا الزمان من يرى فى الاعتراف بعظمة الله المطلقة غضا من قيمة الإنسان، وإصغارًا من شأنه فى الوجود، كأنما الله والإنسان ندان يتنافسان على العظمة والقوة فى هذا الوجود.

إنهم يظنون أن الإنسان إنما لجأ إلى الله إبان ضعفه وعجزه، فأما الآن فهو القوة بحيث لا يحتاج إلى إله.. كأنما الضعف يفتح البصيرة والقدرة تطمسها.

إن المؤمنين بعظمة الله المطلقة لا يجدون فى أنفسهم ضعة ولا ضعفًا؛ بل على العكس يجدون فى نفوسهم العزة والمنعة باستنادهم إلى القوة الكبرى المسيطرة على هذا الوجود.

إن لهم رصيدًا من العظمة والعزة فى إيمانهم العميق لا يجده أولئك الذين ينفخون أنفسهم كالبالون حتى ليغطى الورم المنفوخ عن عيونهم كل آفاق الوجود.

الاعتماد على المنفعة والعقد الاجتماعى كوسيلة لإدراك الحكمة

أشهر من تحدث فى ذلك جون ستيوارت ميل تأثرًا بمذهب بنتام، حيث كان يحلم بمبدأ يحكم المجتمع أخلاقيًا له قوانين ونتائجه محسوبة بدقة مثل الرياضيات والفيزياء.

ولم يجده سوى فى مبدأ المنفعة، بمعنى أن الحكم على أى سلوك أو سياسة أو قاعدة قانونية هو درجة نجاحها فى تحقيق أكبر قدر من -المنفعة بعد طرح ما يمكن أن يترتب عليها من أضرار [أكبر قدر من السعادة لأكبر قدر من الناس]- مع الأخذ فى الاعتبار أن اللذات تختلف فى الكمية والكيفية، وفى مقدار الفضيلة فيه ومقدار الشر ولا يعرف ذلك إلا أصحاب الخبرات الذين لا بد من مراجعتهم.

ويقولون: إنه لا بد من التمرد على الميتافيزيقيا لصالح التجربة والملاحظة، وتبعهم أحمد أمين فى ذلك قائلاً: إلى هذا العهد [عهد اعتناق أفكار ميل] كنت أحكم العواطف لا العقل ولا أسمح لنفسى بالجدل العقلى فى مثل هذه الموضوعات [الأخلاق والميتافيزيقيا].

ويقول دولباخ فى كتابه الأخلاق العامة:

السعادة الدنيوية فيها ما يكفى عما سواها [هل يقصد الآخرة؟!] وأن السعادة هى أعظم قدر من اللذات مع أقل قدر من الألم، واللذة ليست حقيقية إلا إذا اتفقت مع النظام [لم تحدد الكلمة نظام الدولة أم القبيلة أم الجماعة أم الدين]، وإذا كان طلبها مفسدًا للنظام فهى شر، فالحكماء هم الذين ينظمون رغباتهم، وأنه لا بد من عقد اجتماعى بين أعضاء كل جماعة يتحدد فيه ما يجب تركه من كل فرد حتى تعيش الجماعة [لا يشتم، لا يتخذ رغبة تضر الآخرين ككل، لا يؤذي].

ومن هذا يتكون الخير والشر، والعدل والظلم، وبدون هذا العقد الاجتماعى تتفكك الجماعة.

وذهب به الاستهزاء بالدين إلى قوله: أن المتدينين يفعلون ما يفعلون من أجل مصلحتهم الشخصية وهي ثواب الآخرة وهي ثمن يقبضونه فهم نفعيون ولكن بصورة ما.

وذهبوا أيضا إلى أن الذى يلقى بنفسه لينقذ غريقًا أنه لم يخاطر بحياته إلا من أجل المنفعة، لا الواجب ولا الرحمة بالضحية ولا الفضيلة إنها المكافأة الموعودة، فلا يوجد شيء اسمه الرحمة أو الفضيلة إنها المنفعة وترك الخسارة.

فالحكم على الشيء [كقانون عام وملزم] هو بقدر ما فيه من منفعة، وغابت عن ضميرهم قصدًا منفعة الآخرة، واعتبروا المنفعة هى منفعة الشخص أو منفعة المجتمع، حسب العقد الاجتماعى المدرج بين الناس.

وركز جان جاك روسو على العقد الاجتماعى وجعله بديلاً كاملاً عن تعاليم السماء.

نقد المذهب:

أنتم تتحدثون عن المنفعة ووجود عقد اجتماعى، وأن هذا مقياس الأخلاق ولا شيء غيره يستحق. والذى تقولونه ينطبق على فئة ضيقة جدا لهم ضمير أدبى كامل، وفهم لقضية مصلحة المجتمع مع روح اجتماعية قوية. فكأنكم كمن سبقكم قدمتم حلاً للطبقة الراقية من المجتمع، أما مجموع الناس فنرى عندهم دوافع كثيرة جدًا غير المنفعة والعقد الاجتماعى:

- ☹ خوف رجال الشرطة أن يأخذوهم ولو بالشبهة.
- ☹ خوف الفضيحة، وإن لم يترتب عليها ضرر مادى.
- ☹ خوف العقوبة الإلهية فى الدنيا أو الآخرة أو كلتيهما.
- ☹ حب الإيثار والتضحية، وهذه بالذات لا مكان لها عندهم أو لأنها ملك البلهاء.

وإنقاذ الغريق التي تحدثوا عنها؛ مررت أنا شخصيًا بها، وقام من معى على الشاطئ بمساعدتى وبدون أى أجر، وكاد بعضهم يهلك عند إنقاذه الآخر.

قال كانت:

أرفض أن تؤسس الأخلاق على اعتبارات نفعية؛ لأن المنفعة تمحق الفضيلة.

تاهوا عندما واجههم بقضيتين..

- الجندى فى الحرب يضحى بحياته من أجل الجماعة: أين دافع المنفعة؟ خاصة أن نفسه هى التى ستضيع.
- هل يحق لإنسان مسكين مديون أن يقتل جابيًا متغطرسًا سيرتاح منه الجميع عند قتله ولن يمسكه أحد.

أظن أن الآية الكريمة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ هى عندهم كفر بواح يخرج من ملتهم، خلطوا خلطًا عجيبًا بين أن يسعى الإنسان لتحصيل منفعته ومنفعة المجتمع حوله، ويصر على ذلك [وتلك قضية لا خلاف فيها أبدًا] وبين أن يتواجد لذلك الإنسان أثناء سعيه كوابح وموانع تمنعه من القتل، السرقة، الزنا، الظلم. ولا تضاد أبدًا فى المجتمع بينهما.

ونظروا للقضية الأولى فقط واعتبروها هى الأخلاق، وتركوا الثانية تمامًا مع أنها الأخلاق، وواضح أنهم لو ذكروها لطالبهم الآخرون بمصادر الأخلاق، ولوقعوا فى متاهة من سبقهم.. الدين أو الفطرة أو المجتمع.

- هذا المبدأ كما ذكر د/ جلال أمين يؤدى إلى التسوية بين عملين غير متساويين من زوايا أخرى غير المنفعة.
- هذا المبدأ يستخدم لتبرير أى عمل غير أخلاقى باسم تعظيم المنفعة، أمريكا والعراق.
- تبنى هذا المبدأ وتطبيقه جنينا ثماره الآن من المجتمع الاستهلاكي، وإعلاء شأن التنمية الاقتصادية على كل ما عداها من اعتبارات إنسانية وأخلاقية.
- نحن نقر ونعترف بأن أصل التعامل فى الدين رجاء الثواب فى الآخرة، خوف العقوبة فى الآخرة، محبة الله والسعى إلى رضوانه، فحاكمونا أو استهزئوا بنا إن شئتم وكيفما يحلو لكم.

وقضية هامة أثارها الأستاذ أندريه:

الابتسار [الحكم قبل الاستقراء الكافي] حيث أفاد أن الابتسار صحيح جدًا فى الرياضيات والطبيعة، حيث تعطينا المعادلات النتائج، حيث توفر ظروف التفاعل بغض النظر عن أى اعتبارات أخرى، ولكنه بالغ الضرر جدًا فى أبحاث التطور الاجتماعى وهذا هو مربط الفرس فى قضية الأخلاق. حيث لا يمكن ضبط ظروف التفاعل فى المعادلة بما أن← إذن.

فهى متغيرة بتغير الزمان والمكان، فمن ذا الذى يستطيع أن يحدد ما سوف تكون عليه البيئات الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية المنحلة الروابط غدًا.

إن النفس البشرية والمجتمعات الإنسانية لا يمكن دراسة طبيعتها على صورة معادلات الرياضيات والطبيعة والكيمياء، إنهم لم يتحدثوا عن تعارض المنافع والمصالح بين الفرد والآخرين، وبين الفرد والمجتمع. وقد ثبت أن المتميزين من البشر اختلفوا مع الآخرين، وتركوهم، واختلفوا مع العقد الاجتماعى الموجود، وكونوا عقدًا جديدًا. ومنهم من كان على صواب وأثبتت الأيام ذلك، ومنهم من كان على خطأ وأثبتت الأيام ذلك أيضا.

* * *

الاعتماد على العواطف
كمصدر للسعادة

أصحاب هذه النظريات تحدثوا عن الإحساس بالسعادة كهدف أساسى للإنسان، ووصفوها كناتج لتفاعلين؛ إحداث اللذة وتجنب الألم.

والألم عندهم نابع من تبعات اللذة أو وخزان الضمير وتأنيبه، ومن هذا الباب فقط يدخل الدين، ثم تحدثوا بعد ذلك عن الحكمة والفضيلة والخير الأعظم وأشهرهم فى هذا الصدد: ديكارت وسبينوزا.

ومجمل الحديث كان عن السلام الروحي، الذى لا يتأتى إلا حينما نعرف كيف نسوس العواطف. ويبدو أنهما نقلا كل ما قاله أرسطو عن القناعة، غير أن الطباعة أيامهما كانت غير منتشرة. فلابد من إرادة قوية لعمل الخير. ولا بد من القناعة حينما لا نستطيع تنفيذ رغباتنا أو بتنظيم العواطف بالإرادة الحرة والإدراك.

والطريق إلى الإدراك يتم بمعالجة التفكير فى طبيعة العاطفة، والسبب فيها من كره وحب ورجاء وخوف، وأننا نعيش مع آخرين يعارضوننا ولا بد من مراعاتهم.

نقد المذهب:

تنظر المسيحية الدينية إلى أن إله سبينوزا هذا ليس بينه وبين الله صلة سوى الاسم، إنه لا يعمل شيئًا من أجل غاية فهو ليس بحكيم، ما يصدر عنه يصدر بطبيعته كإله، وإن كونه يدبر الأمر يسلبه الكمالات الإلهية، وهو لا يعتقد بخلود الروح، بل يقول إن فينا شيئًا خالدًا، ولكنه فقط العقل والعلم أو العام المشترك الذى لا ينفرد به شخص دون آخر، أما الروح فتلك مذهب الميتافيزيقيين.

مرة أخرى هل نجح ذلك الكلام البراق فى إقناع:

- داعر سافل منذ الطفولة على أن يسير عكس ما كان، ويترك لذاته السهلة التى يعرفها من أجل سعادة لا يعرفها.

- شخص أنانى -بدرجة ما- أن يترك سلامه الداخلى وسعادته فى نمو نفسه وتضخمها على حساب الآخرين بل يرى الشفاء فى مراعاة الآخر.
- شخص عامى لا يدرك ولا يتأمل، يريد قوت يومه ويحيا على بقايا من القيم ورثها عن طريق الدين وليس التأمل.
- إن الحروب وانهيار القيم وضياع الأخلاق بعد نزعها من رباطها الأصلى (الدين) زادت على أيديهم فى أوروبا وأمريكا.
- ماذا عن محاربة الشر ودوافع الظلم الموجودة فى النفس.. يتكلمون عنها إجمالاً وكأنها غير موجودة.
- قال لهم كانت:

اللذة والألم إحساس يصدق ويكذب، يروح ويجيء فضلاً على أنه شيء شخصى متفاوت، وتلك الأمور لا تصلح كقواعد عامة تحكم الناس، ولا تجعل الأخلاق علما ولا بد من أساس عقلى للأخلاق، وليس حسيًا يحدد لنا ما يجب فعله أو الواجب. وإن ما تسمونه البعد عن الأذى هو قانون عقلى.

وقال أخيرًا: إنه لا بد من أن نعتقد فى مسلمات الدين التقليدية لأنها تبرر وجود القانون الأخلاقى.

يقول الأستاذ سيد/ فى قضية اتباع الهوى والعواطف:

أحيانا تتخفى العبودية فى ثياب الحرية فتبدو انطلاقًا من جميع القيود، انطلاقًا من العرف والتقاليد، انطلاقًا من تكاليف الإنسانية فى هذا الوجود.

إن هنالك فارقًا أساسيًا بين الانطلاق من قيود الذل والضغط والضعف، والانطلاق من قيود الإنسانية وتبعاتها. إن الأولى معناها التحرر الحقيقى، أما الثانية فمعناها التخلى عن المقومات التى جعلت من الإنسان إنسانًا، وأطلقته من قيود الحيوانية الثقيلة، إنها حرية مُقنّعة لأنها فى حقيقتها خضوع وعبودية للميول الحيوانية، تلك الميول التى قضت البشرية عمرها الطويل وهى تكافحها للتخلص من قيودها الخانقة إلى جو الحرية الإنسانية الطليقة.

إن السمو مع الضروريات الإنسانية والتمكن منها والسيطرة عليها وتوجيهها هو أول مقومات الإنسانية، وإن عدم الخضوع لقيودها هو الحرية، وإن السيطرة على دوافع اللحم والدم وعلى مخاوف الضعف والذل كلاهما سواء فى توكيد معنى الإنسانية.

يقول الأستاذ سيد فى الإحساس بالحياة كقيمة أساسية لوجود الإنسان:

ليست الحياة بعدِّ السنين ولكنها بعداد المشاعر، وما يسميه الواقعيون فى هذه الحالة وهمًا هو فى الواقع حقيقة أصح من كل حقائقهم- لأن الحياة ليست شيئًا آخر غير شعور الإنسان بالحياة.

جرد أى إنسان من الشعور بحياته تجرده من الحياة ذاتها فى معناها الحقيقي، ومتى أحس الإنسان شعورًا مضاعفًا بحياته فقد عاش حياته مضاعفة فعلاً. يبدو لى أن المسألة من البداهة بحيث لا تحتاج إلى جدال.

* * *

الاعتماد على الجماعة
والعرف كمصدر للأخلاق (القبلية)

وسنذكر أقوال ليفى ودور كايم وبرجسون باعتبارهم أشهر من تحدثوا فى هذا الصدد:

أما ليفى فقد هاجم كعادته السابقين واتهمهم بالسخافة والاضطراب، وخلط خلطًا واضحًا بين الأخلاق والأعراف فمثلاً قضية الزواج وطقوسه [لبس فستان أبيض - أو يذبح عجلاً] فالزواج أمر خلقى مرتبط بأصول فلسفية أو عقائدية ثابتة، أما الطقوس فهى أمرٌ اجتماعى عرفى يتغير من بيئة لأخرى، ومن زمان لآخر، وعلماء الأخلاق تكلموا عن الأمر الأول.

وليفى تكلم عن الأمر الثانى ورمى من لم يؤيده بأنه لم يحسب حساب الأزمنة والأمكنة وأنه لم يدرك أن ليس هناك إنسان [مستقل بنفسه]

أما دوركايم فقد تحدث عن الضمير الاجتماعى وأرجع تكوينه إلى أصول شتى، وأنه على هدى هذا الضمير تُخضع الجماعة أفرادها لنمط من التربية الأخلاقية تختاره لهم، وينشأ فى نفس كل فرد التزامات حتمية لا يمكن أن يتملص من رغبتها إلا بنوع من انتهاك الحرمات.

وتحدث برجسون عن نوعين من الجماعات، ينشأ عنهما نوعين من الأخلاق العامة [الجماعات المغلقة- الجماعات المنفتحة].

أما الجماعات المغلقة فأخلاقها تدور حول:

- تقوية نفسها ضد الجماعات الأخرى.
- وضع نظم وقواعد تهدف إلى المحافظة على حياة الجماعة.
- النظرة الدونية للآخرين غير جماعتهم.

- اعتقاد أنهم على الحق المطلق وأن الآخرين على الباطل المطلق.

والجماعات المنفتحة على عكس ذلك، بل إنها لا تمانع من اختراقها ودخول غير ذوى العضوية فيها وتختلط هويتها بهوية الآخرين.

وسؤال طرحه أندريه:

إذا كانت الجماعة، والجماعة فقط، وليس أى شيء آخر هو منشأ بعض الأخلاق، فما الذى يفسر عدم القدرة على جعل الحيوانات سهلة التهذيب، كالقرد والفيل، ذات ضمير أخلاقى كالذى ينمو سريعًا عند صغار الأطفال، [إنه الاستعداد الفطري] وأيضًا ما الذى يجعل بعض الأفراد يثورون على أخلاق بيئتهم ويغيرونها.

الأعراف والعادات شيء موجود، وله سلطانه ولكنه ليس كل شيء، وهناك أخلاق عامة موجودة عند كل الأعراف والعادات الباقية والتى لم تنقرض. فمن أين أتت؟ وكيف ثبتت مع زوال الأعراف وتغيرها؟

لقد جعلوا الضمير الاجتماعى والعرف هو الأصل الأصيل وأنكروا الفطرة، وسلطان الدين، وقوانين الدولة التى قد تمنع بعض الأعراف، وعادوا مرة أخرى إلى قضية العميان والفيل.

وآخر جملة:

من يضمن العصمة فى التوجيه لمن يضع قانون الأخلاق أو أعرافها؟

* * *

الأخلاق المسيحية واليهودية
الاعتماد على النص الدينى كأساس

بدأت على يد مبشرى المسيحية الذين كانوا يقطنون أطراف الدولة الرومانية، وبإصرار منهم على بعث عقائدهم رغم ما كان ينزل بهم من عنت وعداء، وكانت الإنسانية محرومة من عاطفة الإخاء الإنسانى العام، وبحاجة ماسة إلى تلك الدعوة، حيث الإخاء والحب والتسامح، فدخل الناس أفواجا واستبدلوها بديانات لم يكن للإنسانية فيها شيء مقنع. وانتشرت من العوام إلى الأثرياء الذين لم يعودوا يعتقدون فى آلهة أسلافهم.

وكان الاضطهاد دعاية للأفكار الجديدة بدلاً من القضاء عليها ثم فرضت الأفكار نفسها على الخاصة المثقفين.

وكان المثقفون فى الإمبراطورية الرومانية على علم بآراء سيشرون وأفلاطون وأرسطو وأبيقور والراوقيين، فلما جاءتهم الأخلاق الجديدة الموحاة من آلهة التوراة والإنجيل سألوا أنفسهم: إنها تتفق مع بعض ما جاء من فلسفة اليونان المبرهنة بالدليل، وممكن استخدام تلك البراهين من جديد:

وجود إله: عند أفلاطون والرواقيين ما يثبت ذلك.

الحياة الآخرة: أفلاطون فى كتابه (فيدون)و سيشرون.

خلود الروح: أفلاطون / سيشرون.

تعاليم الإله الواجب السير عليها: أفلاطون فى كتابه طيماوس.

وقالوا فى أنفسهم: ماذا علينا لو غيرنا قليلا فى الألفاظ؟

وأيضا قالوا: الإيمان فى حاجة إلى الأدلة العقلية التى تبرهن عليه ليكون أكثر خصوبة.

ولم العدول عن براهين إذا هذبت وجُودت أقنعت الوثنيين والملاحدة. والعقل لا شك أنه محدود، ولا شك أن بعض الحقائق فوق العقل إلا أنه مما لا ريب فيه أن الإيمان لا يناقض العقل.

هناك جانب لا نفهمه لكننا نعلم أنه حق لأنه منزل لا يدخل فى دائرة اللامعقول.

إن لم ندركه فذلك لقصور فى عقولنا.

- العالم موجود فله إذن علة أوجدته.
- العالم مادة والمادة، لا تتحرك بنفسها، فلابد إذن من وجود شيء يبعث فى العالم الحركة.
- فى العالم نظام بديع من الكواكب والنجوم، فهل يفسر ذلك بشيء غير إله قادر على صنعه والاحتفاظ به؟
- هذه الحيوانات والطيور، هل يمكن تفسير وجودها بغير صانع حكيم خلق لكل كائن حياة خاصة؟
- الفكرة لا توجد من نفسها ولا توجد قط إلا عند إله يحملها ويدبرها.

ثم ذكر الشيخ عبد الحليم محمود: ومع كل هاتيك الجهود فإن الفلاسفة العقليين لم يبهرهم ذلك الطلاء بشتى الألوان، ولا نفعهم المضى فى نقدهم المدمر، حتى أن تلك القواعد طالما حسبتها الأجيال قواعد عقلية حقيقية. وكان هذا الاتجاه السائد فى القرن الأول الميلادى عند الآباء اليونانيين واللاتينيين.

مع إضافة:

لا جدال ولا مناقشة فى الإيمان، لأن الوحى معصوم، وكل فلسفة لا تلتقى مع أحدهما فهى خطأ محض، لأنها تتعارض مع ما أنزله الله. وبدأت إقامة الأخلاق اليهودية المسيحية على أساس من العقل وظهر الإنتاج اليونانى للقديس كليمان

الإسكندرى، واوريجين واتناز وجريجوار. والإنتاج اللاتينى لجوستين وترتولين وأديويا وإمبرواز وجيروم وأوغطسين وبولس وكيودور.

ثم ظهرت فترة صراعات حول وجود المثل فى الخارج أو فى الذهن بين أريجين وأنسلم وجيوم من جهة، وروسلين من جهة أخرى، وتوسط بينهم ابيلارد، ثم تكونت مدارس وانقسامات مثل: ألبير وتوماس أكوينى ودون سكوم وجيوم دوكام.

واستمر العهد القديم والعهد الجديد مقياسًا للحقيقة الأخلاقية وما عداهما أبهة من السهل التخلى عنها، غير أنها مفيدة فى إقناع الملحدين وضعاف الإيمان.

وأخيرًا.. ماذا تقول النصوص فيما يخص الأخلاق؟

أولاً: العهد القديم:

سفر الخروج، سفر الأخبار، سفر التثنية.

- أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر، موطن الذلة، فلا تتخذوا دونى آلهة تعبدونها.
- حرمت عليكم الأصنام والتماثيل وتصوير ما فى السماء أو فى الأرض أو فى قاع البحر، لا تعبدوا شيئًا منها ولا تقيموا الشعائر لها.
- لا تنسوا أن تقدسوا السبت..
- احترموا آباءكم وأمهاتكم لتعمروا طويلاً على الأرض التى منحها الله لكم..
- لا تقتلوا قط، ولا تزنوا قط، ولا تسرقوا قط، ولا تشهدوا الزور قط على جاركم.. ولا ترغبوا فى زوجته أو خادمه أو خادمته أو ثوره أو حماره أو أى شيء يمتلكه..
- من قتل فعقابه القتل..
- ومن قتل حيوانًا فإنه يلزم بحيوان مثله..
- ومن أهان أحد مواطنيه يهان بمثل إهانته..

- العين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص..
- كونوا قديسين لأنى أنا الرب إلهكم قدوس..
- ليحترم كل منكم أباه وأمه ولا يخفهما.. لا تولوا وجوهكم شطر الأصنام..لا تتحدثوا عن الأصم بما يكره.. ولا تضعوا أمام الأعمى ما يرتطم به.. يجب أن نحب الله من فوق كل شيء..

والعهد القديم يشمل الشريعة، وليست الفضيلة إلا فهمها وتطبيقها فى كل حالة تعرض، والتزامها بانتظام وخضوع.

ثانيًا: تعاليم المسيح:

- لا تعتقدوا أنى أتيت لأمحو الشريعة والأنبياء..
- السعادة ليست فى هذا العالم، فليست الأرض إلا منفى، أما مملكة الله فليست فى عالمنا الأرضى بل هى فى عالم آخر.
- لا تجمعوا النفائس حيث السوس والصدأ يتلفان كل شيء، وحيث اللصوص ينقبون ويسرقون، ولكن اجمعوا واكنزوا النفائس فى السماء.
- اغرسوا الفضائل التى تحتقرها كبرياء الإنسان؛ مثل بساطة القلب والتواضع والطهارة. سعداء هم السذج لأن مملكة السماء لهم. سعداء هم المرضى لأنه سيواسون. سعداء هم الحكماء لأنهم سيرثون الملك. سعداء من جاعوا وظمئوا إلى العدل لأنهم سيشبعون. سعداء هم الرحماء لأنهم سيرحمون.
- إذا حملت قربانك إلى الهيكل، ثم تذكرت أن فى نفس أخيك منك شيئا فاترك قربانك أمام الهيكل، وعد لتصلح ما بينك وبين أخيك أولاً، وبعد ذلك عد للهيكل وقدم القربان.

سمعتم من قبل أن العين بالعين والسن بالسن، ولكنى أقول: لا تقابلوا من يسيئونكم بالمثل: بل إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، وإذا ادعى أحد ملكية ثوبك فاتركه له.

- أحبوا أعداءكم. باركوا من يلعنكم. اعملوا الخير لمن يبغضكم. وصلوا لمن يسيئكم ويعذبكم.
- لا تعامل الناس بما لا تحب أن يعاملوك به.
- استشر العارفين، والعارفون هم ساسة الضمير، هم القساوسة والرهبان والمتمرسون بأعمال الاستنتاج الأخلاقى.
- يجب أن تنظر إلى الحياة على أنها ابتلاء [امتحان دائم أمام الله]..
- العالم ليس شيئًا آخر غير حجرة فسيحة الأرجاء لامتحان الأخلاق.

إن فلاسفة التعاليم المسيحية كانت لهم دعوة إلى التفكير المستمر فى الموت، فى الله، فى الدين.

عن طريق العقل يهاجمون النصوص الدينية:

أسباب هجوم مفكرى القرن ١٧، ١٨ على فلاسفة الأخلاق المسيحية [سبينوزا، أتباع بايل، أتباع فولتير، أتباع ديدرو، أتباع دولباخ، أنسيكوبيدين].

أولاً: تناقض النصوص الدينية:

- بمعنى التمحيص التاريخى للنصوص[تفسير العهد القديم] وهو ما نادى به سبينوزا.
- دخول قضايا مسلم بها إلى الجدل، مثل: الكتب المقدسة على اختلافها صحيحة. حماية خاصة مضروبة من الله على النصوص التى تحويها تلك الكتب وعلى جميع التفاصيل.
- سفر التثنية مسطر بيد موسى، ويتكلم عنه بضمير المتكلم، بينما سائر الأسفار تتكلم عنه بضمير الغائب.
- التوراة عينت أماكن بأسماء لم توضع لها إلا بعد أزمان متطاولة.
- القصص فى التوراة تمتد بدون انقطاع حتى بعد وفاة من ادعى إخراجها.
- قال سبينوزا عن نصوص العهد القديم: كثير منها على تناقض فيما بينها

وكثير تافه المعانى، عكس ما قاله هيراس الذى ادعى إخراجها.

- نحن لا نعرف مقاصد من كتبوا التوراة، وبأى روح كانوا يكتبون.
- شمشون فى العهد القديم وحيد وبدون جيش يقتل ألوفًا من الرجال و هناك تشابه واضح بين الأساطير اليونانية وتلك الأساطير.

ثانيًا: تقدم الأبحاث الاجتماعية: حيث ساهمت فى توجيه العقول وجهة أخرى فى الأخلاق، حيث تكون الجماعات توجد أخلاق حتمية ضرورية لا تنشأ الجماعة بدونها: أى جماعة.

ثالثًا: سلوك رجال الكنيسة:

الفرق الأساسى بين المذاهب الأخلاقية اليونانية والرومانية [العهد الوثني] وبين رجال الفلسفة اليهودية والمسيحية، إن فلاسفة العهد الوثنى المتدين منهم وغير المتدين لا يتخذون من تفكيرهم فى الدين مبدأ يقيمون على أساسه صروحهم الأخلاقية.

لقد تحاشوا ذلك ولم يستدلوا إلا على العقل والتجريد، العقل والعقل وحده وقال أندريه: إن أرسطو كان يلهو بقصص من تصوراته، وإن أوفيد جاء بأساطير طريفة لها أحيانًا مرام سياسية، أما رجال الفلسفة اليهودية والمسيحية فهم يرتكزون على عنصر آخر: الإله، الوحى، على موسى والألواح، وعيسى نفسه كإله كما يزعم النصارى. ولا يمكن للمسيحيين فصل العهد القديم عن الإنجيل، إذ توجد فيه أدلة على المسيح ومجيئه فى صورة تنبوءات تحققت.

فإذا لم يعترفوا بالعهد القديم فطبيعة المسيح الإلهية تكون موطن شك، رغم أن تعاليم المسيح تخالف تعاليم موسى.

* * *

تهذيب الأخلاق عند علماء المسلمين
أبو حامد الغزالي [إحياء علوم الدين]

١- الخلق الحسن: صفة سيد المرسلين وثمرة مجاهدة المتقين، والأخلاق السيئة هى السموم القاتلة والمخازى الفاضحة، وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة.

ولا يخلو قلب من أسقام، لو أهملت تراكمت وترادفت واستشرت العلل وتظاهرت، فهذا النوع من العلاج لأمراض القلوب واجب على كل ذى لب وهو المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ فالمقصود بالكلام تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق وعلامات مرض القلب والطريق الذى يعرف به الإنسان عيوبه.

- وروى أبو داود والترمذى وصححه «**أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق**».
- وروى الترمذى وقال: حسن صحيح «**اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**».
- وروى ابن حبان فى صحيحه «**اللهم كما حسنت خَلْقى فحسن خُلُقي**».
- وروى مسلم فى دعاء افتتاح الصلاة: «**اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق، لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت**».

وحسن الخَلق والخُلق عبارتان مستعملتان معًا فى حسن الباطن والظاهر؛ والإنسان جسد مدرك بالبصر وروح مدركة بالبصيرة، ولكل منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة، والجسد منسوب إلى الطين والروح منسوبة لرب العالمين.

٢- تعريف: الخُلُق:

قال الغزالى: هيئة راسخة فى النفس، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية [بتلقائية]، فإن كانت محمودة عقلاً وشرعًا سميت خلقًا حسنًا وإن كانت مذمومة عقلاً وشرعًا سميت خلقًا قبيحًا.

الأخلاق الأساسية عند الغزالي:

العلم (الحكمة)

[redacted]

الحكمة

وعندما تزداد ينتج: خبث، مكر، صراع، الدهاء

ومنها يخرج:

حسن التدبير، جودة الذهن، ثقابة الرأي، إصابة الظن، التفطن لدقائق الأعمال، وخفايا النفوس

وعندما تقل: بله، حمق، قلة الخبرة

الغضب

[redacted]

تهور، الصلف، الاستشاطة، التكبر، العجب

ومنها يخرج: الكرم، النجدة، الشهامة، كسر النفس، الوقار، الاحتمال، الحلم، الثبات، كظم الغيظ، التودد

الجبن، المهانة، الذلة، الجزع، الخسة، صغر النفس، الانقباض عن تناول الحق

الشهوة

[redacted]

إذا صلحت أنجبت العفة

ومنها يخرج: السخاء، الحياء، الصبر، المسامحة، القناعة، الورع، اللطافة، المساعدة، الظرف، قلة الطمع

الشره

جمود

يحصل منهما الحرص، الوقاحة، الخبث، التبذير، التفريط، التقصير، الرياء، التقصير، الهتكة، المجافاة، العبث، الملق، الشماتة، الحسد، التذلل للأغنياء، احتقار للفقراء

العدل

[redacted]

إذا فات فليس له طرفان بل ضد وهو الجور.

* لم يبلغ كمال الأربعة إلا رسول الله ﷺ. والناس بعده متفاوتون فى القرب والبعد عنه. ورسول الله ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

هل الأخلاق جِبِلّية (وراثية)؟ أم كسبية من (البيئة)؟

نفس المعركة فى كل ما يخص الإنسان ونفس الانقسام..

الطرف الأول: (الوراثة)

قال كانت وسبنسر وشوبنهور وريمام:

الوراثة هى كل شيء، وينضم إليهم كل علماء الوراثة والكيمياء الحيوية.

-وأرسطو زاد عليهم: أن كل ما تستطيع المبادئ فى هذا الصدد أن تشد عزم بعض فتيان كرام على الثبات فى الخير، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقًا للفضيلة وفيًّا بعهدها.

الطرف الثانى: (البيئة)

النواة لا تكون شجرة دفعة واحدة، ولكنها بالرعاية والتهذيب تصبح شجرة..

القول بعدم قبول الخلق للتغيير

- جبرية محضة.
- تلغى إرادة الإنسان وقصده.
- يجعل الرسالات والنبوة عبثا.
- أصحاب هذا القول منهم الإباحيون الذين رفضوا الحد من رذائل النفس ومقاومتها واستمرءوا هواهم فقالوا بما قالوا.

والله تعالى خلق نفوسًا:

- تعرف الحق وتستمرئ هواها.
- تعرف الحق وتحاول الوصول إليه.
- لا تعرف الحق ولا تحاول الوصول إليه.

والرسل مع قوة حجتهم ووضوحها

- لم يؤمن بهم كل الناس.
- هناك درجات فيمن آمن بهم.

رأى الغزالى:

زعم من غلبت عليه البطالة [لا يجب بذل مجهود فى أى شيء]، ومن اشتغل

بالمجاهدة والتزكية ثم غلبته نفسه، أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فقالوا:

- الخلقة الظاهرة لا يمكن تغييرها. فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً وكذلك الباطن.
- الطبع بيطلع بعد الروح، اللى فيه داء لا يبطله..
- عمدة التغيير هو قمع الشهوة والغضب، وذلك مقتضى المزاج والطبع (مش فاضى اتخانق، مش رايق دلوقت) والطبع والمزاج جبلي.

والرد على هؤلاء:

- قولكم معناه بطلان الوصايا والمواعظ والتأديبات.
- الموجودات قسمان
  - قسم وقع الفراغ من وجوده كاملاً، السماء والكواكب
  - [قسم موجود ناقص وفيه قوة لقبول الكمال بعد أن يكمل شرطه:
    - النواة ــ مع التربية ← شجرة / نخلة
- خلق البهيمة العجماء وارد تغييره فكيف بالإنسان، الصقر: من الوحشة للأنس، الكلب: من شره الأكل للإمساك، الفرس: من الجموح للسلاسة والانقياد].
- الطباع نفسها بعضها سريع التغير وبعضها بطيء التغير والسبب فى ذلك
  - قوة الغريزة فى أصل الجبلة (نسبة الكروموسومات المصابة) وأقواها غرسًا وأصعبها قلعًا: الشهوة، الغضب، الك...
  - الخلق قد تعضده البيئة بكثرة العمل به والطاعة له، والناس فى ذلك أربعة:
    - أ- جاهل ولم يتغير (أسهلهم).
    - ب- جاهل وعرف القبيح وتعود عليه، أمره صعب ولكنه ممكن.
    - ج- يعتقد أن الأخلاق القبيحة هى الواجبة والصحيحة (السرقة جدعنة، الرحمة ضعف، الظلم قوة)
    - د- نشأ على الرأى الفاسد، تربى على العمل، ويرى الفضيلة شرًا.
- المقصود ليس قمع الشهوة والغضب بالكلية فهى فى الجبلة، ولها فوائد ولكن المقصود هو ردها إلى الاعتدال والوسطية والسيطرة عليها وعدم الاسترسال معها وليس قلعها.

السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة

جود إلهى وكمال فطرى يولد عاقلاً متزن الشهوة والغضب. - سائر الأنبياء. - رب صبى خلق صادق اللهجة سخيا جريئا وربما يخلق بخلافه.	اكتسابها بالمجاهدة والرياضة ونعنى بذلك:

- حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب [المطلوب: الجود، ماذا يفعل: يتكلف بذل المال].
- لا يزال مجاهدًا حتى يصير ذلك طبعًا له ويتيسر عليه.
- غاية الأمر أن يصير ذلك الفعل:

  - لذيذًا عنده (لا أن يفعله على كره) ويشتاق إلى فعله ويتنعم به.
  - أن يكون الفعل على الدوام وفى جملة العمر.

فلا يستعمل ماله إلا على الوجه الذى يوصله إلى الله..

وغضبه وشهوته من المسخرات له، فطول الإلف، وصرف النفس مدة إلى الفعل يفعل العجائب فى النفس.

فترى المقامر يغلب عليه من الفرح واللذة ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار، مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسًا فهو يحبه، ويتلذذ به لطول إلفه وصرف النفس إليه.

وكذلك لاعب الحمام والمخنث..

كل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك فى المخالطين والمعارف.

فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى القبائح، فكيف لا تستلذ بالحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه، بل إن ميل النفس إلى الأمور الشنيعة خارج عن الطبع، والعلاقة عجيبة بين القلب والجوارح فكل صفة تظهر فى القلب فيغيض أثرها على الجوارح حتى تتحرك على وفقها لا محالة:

ولتعرفنهم فى لحن القول.

فلعرفتهم بسيماهم.

قد بدت البغضاء من أفواههم.

وكل فعل تفعله الجوارح والأعضاء له أثره في القلب.

وقيام ليلة لا يشعر الإنسان بتأثيره فى فقه النفس بل يظهر تأثيره شيئًا فشيئًا على التدريج، مثل نمو البدن، فلا ينبغى أن يستهان بقليل الطاعة.. فإنما اجتمعت الجملة من الآحاد، وما من طاعة إلا ولها أثر خفي، ولها ثواب لا محالة.. وكذلك المعصية فترك ليلة يدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر تحصيل العبادة رأسًا.

وكذلك صغائر المعاصى يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة ويهدم أصل الإيمان عند الخاتمة.

فلا بد من اعتياد الأفعال الجميلة: [بمشاهدة أربابها، بمصاحبتهم (الطبع يسرق من الطبع الشر والخير) اعتياد فعلها].

طريق معرفة عيوب النفس

إذا أراد الله بعبد خيرًا بصره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه، فإذا عرفها أمكن العلاج.

أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم، يرى أحدهم القذى فى عين أخيه، ولا يرى الجذع فى عين نفسه، فمن أراد أن يعرف عيب نفسه فله أربع طرق:

- يطلب صديقًا صدوقًا بصيرًا متدينًا فينصبه رقيبًا على نفسه [رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي]، وقد آل الأمر إلى أن أبغض الناس إلينا من ينصحنا ويعرفنا بعيوبنا.

  وهذا عزيز فقد قل فى الأصدقاء من يترك المداهنة: فلا يزيد على قدر الواجب. أو الحسد: يرى ما ليس بعيب عيبًا.

- يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس ويحكمه فى نفسه، ويتبع إشارته فى مجاهدته.

  وقد عز فى هذا الزمان وجوده [زمان الغزالي] ومن وجد ذلك فليلزمه.

- يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عين السخط تبدى المساويا، وعدو مشاحن يعرف عيوبه أفضل من صديق مداهن.

  الطبع مجبول على تكذيب الأعداء وحمل ما يقوله على الحسد.

- يخالط الناس: فكل ما رآه مذمومًا فليطالب النفس بتركه.

كلام الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى وحى القلم عن ضرورة القدوة كنموذج لتعديل السلوك والأخلاق

عن أبى الحسن بنان الجمال الزاهد الواسطى، شيخ الديار المصرية فى عهد أحمد ابن طولون:

البلد الذى ليس فيه شيخ من أهل الدين الصحيح والنفس الكاملة والأخلاق الإلهية، هو فى الجهل كالبلد الذى ليس فيه كتاب من الكتب البتة، ولا تغنى الكتب عن الرجال، فالكتاب الجيد [صواب أو خطأ ينتهى إلى العقل]. ولكن الرجل الجيد [صواب ينتهى إلى الروح].

وهو فى تأثيره على الناس أقوى من العلم، إنه تفسير للحقائق فى العمل الواقع، ولو أقام الناس عشر سنين يتناظرون فى (معانى الفضائل ووسائلها) ووصفوا فى ذلك مائة كتاب، ثم رأوا رجلاً فاضلاً وخالطوه وصحبوه، لكان الرجل وحده أكبر فائدة من تلك المناظرات، وأجدى على الناس منها، وأدل على الفضيلة من مائة كتاب.

ولهذا يرسل الله النبى مع كل كتاب منزل؛ ليعطى الكلمة قوة وجودها، ويخرج الحالة النفسية من المعنى المعقول إلى الواقع الملموس، وما مثل الكتاب يتعلم منه المرء حقائق الأخلاق العالية، إلا كوضع الإنسان يده تحت إبطه ليرفع جسمه عن الأرض [فقد أنشأ العمل ولكنه لن يرتفع].

ولا بد للعلماء والمعلمين أن تعمل أخلاقهم دروسًا أخرى غير كلامهم، وإلا كانوا شر الناس.

فأحدهم يتكلم ويُعلِّم، وتكون رذائله تعليمًا آخر من حيث لا يدرى أو يدرى. ويكون كتاب الله مع الإنسان الظاهر منه، وكتاب الشيطان مع الإنسان الخفى فيه.

إن الرجل الصالح حسن الأخلاق كأنه مخلوق خاص لإثبات أن غير المستطاع مستطاع، أخلاقه وتقواه لهما قوة، تصرف عنه شهوات الدنيا، تكسر النفس، تفقد الشيء ما هو به شيء، فتتحول قيمته، فلا يكون بما فيه من الوهم بل بما فيه من الحق.

الحس الأخلاقى والشعور بالولاء

سأكتفى بنشر المقالة التى أوردها الدكتور جلال أمين فى مجلة الهلال نوفمبر ٢٠٠٤ بدون تعليق:

عندما بدأت الأخبار تتواتر بأن جهودًا تبذل من أجل تغيير مناهج الدين فى المدارس المصرية، على نحو يسمح بإحلال مقرر فى (الأخلاق) محل مقرر فى (الدين)، ويسمح أيضًا بأن يشترك الطلبة المسلمون والأقباط فى حضور نفس الدروس، وقراءة نفس الكتب وأداء نفس الامتحانات لا أخفى على القارئ أننى توجست شرًا.

ليس من الصعب أن نتفق جميعًا على أن ثمة علاقة وثيقة جدًا بين الحس الأخلاقى وبين الشعور بالولاء، بمعنى أن وجود الشعور بالولاء شرط جوهرى من شروط وجود الحس الأخلاقى بل لعله الشرط الضرورى والكافى، بحيث لا يتصور وجود الالتزام الأخلاقى بدون وجود نوع ما من الولاء، ولا يتصور وجود الولاء دون وجود التزام أخلاقى.

الذى أقصده بالولاء مزيج من الشعور بالانتماء لمجموعة من البشر، أسرة أو قبيلة أو طائفة أو حزب أو أمة،... إلخ. والشعور بالمسئولية عن مصير هذه المجموعة من البشر أو رفاهيتها. إذا اجتمع هذان الشعوران: الانتماء والمسئولية، جاز القول بوجود شعور بالولاء، ومتى وجد هذا الشعور بالولاء لجماعة ما وجد ما يمكن أن نسميه بالحس الأخلاقى، الذى يتمثل فى الشعور بالالتزام بالقيام بأعمال معينة والامتناع عن أعمال أخرى لا خوفًا من قانون ولا طمعًا فى مكافأة، بل كمجرد استجابة لشعور بالواجب.

إذا اتفقنا على هذا فإنه لا يغدو من الصعب أن نتبين كيف يوجد الحس الأخلاقى (أو هذا الشعور بالواجب) وكيف ينمو ويقوى، أو يضعف ويزول. إذ يصبح سؤالنا عن كيفية ظهور الحس الأخلاقى ونموه أو ضعفه سؤالاً عن كيفية

ظهور الشعور بالولاء ونموه أو ضعفه، ومن السهل أن نتبين أن هذا الشعور بالولاء لابد أنه يبدأ فى الظهور لدى المرء منذ نعومة أظفاره، إذ إن الشعور بالانتساب والمسئولية ينمو بتكرار التعرض لتجارب مشتركة مع آخرين، سواء كانت تجارب الحياة اليومية أو التعرض لنفس مصادر الفرح أو الألم، أو لنفس الأخطاء أو التوقعات، يبدأ هذا الشعور بالانتساب والمسئولية فى البيت الواحد بين أفراد الأسرة الواحدة، ثم فى المدرسة بين الزملاء، حيث تتكون الصداقات الأولى، وفى نفس الوقت ينمو الشعور بالولاء للوطن، حيث يشترك أفراد الدولة الواحدة فى تجارب ومشاعر تتعلق بما يحدث للوطن والأخطار التى تهدده، أو الآمال التى يطمحون إلى تحقيقها له، وأثناء ذلك كله ومنذ بداية الوعى بما تمارسه الأسرة من شعائر وعادات تتعلق بدين بعينه، ينمو أيضًا لدى الطفل شعور بالانتساب والمسئولية إزاء هذا الدين وأهله والمنتمين إليه، أى شعور بالولاء له ولهم، أو الحس الأخلاقى نحوهم.

نحن نعرف أيضًا أن الحس الأخلاقى قد يوجد إزاء أفراد من غير أفراد الأسرة التى ينتسب إليها الشخص، ومن غير زملائه فى المدرسة، ومن المؤمنين بدين غير دينه، ويحملون جنسية غير جنسيته لمجرد اشتراكه معه فى رابطة «الإنسانية» فهنا أيضًا شعور بالانتساب والمسئولية ومن ثم نوع من الولاء، وإن كان علينا أن نعترف بأن الشعور بالولاء فى هذه الحالات يكون عادة أضعف من الشعور بالولاء نحو أفراد الأسرة التى ينتمى إليها المرء، أو نحو أصدقائه أو الذين يشاركونه دينه أو وطنه.

بل إننا نعرف أيضًا أن (حسًا أخلاقيًا) قد ينشأ عند الكثير من نحو حيوان أو طائر، ينمو أيضا مع نمو الشعور بالانتساب والمسئولية مع طول المعاشرة، خاصة إذا أبدى هذا الحيوان أو الطائر ما قد يدل على تمييزه لصاحبه عن غيره، ومن ثم ما يدل على شعوره بدوره بهذا الانتساب والولاء.

بهذا نستطيع أن نفهم فيما أظن لماذا عبر بعض المفكرين عن شكوك قوية فى صدق من يقول: إنهم يشعرون بالمسئولية الأخلاقية، ليس نحو أسرتهم الصغيرة، ولا نحو أمتهم أو دين بعينه، بل نحو الإنسانية بصفة عامة، بل لقد قرأت لبعض المفكرين أن مثل هذا الزعم لا ينم إلا عن نوع من النصب والاحتيال، ويقصدون بهذا أن من

النادر جدًا أن يشعر شخص ما شعورًا قويًا بالولاء أو الانتساب أو المسئولية نحو مجموعة غير محددة من الناس.

هذا الاتهام ينطوى فى نظرى على بعض الحقيقة، ولكنه غير صحيح على إطلاقه، فنحن نعرف مثلاً أن أعدادًا كبيرة من الناس، خاصة من شعوب الدول الثرية يتبرعون لضحايا الكوارث الطبيعية أو الحروب التى تصيب شعوبًا أخرى غير شعوبهم، وقد يتطوعون للعمل على إنقاذ أو مساعدة هذه الشعوب سيئة الحظ، دون انتظار لمكافأة أو خوف من عقاب، مدفوعين فقط بما يربطهم بهذه الشعوب من رابطة الإنسانية، بل نعرف أيضًا أن حركات جديدة ظهرت للدفاع عن «حقوق» بعض الحيوانات أو الطيور المهددة بالانقراض، ولا شك أن أفراد هذه الحركات أو حسنى النية منهم، مدفعون بحس أخلاقى لا يختلف كثيرًا عن الحس الأخلاقى الذى يدفع آخرين إلى التعاطف مع غيرهم من الآدميين، هذا صحيح بلا شك، ولكن من المؤكد أيضا أن هذه الأمثلة على الحس الأخلاقى أكثر ندرة من أمثلة التعاطف مع أفراد ينتمون إلى نفس «الجماعة» التى ينتمى المرء إليها سواء كانت هذه الجماعة أسرة أو جماعة وطنية أو دينية، ومن ثم فشبهة الاحتيال فى تلك الحالات التى يضعف فيها الشعور بالانتساب والولاء أكثر احتمالاً.

إذا كان كل هذا صحيحًا فكيف تكون تقوية الحس الأخلاقى، إذا أردنا أن نقويه وكيف يكون نشر «مكارم الأخلاق» إذا ابتغينا نشرها؟

النتيجة المنطقية لما سبق ذكره هى أن تحقيق ذلك يكون بتقوية الشعور بالولاء أو الانتساب، إن أى شيء يقوى أواصر الأسرة يقوى أيضًا الحس الأخلاقى عند أفرادها، بعضهم إزاء بعض، وقل مثل ذلك عن رابطتى القومية والدين، وكذلك عن الرابطة الإنسانية بوجه عام، فكل شيء يقوى من شعورك بالانتساب إلى نفس ما ينتسب إليه شخص أو جماعة من غير وطنك أو ملتك أو عقيدتك الدينية، يقوى من حسك الأخلاقى ومسئوليتك الأخلاقية نحو هذا الشخص (الغريب عنك) أو نحو الجماعة المختلفة عن جماعتك، فيما عدا الاشتراك معك فى الرابطة الإنسانية.

ولحسن الحظ أن تقوية الشعور بالانتساب إلى دائرة ضيقة نسبيًا من الناس، وبالولاء لها، لا ينطوى بالضرورة على إضعاف الشعور بالولاء إزاء مجموعات أكبر من الناس، فتقوية الحس الأخلاقى عندى إزاء رابطة أفراد أسرتى لا ينطوى بالضرورة على إضعاف حسى الأخلاقى نحو أمتى أو أهل دينى أو نحو الإنسانية بوجه عام، فالنفس الإنسانية قادرة فيما يظهر، على الجمع بين هذه المشاعر كلها دون أن يطغى واحد منها على غيرها، بل كثيرًا ما تؤدى تقوية الحس الأخلاقى، نحو مجموعة معينة من الناس إلى تقويته نحو مجموعات أخرى أضيق أو أوسع، ولكن يجب أن نعترف مع هذا بأن الأمر هنا يتوقف إلى حد كبير على الطريقة التى تجرى بها تقوية الحس الأخلاقى فهناك بالطبع من طرق تقوية الالتزام الأخلاقى نحو جماعة من الناس ما يتضمن إثارة العداوة أو البغضاء نحو غيرها؛ كإثارة الحمية الوطنية مثلاً عن طريق هجاء الأعداء والتنديد بهم أو إثارة الحماسة لنصرة المنتسبين لنفس عقيدتك الدينية بشجب أو التقليل من شأن عقائد أخرى، ومن الصعب فى هذه الحالات الكلام عن تقوية الحس الأخلاقى دون تحفظ إذ قد يؤدى هذا المسلك إلى أن تضيع بيدك اليسرى ما اكتسبته بيدك اليمنى.

كل هذا فيما يبدو لى صحيحًا ولا شك فيه، ولكن من المهم أيضا أن نلاحظ خطر الوقوع فى الخطأ بالسير إلى أبعد من اللازم فى الاتجاه المضاد، وهنا أصل إلى مربط الفرس فى هذا المقال، هناك من يؤكدون على خطر تقوية الولاء لجماعة بعينها (كأمة أو جماعة دينية) لما تحمله من احتمال إضعاف الشعور بالالتزام الأخلاقى نحو جماعات مغايرة (أمم أخرى أو أصحاب عقائد مختلفة)، نعم هذا الخطر موجود، ولكن الأمر يتوقف على الطريقة التى يتم بها تقوية الولاء، كما أنه لا بد أن يكون من المؤسف للغاية أن يؤدى الخوف من هذا الخطر إلى إضعاف الولاء الأصلى للمرء، أو حتى إلى إضعاف الحس الأخلاقى برمته.

التقييم الأخلاقى عند المراهق
الخبرات ذات الأثر الأكبر عند المراهق

بعيدا عما كتبناه، ومعذرة إن كنا قد أطلنا، ولكن هذا هو الحد الأدنى من المعرفة لمن يتصدى لمشاكل المراهقة.. ولنأت الآن إلى المراهق نفسه..

ما الذى يؤثر على تفكيره بحيث يكوّن من خلاله أخلاقًا ما؟

الدراسات التى أجريت أشارت إلى خمس نقاط رئيسية:

القراءة، العلاقات الاجتماعية الجديدة، الاحتكاك بالمجتمع بشكل مباشر، النضج والتجربة الدينية.

القراءة:

الفضول والرغبة فى معرفة حقائق الأشياء والاطلاع تدفع إلى القراءة والمتابعة، وللأسف الجيل الجديد فقد القدرة على القراءة.

- فروح المثابرة والجد ضعيفة.
- الرغبة فى الأشياء السريعة والاختصار تنمو وتتزايد.
- وروح التقلب والقلق السائدة عند الشباب تدفعهم بعيدًا عن التأمل والتدبر والمقارنة.

وتجيء هذه العوامل فى وقت اقترب العالم من بعضه البعض، وسَهَّلَت وسائل الاتصال والإنترنت، كل ما يمكن الحصول عليه من المعلومات فى موضوع ما، ولكن المشكلة فى الإنسان الذى يستعمل الأجهزة، فقد كانت هذه الوسائل غير متيسرة للأوائل، ولكنهم كانوا أكثر قراءة ومعرفة ودراية.

وتشكل القراءة الباب الأكبر للمعرفة، والطريق الأيسر لمفاتحة ا[illegible] وتعديلها وتقويمها على أن يتبعها محاولة التعديل ولا يسبقها.

العلاقات الاجتماعية الجديدة:

فالمجموعات الجديدة من الأقران والشلة لها تأثير كبير وأكثر إغـراء وتنبيهًـا علـى نفس المراهق من البيت، وهى تختلف عنه فى طبيعة الكلام والعلاقات والموضـوعات المشتركة والمشاركة الوجدانية.

وفى الجامعة تنفتح الأبواب على مصراعيها ويجد مجتمعًا جديدًا ومغايرًا لما اعتاده وألفه، ويبدأ فى تكوين أخلاق جديدة تناسب الوضع الجديد.

والفرد فى تجمع ما يجد صعوبة فى الانحراف عن معاييره وقيمه، حتى لـو طلبـوا منه أن يلفظ أحكامه السابقة، أو يتورط فى سـلوك قـد يعتـبره غـير شـريف، بـوعى وبدون وعى منه. بتأثير المجموعة عليه [المجموعة المرجعية].

ويمثل التعاطف والحساسية الاجتماعيـة دورًا مهمًـا فـى التجـاذب الاجتمـاعى، وتنمو معه الصداقة والرغبة الحميمة فى [شيء ما نشترك فى عمله معًا].

الاحتكاك بشكل مباشر مع المجتمع:

فهم يتصرفون من خلال ذواتهم مباشرة، وليس مـن خـلال والـديهم، ويتعامـل الآخرون معهم بشخوصهم الحاضرة.

وذلك يمثل أمرًا مثيرًا بالنسبة لهـم، ويـدفعهم نحـو الإحسـاس بالـذات وإثباتهـا والدفاع عن آرائها وتصرفاتها وإن كانت خاطئة.

ويشكل الميل إلى [تحدى الآخر] و[التنافس] محورين أساسيين فى تحديـد سـلوك المراهق وأحلامه، ولا ننكر النزعة الجارفة إلى البطولة والفروسية والمروءة والفتوة وما فيها من نيل الإعجاب والمديح.

وكل هذه الأمور يصنعها شيء واحد هو الاحتكاك المباشر بالمجتمع.

ويخطئ المربون والآباء خطأً كبيرًا عند محاولة عزلهم عن المجتمـع والإحاطـة بهـم خوفًـا علـيهم وإشـفاقًا، ونتـائج ذلـك التصـرف معروفـة مـن الانطوائيـة والخـوف الاجتماعى وقلة التجربة والخبرة، وفى النهاية تشويه لمعالم الشخصية وضعفها.

النضج والتجربة الدينية:

تحدثنا عنهما باستفاضة فى الأبواب السابقة، والآن إذا أردنا أن نرصد أخلاق المراهق فعلينا النظر فى الخمسة أمور السابقة مجتمعة وتفاعلها فى نفسه وأثرها على تكوين القيم الأخلاقية، ولنعرف أين الخلل، ولنحاول التعديل بهدوء وبما يتناسب مع شخصية المراهق.

ولنضع فى الاعتبار أنه يبدأ بالمطالبة بالحقوق والامتيازات ما عدا الأشياء التى تجعله مسئولاً.

وهو معتمد وظيفيًا وعاطفيًا على الوالدين والآخرين، ويعتبر المراهق هذا ضعفًا، ويحاول تخطيه بالهروب بعيدًا عن طريق التورط فى علاقات جنسية أو تعاطى المخدرات، أو يعبر عن استقلاليته بطريقة خاصة.

وتبدو صراعات المراهقين من خلال علاقاتهم مع أولياء أمورهم غالبًا صامتة فى الداخل حتى تظهر فى سلوكهم، ويصل الأمر إلى ذروته فى نوبات المراهقة أو *adolescence Crisis*.

والله المستعان..

الباب السادس

التدخين والإدمان

الفصل الأول:

- **التدخيـــن**

الفصل الثانى:

- **الإدمــــان**

الفصل الأول

التــــدخيـــــن

- مقـــــدمــة
- حقائق عن التدخين
- مراحل التدخين والعوامل المساعدة والمضادة لذلك
- مركبات تبغ الدخان
- التحول من مدخن إلى غير مدخن
- فتوى دار الإفتاء المصرية
- مقالة أ/ عمرو خالد عن التدخين
- فتوى الشيخ القرضاوى عن التدخين
- كلمة أخيرة

مقدمة : لقد تعمدت إدماج التدخين مع الإدمان باعتبار التدخين حسب الوصف الدولى للإدمان.. بوابة للإدمان، وأن كل مدمن بدأ بالتدخين، وليس كل مدخن يصل للإدمان، فالارتباط تصاعدى.

وقد أدرجت بعض التفصيلات الطبية التى قد تكون غير جذابة لغير المختص والذين عافاهم الله من كليهما، ولكنه مهم وضرورى وثقافة أساسية للمتصدين لمحاربة الظاهرة، فالأمر خطير، والظاهرة فى ازدياد وأثرها على المجتمع والفرد ظاهر ومؤثر.

وقد أرسلت رسالة إلى ابنى عن الإدمان وأدرجت الألفاظ الدارجة على ألسنة المدخنين فمعذرة إلى القارئ عن الأسلوب الهابط فى الكتابة، فلم أتعود عليه، ولكن ضرورة الموقف تقتضى فهم المتكلم وفهم عباراته، والشكوى دائمًا يتم إدراجها فى الطب بلسان المريض وعباراته.

تكلمت عن الإعلام. والعجب كل العجب من الموقف الإعلامى فهو يعلمنا

كيف نصبح مدخنين، ولا يعلمنا كيف نترك الإدمان، أو حتى يتجمل ويعرض المأساة بصورة مقززة. وكل ما فعلّته هو سياق مشاهد من فيلم شاهدته عن الإدمان، فالأمر ليس بيدي، واسمحوا لى يا رجال الإعلام أن أصرخ فى وجهكم: أنتم جزء من المشكلة، أريحونا من طريقتكم فى العلاج فقد أفتى الجميع بعدم جدواها.

والجمعيات الأهلية ورجال الدين والأهالى أكثر جدية وفاعلية، وخطواتها لها معنى وأثر يدركه كل من فى الساحة.. والله المستعان.

حقائق عن التدخين

يعتبر تعاطى التبغ سلوكًا اعتماديًا واسع الانتشار، وأكثر صوره السجائر والنرجيلة.

قالوا عن التدخين:

- من أكبر أسباب العجز والوفاة.
- هناك تدخين سلبى (المحيطون، الرضيع، والجنين).
- اختار ٤٠٪ من المدخنين مواصلة التدخين رغم علمهم بمخاطره، فالأمر ارتباط نفسى عصبى أكثر من كونه معرفيًا.
- وقد بدأ ينحسر فى أوربا وأمريكا، ولكنه ينتشر بمعدلات عالية فى الدول النامية.
- الجهود المبذولة وجدت تعاونًا من مراكز الصحة الأولية حتى أعلى مستوى فى وزارة الصحة، وبشكل عام يبدو التدخين ظاهرة صعبة التغيير.

* * *

مراحل التدخين والعوامل المساعدة والمضادة لذلك

هذا الجدول يوضح مراحل التدخين والعوامل المساعدة والمضادة لذلك:

العوامل المساعدة	حالة الشخص	العوامل المضادة
	غير مدخن مطلقا	
دعاية للتدخين ←		برنامج مكافحة التدخين →
وجود نماذج مدخنة ←		
	يفكر فى التدخين	
ضغط الأقران ←		
سجائر مجانية ←		منع التدخين فى المدارس →
	تجربة التدخين	تدريبا مقاومة الإغراء →
الإتاحة ←		توعية طلاب المدارس →
الدعاية ←		دفع سلوك مقاومة التدخين →
الاستحسان من الأقران ←		
	الانتظام فى التدخين	
الهروب إلى التدخين عند مواجهة مشاكل أو ضغوط ←		
نماذج مدخنة ←		
	الاعتماد على التدخين	

مركبات تبغ الدخان

١٢٠٠ مادة كيميائية سامة (هواء ساخن + ذرات قطران)

١- بينها مادة (بنزوبيرين) أقوى مادة سرطانية معروفة.

٢- مادة (فينول) تسرع فى تنشيط الخلايا السرطانية.

٣- عقار (النيكوتين) منبه للجهاز العصبى المركزى. يسبب تغيرات فسيولوجية ونفسية متميزة فى الإنسان نتيجة لأثره فى الناقلات العصبية:

أ- أثر مباشر على الجهاز العصبى والقلب.

ب- إطلاق *beta-endomorphine enkephaline* ولها أثر مسكن.

ج- إطلاق هرمون الغدة الكظرية *ACTH* والهرمونات المفرزة فى الحالات أ، ب، ج تؤدى إلى استرخاء عصبى كيميائى.

د- تقليد عمل التنشيط بالأستيل كولين (جرعات صغيرة) *acetylcholine likeaction*، وهذا يؤدى إلى إطلاق *norepinephrine* وهو المسئول عن الآثار المهيجة التى تدفع المدخن إلى التدخين. ويؤدى أيضا إلى تنبيه الجهاز العصبى ثم يسد الطريق على إطلاق إشارات الأعصاب المنشطة بالأستيل كولين.

والنقاط أ، ب، ج، د تؤدى إلى آثار مسلكية فى الجهاز العصبى المركزى.

وحينما يتوقف المريض عن التدخين.. تحدث اضطرابات نفسية ومسلكية وفسيولوجية.. تهيج، قلق، خمول، اضطرابات، نوم، العجز عن التفكير والتركيز، عدم القدرة على الحكم والتمييز.

٤- النشادر (الأمونيا) الفورمالدهايد، أستيالدهايد، سيانيد الهيدروجين، وهى تؤدى إلى وقف حركة الأهداب داخل الممرات التنفسية والخلايا المنتجة للمخاط، مع التعرض لالتهاب مزمن فى القصبات الهوائية وعرضة لالتهاب فى الجهاز التنفسى العلوى -الخلايا التى تحتها باتت مكشوفة أمام تهييج قطران السجائر لها- ترسب القطران بداية السرطان.

٥- غاز أول أكسيد الكربون والمعروفة آثاره المسببة لإحداث تصلب الشرايين.

التحول من مدخن إلى غير مدخن :

علينا أن نراعى أن أكثر البرامج نجاحًا قد لا تكون فعالة بالنسبة إلى بعض الأشخاص فى ظروف معينة.

فلا بد من خطة عمل ترتكز على أكثر من عنصر، ويقوم بها أكثر من متخصص يعملون معًا بروح الفريق العلاجى.

والخطة لا بد لها من أهداف قصيرة المدى وأخرى بعيدة حسب أولويات مشاكل المدخن فرديًا، وتشمل جميع مشاكله النفسية والبدنية والاجتماعية، سببًا أو نتيجة.

البرامج الناجحة تحتوى على العناصر الأساسية التالية:

١- زيادة الدوافع للتحول إلى غير مدخن:

(الرغبة فى التوقف، والانخراط فى برنامج، ودفع مقابل لذلك لا تشكل دافعًا كافيًا) بل يمكن تقويته كالآتى:

إدراك الآثار الضارة للتدخين، إدراك وليس علمًا، عرض حالات ذبحة صدرية كنموذج للعبرة.

معرفة الأنماط النفسية للتدخين، سؤال لماذا تدخن؟ خفض التوتر، تسكين، عادة، اعتماد، استرخاء، وعند إجابته نحدد سبل المقاومة.

فحص القصد.. تحسين الحالة الصحية، سيطرة على أنفسهم أكثر، إفهام المدخن كيف ستختلف حياته عندما يحقق الهدف.

فحص حواجز التحول.. الخوف من زيادة الوزن، الخوف من زيادة العصبية وفقدان الإرادة، مع التوعية بالمعلومات عن كيفية تجاوز هذه العقبات.

الثواب والعقاب.. توقيع عقد يشمل المكافأة عند النجاح، ما يجب أن يتخلى عنه عند الفشل.

٢- كسر العادة: وتتمثل فى أن المدخن يفعل ذلك تلقائيا:

- بحيث إنه لا يعرف عدد السجائر [يمد يده دون وعى لتناول السيجارة ويشعلها].
- تحدث له بعض المكاسب نتيجة ذلك مثل: استرخاء كاذب.

لابد من:

- تدوين عدد السجائر.
- تدوين الوقت والمكان والحدث والمزاج والظروف المحيطة.
- قضية استخدام سجائر أقل قطران مشكوكة النتائج.

٣- إيجاد بديل شعورى أو لا شعورى للتدخين عن طريق:

- تفادى التدخين أو إبطال الدوافع إلى التدخين.
- خفض التوتر: مهارات التحكم فى مشاعره بشكل إيجابى.
- إدمان: أقراص أو لواصق تحتوى على نيكوتين أو غيره.

٤- بناء أسلوب حياة صحى يتنافر والتدخين:

- الاسترخاء ومهارات السيطرة على التوتر.
- نظام تغذية.. كثير منهم يأكلون بعصبية، وقد أخذوا التدخين محل الأكل.
- الرياضة.. بناء الثقة.. وتخفيف القلق.

٥- التدريب على النكسة واستمرار الدعم:

الفشل ٦٠-٧٠٪ خلال الثلاثة أشهر الأولى.. مساعدته على التماسك وعدم النكوص ثانية.. كل حالة على حدة.. إعادة زيادة الدوافع.

رسم توضيحى لمراحل الإقلاع عن التدخين

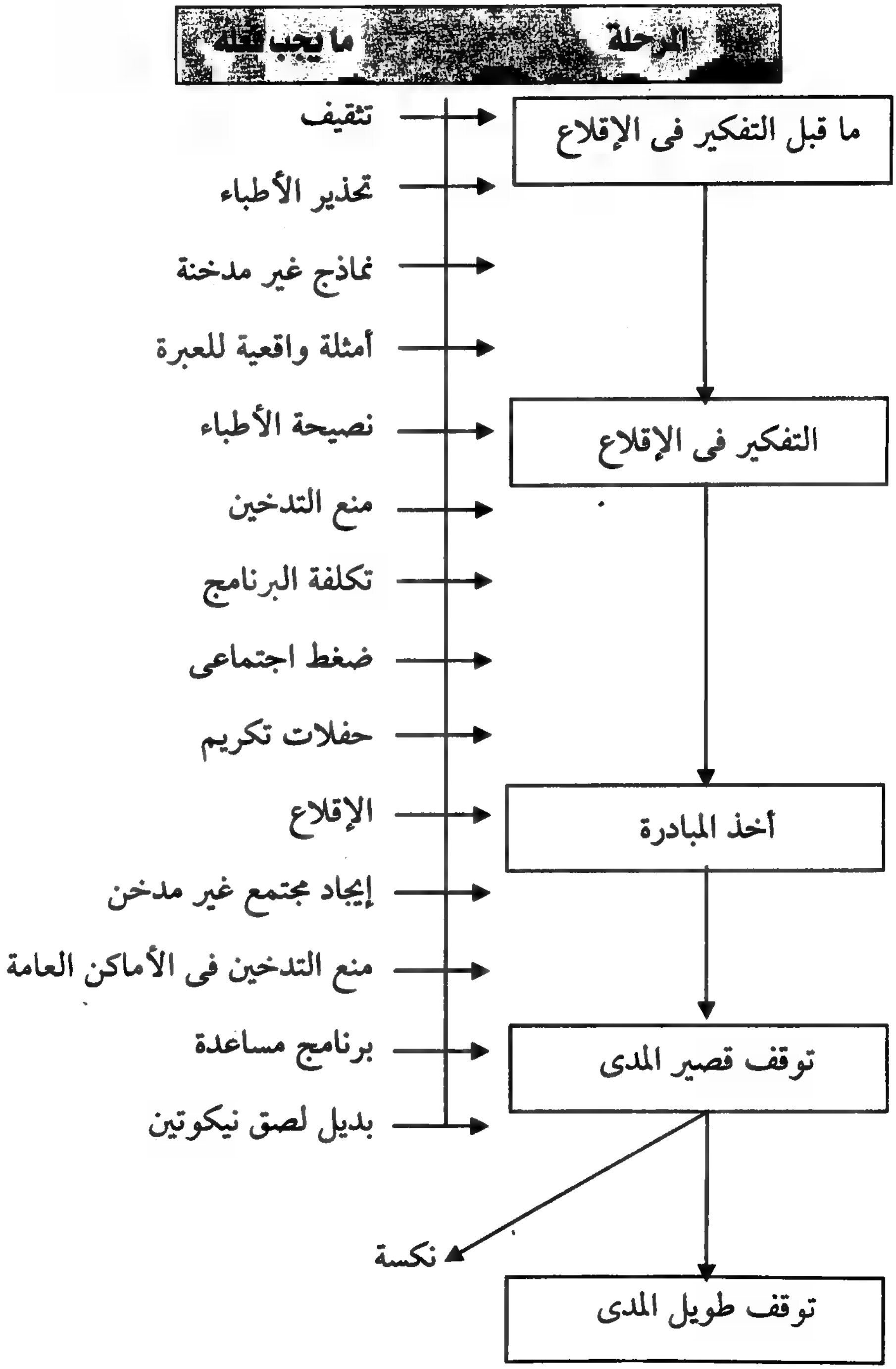

التدخين حرام شرعًا

أصدرت دار الإفتاء المصرية حكمًا شرعيًا بالحرمة القطعية للتدخين، وذلك في فتواها الصادرة في ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٠ الموافق ٥ سبتمبر ١٩٩٩ جاء فيها «أن العلم قد قطع في عصرنا الحالي بأضرار استخدامات التبغ على النفس، لما في التدخين من أضرار تصيب المدخن وغيره ممن يخالطونه، ولما فيه من إسراف وتبذير نهى الله عنهما».

والله تعالى يقول: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، ويقول عز وعلا: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وعليه فإن التدخين حرام بكل المقاييس الشرعية..

الدكتور نصر فريد واصل

مفتى جمهورية مصر العربية

عمرو خالد: بيان إلى كل مدخن

قال لى لماذا تدخن؟

- هل من أجل أن تتخلص من الضغط العصبى الواقع عليك؟ أشاروا عليك أنك تنفث التوتر والضغط مع دخان السيجارة فتهدأ وتستطيع التركيز فى العمل؟
- هل كنت تجلس وسط مجموعة من الأصدقاء، وبدأوا يدخنون فوجدت نفسك مضطرًا للمسايرة والمجاملة؟
- هل رأيت أكابر النجوم تنتشر صورهم فى كل مكان والسيجارة معلقة فى طرف الفم والابتسامة الجذابة الآسرة على الطرف الآخر، فنويت أن يكون شكلك أكثر جاذبية مما هو عليه وتناولت السيجارة لتدخنها؟

هذه هى الأسباب الثلاثة الأكثر انتشارًا للتدخين، وهى أسباب كاذبة لا أساس لها من الصحة.

فلقد أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن الضغط العصبى والتوتر لا يتأثر سلبًا بالتدخين، على العكس؛ فالتدخين له آثار سلبية على الجهاز العصبى، كما إنه لا يساعد إطلاقا على التركيز أو الإبداع على العكس.

أما بالنسبة لمجاملة الأصحاب فهل أنت ضعيف لدرجة أن تنتحر أو تقتل نفسك من باب المجاملة؟ هل شخصيتك سلبية إلى هذه الدرجة أنك لا تعرف أن تقول لا فيما يضرك!!

نأتى للسبب الأكثر انتشارًا بين الشباب: المظهر الجذاب، ربما كان هذا صحيحًا فى الماضى قبل أن يكتشف العلم مساوئ التدخين، أما الآن فلقد اختفى تقريبا التدخين من المجتمعات الراقية الأوربية والأمريكية؛ لدرجة حصر المدخنين فى أماكن بعينها، وكأن الرسالة إليهم: لستم مقبولين بيننا أثناء تدخينكم.

أن منظر الشاب الصغير والسيجارة فى فمه مضحك ومبكٍ فى نفس الوقت.

مضحك؛ لأنه يتصور أنه بهذه الصورة دخل فى مجتمع الرجال، وهو بالضبط مثل الطفلة التى ترتدى ملابس أمها فتغوص فيها بشكل مضحك ينم عن تفاهة وطفولة، ويُبكى فى حقيقة أنه يقتل نفسه وهو ما زال غضًّا صغيرًا يتفتح للدنيا، إن شابًا فى العشرينيات لا يستطيع أن يستكمل شوطًا واحدًا فى مباراة كرة لأن لياقته البدنية منهارة، وينهج بعد دقائق، هو شاب يستحق الرثاء ويدعو إليه. لقد قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على المرء حتى يهلكنه».

ولقد أجمعت كل الفتاوى أن التدخين حرام، فى مصر والسعودية.. فهى وإن اعتبرتها من الذنوب الصغيرة إلا أنها بكثرتها قادرة على التردى بك فى قاع جهنم.

إن شعبًا مدخنًا معناه شعب منهك، شعب مريض. هل تصورت كم تنفق دولة مثل مصر على علاج الأمراض الناتجة عن التدخين: ٣ مليارات دولار سنويًا، والسعودية ٣ ملايين دولار على البند نفسه، هل تتصور حجم المبالغ بالنسبة لشعوب تحتاج إلى كل إمكانياتها.

وأنت كشخص هل تستطيع أن تتخيل حجم إنفاقك على التدخين لو اعتبرنا أن متوسط عمرك ٦٥ سنة، وأنك بدأت التدخين من الخامسة عشر، هل تتصور كم أنفقت فى خمسين عامًا، أرجوك تناول ورقة وقلمًا. واحسبها ستجدها مئات الآلاف. هل تتصور ماذا كنت تستطيع أن تفعل بهذه الأموال؟ تغير السيارة، تشترى بيتا أكبر، تتنزه، تسافر حول العالم، باختصار كنت تستطيع أن تحيا حياة أفضل، هذه حسابات التدخين فقط غير ما ستدفعه لعلاجك من آثاره، ولعلاج من حولك أيضا، عشرات المئات من الآلاف فماذا فعلت بالمال؟ أحرقته، وليتك أحرقته فقط بل أحرقته وآذيت نفسك ومن حولك.

لقد ثبت أن آثار التدخين السلبى خطيرة جدًا على المحيطين بالمدخن، فـ٦٥٪ من أمراض الجهاز التنفسى والحساسية عند أطفال لآباء وأمهات مدخنين، نسبة الإجهاض أعلى بـ ٤٠٪ عند المدخنات، وولادة طفل مشوه أعلى بـ ٣٠٪، هذا علاوة على وفاة المواليد وعدم اكتمال نموهم، وهذه أرقام أخرى أعلنتها منظمة

الصحة العالمية: عدد الوفيات بسبب التدخين ٤ ملايين شخص فى السنة، فى لبنان ٣٥٠٠ حالة وفاة، وفى الخليج ١٤٠٠٠، وفى مصر ٢٦٪ من الوفيات بسبب التدخين!!

وفيات السجائر أعلى من وفيات الخمور، الوفيات الناتجة عن إلقاء القنبلة الذرية كانت ربع مليون فقط. هل ما زلت مصممًا على التدخين؟!

هل ما زلت تتصورين أنك امرأة أكثر جمالا ورقيًا؟!

والتدخين ينطبق على السيجارة وعلى الشيشة، ولست أعرف من أين أتت المقولة أن الشيشة أخف ضررًا، إن شيشة الفواكه تحتوى على فواكه قد تخمرت فبداخلها جزء من خمر، ليس مسكرًا وهو يطير مع الدخان، ولكنه خمر قل أو كثر، ماذا ستقول لرب العباد حين يتحقق فيك حديث رسول الله ﷺ: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع؛ عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما وضعه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟»** فأنت لن تجد إجابة عن بلائك لجسدك بيديك، وعن عمرك الذى أضعته عامدا بأمراض وعن مالك الذى أنفقته حرقًا بالدخان.

هل تعلم أيها المدخن أن كبرى شركات التدخين فى العالم ٥٢٪ من مبيعاتها التى تبلغ ٨٨ بليون دولار تتم فى العالم العربى.

تعالَ معى نحاول أن تتوقف عن قتل نفسك وإيذاء الآخرين. لن تستطيع بلى أنت قادر، خفف من استهلاكك اليومى أو الأسبوعى، ابدأ حسبة لوجه الله تعالى حتى إذا ما أدركك الموت استطعت الإجابة يوم الحساب، حتى تحفك الملائكة، بدل مَن أن تحيط بك الشياطين، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنسان [حديث شريف].

الاختيار لك.. ⟵ صحة ومال وجنة ورضوان الله وصحبة الملائكة..

أو مرض ورائحة كريهة وعقم وأطفال مشوهة وأصدقاء من شياطين الإنس والجن.

فتوى الشيخ القرضاوى عن التدخين

علة التحريم:

يقول بعض الناس: كيف تحرمون هذا النبات بلا نص؟

فالجواب أنه ليس من الضرورى أن ينص الشارع على كل فرد من المحرمات، وإنما هو يضع ضوابط أو قواعد تندرج تحتها جزئيات شتى، وأفراد كثيرة، فإن القواعد يمكن حصرها، أما الأمور المفردة فلا يمكن حصرها.

ويكفى أن يحرم الشارع الخبيث أو الضار ليدخل تحته ما لا يحصى من المطعومات والمشروبات الخبيثة أو الضارة؛ ولهذا أجمع العلماء على تحريم الحشيشة ونحوها من المخدرات مع عدم وجود نص معين بتحريمها على الخصوص، وهذا الإمام أبو محمد بن حزم الظاهرى، نراه متمسكًا بحرفية النصوص وظواهرها، ومع هذا يقرر تحريم ما يستضر بأكله أخذًا من عموم النصوص قال: «وأما كل ما أضر فهو حرام لقول النبى ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فمن أضر بنفسه أو بغيره فلم يحسن، ومن لم يحسن فقد خالف كتاب** (أى كتابة) **الله الإحسان على كل شيء**». ويمكن أن يستدل لهذا الحكم أيضا بقوله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**».

كما يمكن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾.

ومن أجود العبارات الفقهية فى تحريم تناول المضرات عبارة الإمام النووى فى روضته قال: «كل ما أضر أكله، كالزجاج والحجر والسم، يحرم أكله. وكل طاهر لا ضرر فى أكله يحل أكله، إلا المستقذرات الطاهرات، كالمنى والمخاط فإنها حرام على الصحيح، ويجوز شرب دواء فيه قليل سم إذا كان الغالب السلامة واحتيج إليه».

الضرر المالي:

لا يجوز للإنسان أن ينفق ماله فيما لا ينفعه لا فى الدنيا ولا فى الدين، لأن الإنسان مؤتمن على ماله مستخلف فيه، وكذلك فإن الصحة والمال وديعتان من الله؛ ولذا لا يجوز

للإنسان أن يضر صحته أو يضيع ماله، ولذلك نهى النبى ﷺ عن إضاعة المال.

والمدخن يشترى ضرر نفسه بحر ماله، وهذا أمر لا يجوز شرعا.

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

ولا يخفى أن إنفاق المال فى التدخين إضاعة له، فكيف إذا كان مع الإتلاف للمال ضرر متحقق يقينًا أو ظنًا، أى أنه اجتمع عليه إتلاف المال وإتلاف البدن معا.

ضرر الاستعباد:

وهناك ضرر آخر يغفل عنه عادة الكاتبون فى هذا الموضوع، وهو الضرر النفسي، وأقصد به أن الاعتياد على التدخين وأمثاله يستعبد إرادة الإنسان ويجعلها أسيرة لهذه العادة السخيفة، بحيث لا يستطيع أن يتخلص منها بسهولة إذا رغب فى ذلك يومًا لسبب ما؛ كظهور ضررها على بدنه، أو سوء أثرها فى تربية ولده، أو حاجته إلى ما ينفق فيها لصرفه فى وجوه أخرى أنفع والزم، أو نحو ذلك من الأسباب.

ونظرا لهذا الاستعباد النفسى نرى بعض المدخنين يجور على قوت أولاده، والضرورى من نفقة أسرته من أجل إرضاء مزاجه، هذا لأنه لم يعد قادرا على التحرر منه.

وإذا عجز مثل هذا يومًا عن التدخين لمانع داخلى أو خارجى فإن حياته تضطرب، وميزانه يختل، وحاله تسوء، وفكره يتشوش، وأعصابه تثور لسبب أو لغير سبب.

ولا ريب أن مثل هذا الضرر جدير بالاعتبار فى إصدار حكم على التدخين.

ليس للقول بحل التدخين أى وجه فى عصرنا بعد أن أفاضت الهيئات العلمية الطبية فى بيان أضراره وسيئ آثاره وعلم بها الخاص والعام، وأيدتها لغة الأرقام.

وإذا سقط القول بالإباحة المطلقة، لم يبق إلا القول بالكراهة أو القول بالتحريم، وقد اتضح لنا مما سبق أن القول بالتحريم أوجه وأقوى حجة، وهذا هو رأينا، وذلك لتحقق الضرر البدنى والمالى والنفسى باعتياد التدخين، لأن كل ما يضر بصحة الإنسان يجب أن يحرم شرعًا.

والله تعالى يقول: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ﴾.

ويقول جل جلاله: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

ويقول الله عز وجل: ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ويقول أيضًا: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا.إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾، فهناك ضرر بدنى ثابت؛ وهناك ضرر مالى ثابت كذلك، فتناول كل ما يضر الإنسان يحرم لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ من أجل هذا يجب أن نفتى بحرمة هذا التدخين فى عصرنا.

والواقع الذى لا شك فيه هو أن الأطباء يجمعون على أن التدخين ضرر مؤكد، صحيح أن ضرره ليس فوريًا، ولكنه ضرر تدريجى، والضرر التدريجى كالضرر الفورى فى التحريم فالسم البطيء كالسم السريع كلاهما يحرم تناوله على الإنسان.

والانتحار محرم بنوعيه السريع والبطيء، والمدخن ينتحر انتحارًا بطيئًا، والإنسان لا يجوز أن يضر أو يقتل نفسه ولا أن يضر غيره، ولهذا قال النبيﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» أى لا تضر نفسك ولا تضر غيرك، فهذا ضرر مؤكد على نفس الإنسان بإجماع أطباء العالم، لهذا أوجبت دول العالم على كل شركة تعلن عن التدخين أن تقول: إنه ضار بالصحة. بعد أن استيقن ضرره للجميع، لهذا لا يصح أن يختلف الفقهاء فى تحريمه.

والضرورات الخمس التى ذكرها الأصوليون وفقهاء الدين وأوجبوا الحرص على المحافظة عليها، وعدم الإضرار بها هى: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وكلها تتأثر بهذه الآفة فدين الإنسان يتأثر؛ فمن الناس من لا يصوم رمضان؛ لأنه لا يستطيع أن يمتنع عن التدخين، والنسل يتضرر بالتدخين سواء كان المدخن أحد الأبوين أو كليهما، بل إن الجنين يتضرر من تدخين أمه بما يعنى أن المدخن لا يضر نفسه، وإنما يضر غيره، وهناك ما يسمى الآن التدخين القسرى، أو التدخين بالإكراه، فيدخن الإنسان رغم أنفه وهو لا يتناول السيجارة وإنما يتناولها قهرًا عندما يجلس بجوار إنسان مدخن أو فى بيئة فيها التدخين.

فأنت أيها المدخن تضر نفسك وتضر غيرك رغم إرادته وأنفه، فمن أجل هذا الضرر وغيره يجب أن يحرم التدخين وأن يجمع العلماء على تحريمه، وقد أدار بعض العلماء معظم الحكم فى التدخين على المقدرة المالية وحدها أو عدمها، فيحرم فى حالة عجز المدخن عن مصاريف التدخين، ويكره للقادر عليه، وهذا رأى غير سديد ولا مستوعب، فإن الضرر البدنى والنفسى الذى أجمع العلماء والأطباء فى العالم على تحققه له اعتباره الكبير بجوار الضرر المالى، ثم إن الغنى ليس من حقه أن يضيع ماله ويبعثره فيما يشاء؛ لأنه مال الله أولاً، ومال الجماعة ثانيًا.

وينبغى للإنسان المسلم العاقل أن يمتنع عن هذه الآفة الضارة الخبيثة، فالتبغ لا شك من الخبائث وليس من الطيبات، إذ ليس فيه أى نفع دنيوى أو نفع دينى.

ونصيحتى للشباب خاصة أن ينزهوا أنفسهم عن الوقوع فى هذه الآفة، التى تفسد عليهم صحتهم وتضعف من قوتهم.

وعلى أجهزة الإعلام أن تشن حملة منظمة بكل الأساليب على التدخين وتبين مساوئه.

وعلى مؤلفى ومخرجى ومنتجى الأفلام والتمثيليات والمسلسلات، أن يكفوا عن الدعاية للتدخين بوساطة ظهور السيجارة بمناسبة وغير مناسبة فى كل المواقف.

وعلى الدولة أن تتكاتف لمقاومة هذه الآفة وتحرير الأمة من شرورها، وإن خسرت خزانة الدولة الملايين فإن صحة الأمة وأبنائها، الجسمية والنفسية، أهم وأغلى من الملايين، والواقع أن الدولة هى الخاسرة ماليًا عندما تسمح بالتدخين؛ لأن ما تنفقه فى رعاية المرضى الذين يصيبهم التدخين بأمراض عديدة وخطيرة تبلغ أضعاف ما تجنيه من ضرائب تفرضها على التبغ، بالإضافة إلى ما تخسره من نقص الإنتاج بسبب زيادة تغيب المدخنين عن العمل نتيجة ما يعانونه من أمراض.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يفقهنا فى ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، إنه سميع قريب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة أخيرة

ابنى الحبيب:

- إن لم تمتنع من نفسك بدافع الالتزام الذاتى فلن تنفع معك المواعظ، ونحن لابد أن نعظ.
- اثبت ذاتك وشخصيتك ورجولتك بطريقة لا تضر بصحتك.
- الفتوة والمروءة فى الامتناع عن الشيء المتاح فعله والضار بك، وليست فعل شيء متاح.
- أصدقاؤك هؤلاء الذين تتبارون فيما بينكم بالأفعال المحظورة لن ينفعوك حينما تخسر صحتك ومالك.

لن يجاوروك فى فعلتك عندما تدعوهم للجدية والالتزام فأنتم معا فقط فى الغلط والحرام.

- لا تكن إمعة أو تابعًا أو ذيلاً للآخرين.
- المال مال أبيك، وهو لا يرضى عن صرفه فى مثل هذا، فماذا نفعل للخروج من هذه الورطة.

ليس أمامك إلا أن:

- تتكسب وتنفق على نفسك من مالك، ولحظتها سيعز عليك فعل ذلك أو ستحاول الإقلال.
- تترك هذا الفعل.

فهيا ولا تستجب لنداء غير هذا..

الفصل الثانى

الإدمـــــــــان

١- قبل الحديث رسالة إلى ابنى [من واقع المدمنين]

الدوافع الحقيقية :

١- إثبات الذات .

٢- مجاراة الشلة .

٣- التعود .

٤- الرغبة فى التشرذم والتحدى .

٥- التجربة .

٦- شعور لذيذ .

٧- المزاج .

٨- مشاكل الأسرة .

٩- الخيال والجنس .

١٠- السهر والمذاكرة .

- العلاج وموقف الأسرة .
- العائلات الأكثر تعرضًا للخطر.
- وسائل الإعلام ودورها المستفز للظاهرة.

٢- الدراسات النظرية العلمية للإدمان :

- العوامل المؤثرة.
- التعاطى غير الطبى للعقاقير .
- مخاطر الإدمان الصحية.
- بعض المفاهيم المتعلقة بالإدمان .
- التفسير المرضى للإدمان .
- خطوات العلاج.
- توجيهات ونصائح الوقاية.

٣- الحل من وجهة نظر الأستاذ وجيه أبو ذكرى .

٤- رأى الدكتور أحمد عكاشة فى انتكاسة المدمن.

قبل الحديث

رسالة إلى ابنى [من واقع المدمنين]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ابنى الحبيب: تحية وسلامًا منى إليك، ودعاء من القلب أن يحفظك الله وينجيك من السوء، سأناقش الأسباب والدوافع بصراحة وبوضوح.. لماذا المخدرات وبخاصة البانجو؟ جمعتها من أفواه المدمنين وأقوالهم:

الدوافع الحقيقية:

١- إثبات الذات والشخصية وإنى بقيت راجل:

يوجد هناك ألف طريق آخر لإثبات الذات [مساعدة الآخرين، التفوق فى الرياضة، التفوق فى العلم، والهوايات] والإدمان إثبات لذاتك، ولكن بطريقة سيئة أمام نفسك وأمام الناس [اشترِ روحك ونفسك ولا تبعها بأى ثمن مهما كان].

٢- مجاراة الشلة:

(فى الصح وفى الغلط)، دى تبقى تبعية وأنت فى الحالة دى إمعة ترضى تكون ديل أو طرطور، خليك وسط شلتك متميز، لك أشياء ترضى عنها وأشياء لا ترضى عنها، وهم كده هايحترموك أم أنك دائما تقول حاضر وأنا معاكم.

٣- التعود:

لا نرضى لك أن تكون أسيرًا حتى لكوب شاى أو السيجارة، فين إرادتك، فين التحدي؟

٤- عايز أبقى صايع وبلطجى وفاقد وما تهمنيش حاجة:

[جاتك خيبة].. الكلام ده آخرته السجن أو مستشفى المجانين، واسأل اللى قبلك، وإن كنت مش عايز تسأل بص بنفسك.

٥- عايز أجرب كل حاجة:

اصبر يا حبيبى الصح أنك تعرف كل حاجة وماتبقاش مغفل، والعظمة بجد [أن تختار من اللى أنت عارفه مش تجرب كل اللى أنت عارفه] الحاجات دى هاتدمر صحتك وفلوسك، ومن غير صحة أو فلوس أنت ولا حاجة هاتبقى مرمطون لغيرك.

طب ليه ما تجربش تبقى فالح وصالح ولا دى مشيخة وعبط، اشمعنى ده رغم أنها أكيد هاتخلى اللى حواليك يحبوك ويحترموك، وشوف الناس بتقول إيه على أصحابك المدمنين.

٦- شعور لذيذ:

طب وراه إيه!! شعور بالقرف والضيق والملل..

لحظتها، مع شعورك بالسعادة، جواك خوف حد يشوفك، حد يقفشك وتروح فى داهية، بصراحة الشعور اللذيذ ده بلاه أحسن.

عرقوبه إيه تفقد توازنك وثباتك وتبقى مسخرة للناس، تبص عليك وتضحك أو تبقى عبرة.

٧- ده مزاج:

لو كل واحد يعمل اللى على مزاجه الدنيا تخرب؛ لتعارض الأمزجة.. والراجل المضبوط يمسك نفسه ويمنعها ويسيطر عليها، والراجل الخربان كل ما تيجى على باله حاجة يعملها. يا بنى الدنيا مش كده وعمرها ماهاتيجى على مزاجك، لكن الشباب واخدك وهاتندم على مزاجك اللى طاوعته وقت لا ينفع الندم.

٨- مشاكل كثيرة فى البيت وفى حياتى وباهرب منها:

بتهرب منها آه، لكن هل حلتها؟ الحل فى المواجهة والصمود للمشاكل والتصرف فيها.. أنت بتهرب علشان مش قادر تواجه بعد ما تنسى يا جميل هاتفتكر وهاتضايق أكثر وأنت محلتش حاجة، وخليك طول عمرك هربان لحد ما تتطربق عليك.

٩- بتخلى خيالى أقوى وتنشطنى جنسيًا:

أيوه خيال المجانين وأفكارهم السخيفة المضحكة، وجنسيا إيه يا ابن ١٧ الشهوة موجودة وفايره من غير إثارة، ومين اللى قال إن المخدرات تنشط جنسيًّا؟ الكلام ده أتحداك لو واحد محترم من أهل الطب قاله، الثابت هو العكس بس أنت مش عارف وبتردد الكلام زى البغبغان وخلاص.

١٠- علشان أتعود على السهر والمذاكرة وعقلى يبقى صاحى ومركز:

الكلام ده تقوله لصاحبك. أنصحك لا تقوله أمام أى واحد مجرب أو أمام أى طبيب، لأنه سيصل الى إحدى النتيجتين أما أنك بتضحك عليه وبتجاريه فى الكلام، وإما أنك موهوم، لأن العقل الذى يتم تنبيهه بالمنشطات لا يستطيع التعلم أو التفكير، وقد تصل المحصلة النهائية للاستيعاب إلى صفر.

العـــلاج:

لابد من قناعة المريض الشخصية بالتخلص مما هو فيه، ولابد أيضا من إرادة مصاحبة لتلك القناعة:

١- اخبر أهلك وعرِّفهم كى يساعدوك، فمن لك غيرهم وهم أكثر الناس استعدادًا للمغفرة، وللمساعدة على الخلاص مما أنت فيه.

٢- اترك الشلة المصاحبة فورًا وبحزم وهددهم بإبلاغ الشرطة إذا حاولوا الاتصال بك مرة أخرى (لا بد من موقف حاسم ومواجهة).

٣- توجه للطبيب ولا تنتظر.. فهناك مشكلات طبية يجب معالجتها.

٤- أعد ترتيب حياتك.

إذا رجعت مرة ثانية لا تستسلم

أنت فى حرب مع نفسك، والحرب سجال، أعد نفس الخطوات السابقة، راجع أسباب النكسة.

وبالنسبة للأهل:

- تعويده على مواجهة الضغوط وتشجيعه وتعضيده.
- شغل وقت فراغه.
- تقليل الخلافات الأسرية والجو المضطرب.
- المراقبة المستمرة.. يفضل دون إعلامه بذلك.
- زيادة الوعى الدينى.
- التشجيع على الرياضة.
- تكوين علاقات سليمة فى البيت.

ونقطة هامة:

انعدام الإيجابية والتفاعل الحر بين أفراد الأسرة يمثل محضنًا ممتازًا لنمو أى مشكلة ومنها الإدمان والسلبية والتمركز حول الذات التى نعانى منها فى العلاقات المستمرة اليومية، وهى قنبلة إذا دخلت البيت، والصورة المجسدة لذلك:

الأم تعلم: ومترددة إن قالت للزوج ستشعل حريقًا فى المنزل أو يشتبك معها.

الأخ يعلم:

مكبر دماغه ويقول: وأنا مالى كل واحد حر.

يقول له كلمتين علشان بعد كده يقول أنا نصحته.

يقول لأمه ولا يفعل شيئًا بعد ذلك.

الأب يعلم:

يتفاعل كأنه ابن الجيران وليس ولده.

يتفاعل بأقل ما يجزئ.. معركة بسيطة ثم يترك الأمر.

مش فاضى وسايب الأمور.

العائلات الأكثر تعرضا لخطر الوقوع فى الإدمان:

- أقل تمسكًا بالدين والذهاب لدور العبادة.
- أقل اهتمامًا بتربية الأولاد.
- أقل عناية بالمراقبة الذاتية.
- أقل تماسكًا: أقل وقت ممكن مع بعضهم البعض.
- أكثر تساهلاً: دائمًا يتظاهرون بعدم وجود مشاكل لعدم رغبتهم أو قدرتهم على التعامل معها.
- أكثر فردية وحرية (كل واحد يعمل اللى هو عايزه).

ملحوظة:

العائلات الأقل تعرضًا للخطر هى التى تعطى أفضلية للتربية، ارتباط العائلة مع بعضهم البعض، حب الله والوطن، الاحترام للسلطات والقانون.

وسائل الإعلام ودورها المستفز للظاهرة

حذرت كل مؤتمرات الإدمان من التوعية الخاطئة، وقالت: إن الإعلام الغير المدروس قد يؤدى إلى نتائج عكسية، وفعلاً قد حدث.

١- نبهت الآذان إلى كل دقائق الإدمان (أنا شفت إزاى تفك البودرة وتسحبها للحقنة وتجيب العرق لنفسها).

٢- شفت المدمن وهو رايح للتاجر فى الترب وكيفية التفاوض معاه.

٣- النشوة بعد التعاطى.

٤- ومساحات طويلة جدًا فى الفيلم تصف المشاهد السابقة بالإضافة إلى معلومة هامة ومدمرة:

لقد عرف الصغير والكبير أن تجارتها أقصر الطرق إلى الثراء الفاحش السريع (سهلة التهريب؛ كيس بودرة فى شنطة).

آخر خمس دقائق فى الفيلم:

وبسرعة يأتى البوليس ويذهب المريض للسجن، وخلصت الحكاية، ويخرج الشباب يتكلمون فى مجالسهم الخاصة عن المشاهد السابقة، ويطرح الشيطان عليهم: تعالوا نجربها زى ما شفناها فى الفيلم.

****

الدراسات النظرية العلمية للإدمان

ظاهرة الإدمان:

ظاهرة الإدمان من الظواهر المعقدة التى تتشابك عناصرها وتتعدد مسبباتها. والإدمان فى صورته المبسطة يتماثل مع الأمراض المعدية التى تصيب الإنسان، فالأمراض التى تصيب الإنسان تكون نتائج مؤثرات ومسببات تتفاعل مع بعضها مما يترتب عليه أعراض جسمية معينة تصيب مواضع معينة من الجسم وتتأثر بها أجزاء أخرى.

والإدمان تتوقف أعراضه ومضاعفاته كالأمراض الجسمية على عوامل تتمثل فى:

- **الفرد**
- **العقار**
- **البيئة**

وهناك تفاعل دائب بين هذه العناصر الثلاثة يتمثل فى العلاقات المتبادلة بينهم:

١- الفرد: ولابد من أخذ الأمور التالية بعين الاعتبار.

أ- أنماط المتعاطين: حيث إن هناك ارتباطًا بين المهن ونوع العقار وطريقة تعاطيه.

ب- سمات شخصية فى المتعاطى: عدم النضج، الضعف الجنسى، عدم الاستقرار والعدوانية، الاضطراب الزائد، القلق، التوتر، التمركز حول الذات وإشباع الرغبات فى الحال.

ج- قابلية الإصابة؛ الأمراض النفسية والأمراض الجسمية عند المتعاطى.

٢- العقار:

ويراعى فيه الآتى:

أ-أنماط التعاطى: حقن، شم، بالفم.

ب- التركيب الكيميائى.

ج- الخواص الدوائية للعقار.

د- إمكانية وتوافر الحصول على العقار.

٣- البيئة: ويتم رصد النقاط التالية:

أ- الأسرة والتنشئة الاجتماعية.

ب- الأعراف والتقاليد والعادات.

ج- الوازع الدينى.

د- الثقافة القائمة والوضع الاقتصادى.

هـ- الظروف المتغيرة بالمجتمع.

بالنسبة للأسرة:

الحقيقة واضحة، ونحن نعيش المشكلة دون أن نقضى عليها، فقط نتألم منها، والبعد الاجتماعى والاقتصادى للأسرة يمثل مدخلاً قريبًا لحدوث الإدمان:

أ- غنى مُطْغٍ حيث انعدام الإحساس بالآخرين وانعدام الرقابة.

ب- فقر مُنْسٍ كبت وضغط نفسى فظيع يحاول الهروب منه، إضافة إلى انعدام الإحساس بالآخرين.

ج- طلاق عاطفى: (الأم والأب مختلفان متقاطعان والولد فى صراع نفسي).

ملحوظات عامة:

١- انعدام الإيجابية والتفاعل الحر بين أفراد الأسرة بحيث [الأم، الأب، الأخ] يعلم الحقيقة، ويتغافل عنها كأنه ابن جاره أو واحد لا يعرفه أو يتفاعل مع الواقع بأقل القليل [مجرد مشاجرة أو عتاب].

٢- وجود شخصية سلبية من الأب والأم [الأولاد كبروا، وكل واحد يعمل اللى هو عايزه] أو [إذا اتخانقت معاه هايضربني].

التعاطى غير الطبى للعقاقير

من مسببات الإدمان التعاطى غير الطبى للعقاقير، أو ما يعرف بسوء استعمال العقاقير، ويعود ذلك إلى أسباب:

١- الهروب من مشاكل الحياة.

٢- القلق الزائد أو التوتر أو الاكتئاب.

٣- تأكيد الذات وخاصة عند شبه الفصاميين.

٤- التشبث الزائد بملزمات الحياة والخوف من عدم التمتع بالخبرات السارة، فيلجأ للدواء للحصول على حالة استرخاء تمكنه من التمتع.

٥- الرغبة والخضوع لمجاراة جماعة الرفاق.

٦- التقليد الأعمى والفضول فى تجريب ما هو جديد.

٧- العبث واللهو والتسلية بقصد الإثارة وإشباع النزوات.

العقاقير المسببة للإدمان:

- المسكنات المخدرة.
- المنومات والمسكنات المنومة.
- المهدئات والملطفات.
- المذيبات الطيارة والمستنشقات.
- المنبهات والمنشطات.
- عقاقير الهلوسة والتخدير.

وللإدمان آثار سيئة للغاية على المتعاطى نفسه وعلى أسرته وعلى المجتمع، وتختلف هذه الآثار باختلاف نوع العقار.

مخاطر الإدمان الصحية

أولاً: نظرة عامة

لا بد أن نأخذ فى الاعتبار حتى يتم تشخيص الحالة:

- وجود قوة شديدة ورغبة ملحة لتناول العقار والحصول عليه بأى وسيلة.
- الاتجاه المستمر لزيادة العقار.
- حدوث أعراض جانبية شديدة عند التوقف.

أخطر المخدرات:

المصنع منها مثل: الهيروين حيث يؤدى إلى:

- اضطراب فى الشخصية.
- سلوك غير اجتماعى.
- مع زوال تأثير المخدرات، توتر، قلق، عصبية، رشح من الأنف، نشر بالمفاصل والظهر.
- فشل مستمر فى العمل.. يبدأ فى بيع حاجاته الشخصية؛ أثاث الأسرة ومتعلقاتها.
- تدهور اجتماعى.

الحشيش:

- يتراكم فى أنسجة الجسم ولا يزول إلا ببطء شديد.
- آثار سيئة على الرئتين.
- تغيرات سلوكية، تبلد الشعور، الكسل، الميل للنوم، فقدان الاهتمام بالعمل، الابتعاد عن المجتمع ما عدا الشلة، عظمة كاذبة، إحساس با[illegible]هاد، سرعة انفعال، نزعات عدوانية.
- له تأثير ضار على الجينات.

الكوكايين:

أ- اتساع حدقة العين.

ب- سرعة ضربات القلب.

ج- مع الجرعة الكبيرة تظهر البارانويا؛ وهى حالة نفسية يشعر معها المريض بالعظمة واستمرارية التعاطى دون توقف - نوبات تشنجية.

د- عدم الرغبة فى الاهتمام بما يدور حوله.

هـ- اضطراب الأمور وسوء التقدير للمواقف واضطراب التصرف.

و- عدم التبصر بعواقب الأمور وفقدان الحياء واضطراب التنسيق الحركى.

ز- غالبا ما تحدث كوارث فادحة عند قيادة السيارات.

ح-الغيرة المرضية، العته، التجوال، الهلاوس، الهذيان، الرعاش.

مخاطر جسمية عامة للإدمان:

١- آلام بالجهاز الهضمى يسبب التهاب المعدة والأمعاء، نزيف من المعدة.

٢- تزايد نبضات القلب.

٣- تضخم الكبد، التهاب بالبنكرياس.

٤- فقر الدم بسبب قلة الطعام وكثرة التعاطى.

٥- افتقار الجسم إلى أنواع مختلفة من الفيتامينات مثل أ، ج، ب.

٦- ازدياد نسبة احتمال التعرض لمرض السل والالتهاب الرئوى إلى خمسة أمثالها عن الشخص العادى.

٧- هبوط نشاط الجهاز العصبى وحدوث أضرار بمراكز المخ العليا.

٨- التهاب الأعصاب، مثل أعصاب الأطراف وعصب العين مما يؤدى إلى الشلل، العمى وغير ذلك.

٩- اختلال التوازن نتيجة لتأثر خلايا المخيخ وضمورها، فقدان السيطرة على الاتزان الحركي؛ مما يؤدى إلى اختلال التناسق العضلى الحركي؛ وبالتالى إلى ضمور الخلايا وارتخاء عضلات الجسم والترنح واهتزاز اليدين وارتعاشهما واهتزاز حركة العين وتلعثم واضطراب الكلام.

١٠- فى حالات التعاطى الزائد تتعطل مراكز الجهاز العصبى فى النخاع المستطيل حيث تتأثر وظائف القلب والتنفس، وقد تفضى الحالات المزمنة إلى الموت عند تأخر الإسعاف.

ومن الناحية الاجتماعية:

يتهم الزوجة بالإهمال والخيانة ويسيء معاملتها بمجرد الاستفزاز البسيط، وتتوتر العلاقات الأسرية، وتنشب الخلافات التى تتفاقم يومًا بعد يوم، وتؤدى إلى التفكك الأسرى والطلاق وشتات الأولاد وضياعهم ما بين الأب أو الأم.

ومن آثار الإدمان على العموم آجلاً أم عاجلاً:

- اضطراب العمليات العقلية العليا كالتذكر والتفكير والإدراك والتصور.
- العدوانية والسلوك العدوانى والكراهية.
- اضطراب العلاقات الاجتماعية.
- فقد القدرة على وقف الكلام.
- الهوس الكلامى واضطراب الحركة وتشوش الأفكار.
- الشعور بالفتور الجسمى والنفسى.

بعض المفاهيم المتعلقة بالإدمان

أ- الإسراف فى العقاقير:

ويقصد به سوء الاستعمال أو الاستعمال غير الطبى للعقاقير، وهو استعمال وقتى أو دائم لها لا يتفق والحاجات الطبية، وهذا يحدث بإرادة واختيار المتعاطى بدافع حب الاستطلاع والفضول، أو لاستشعار خبرة معينة، أو للشعور بالراحة. وسوء الاستعمال لا يصل إلى درجة الإدمان.

ب- الاحتمال:

هو تدنٍّ تدريجى فى التجاوب مع مفعول العقار نتيجة تكيف الجسم مع مفعول العقار بحيث يقتضى زيادة الجرعة للحصول على النتيجة المرغوبة.

ج- التعود (الاعتياد):

هو حالة يتكون فيها التشوق لتعاطى المخدر بسبب ما يحدثه من شعور مرغوب ومن خصائص التعود:

١- استمرار استعمال المخدر والرغبة فى تناوله لما يسببه من شعور مرغوب.

٢- عدم تناول جرعات زائدة.

٣- يحدث قدرًا معينًا من الاعتماد النفسى ولا يحدث اعتمادًا عضويًا.

٤- أضرار المخدر عكسية على المتعاطى ولا يضار منها المجتمع.

د- الاعتماد النفسى:

وهو يشبه التعود، ويتولد هنا الدافع النفسى لتناول العقار بصورة متصلة أو دورية غير متصلة، لتجنب الشعور بالقلق أو تحقيق اللذة ومن هذه العقاقير:

١- التبغ

٢- القات

٣- الحشيش

٤- الكوكايين

هـ- الاعتماد العضوي:

حالة ينتج عنها تكيف وتعود الجسم على العقار؛ مما يؤدى إلى ظهور اضطرابات نفسية وعضوية شديدة لدى المتعاطى، وخصوصًا عند الامتناع عن العقار بصورة مفاجئة تسمى (أعراضًا انسحابية) ومن العقاقير المسببة لذلك: المورفين، الأفيون، الهيروين، والكوكايين والخمر.

الإدمان (الاعتماد):

هو الحالة النفسية أو العضوية التى تنتج عن تفاعل العقار فى جسم الكائن الحى، ومن خصائص الإدمان أنماط سلوكية واستجابات مختلفة تشمل دائمًا الرغبة الملحة فى تعاطى العقار.

ومن خصائص الإدمان:

١- الإلحاح والرغبة فى استمرار التعاطى والحصول على المخدر بأى طريقة.

٢- الرغبة فى زيادة الجرعة.

٣- الاعتماد النفسى والعضوى على المخدر.

٤- ظهور أعراض نفسية وجسمية عند الامتناع المفاجئ عن المخدر.

* * *

تفسير ظاهرة الإدمان

أولاً- التفسير النفسى للإدمان:

١- قانون الأثر:

موقف معين (متوتر): ومع العقاريحدث: هدوء وسكينة (إشباع).

موقف مماثل: ومع العقار يحدث: انتظار الأثر الإيجابى [السابق].

٢- التكرار [التثبت والتدعيم]:

يؤدى تكرار سلوك معين إلى تثبيته وتدعيمه، خاصة إذا كانت الخبرات الناتجة من سلوك معين فيها إشباع للحاجات.

٣- التعزيز:

عدم وجود معوقات عند قيام الفرد بسلوك معين يشبع رغبة ويثبت السلوك.

٤- التمركز حول الذات:

قد يتم تقوية العادة الضارة عندما يهتم الفرد بذاته دون النظر إلى معايير المجتمع.

٥- العادات السلوكية الناجمة عن الإدمان:

أ- تناسى الآلام والأحزان وتقليل التوتر بسبب الشعور بالنشوة والطرب [لفترة مؤقتة فى البداية].

ب- تحقيق وإشباع الدوافع العدوانية.

ج- تخفيض التوتر الناجم عن القلق وتوجس وتوقع الشر والضرر.

٦- الظروف العائلية التى ينحدر منها العديد من المدمنين:

تتسم الحياة الأسرية للمدمنين بالحالات الآتية منفردة أو مجتمعة:

أ- الغياب الطويل للأب أو الأم عن الأبناء.

ب- الأب أو الأم المتسلط.

جـ- أن يكره الأبناء أحد الأبوين.

د- ألا يتم الدور الأبوى السليم.

هـ- العلاقات الأسرية الأبوية المنهارة المهدمة.

و- كثرة الخلافات الأسرية.

ز- التنافر والاضطرابات الزائدة بين الأبوين.

ح- عدم وجود القدوة الوالدية الحسنة (أحد الأبوين مدمن).

ط- التفكك الأسرى والطلاق ووجود بدائل عن الأمهات أو الآباء.

٧- صحبة الرفاق:

وما فيها من رغبة لمجاراة الصحبة الشريرة وإغراء رفقاء السوء والتقليد والتجريب أو المشاركة فى التعاطى والنزعة إلى تحقيق الذات وإثبات الرجولة.

٨- المعتقدات السائدة الخاطئة:

أن العقاقير تسبب نوعاً من النشاط والحيوية، وأنها تزيد القوة الجنسية.

٩- السمات الشخصية للمدمن:

ينتمى أكثرهم إلى بيئات منخفضة اجتماعية، يبدو عليهم القلق وانعدام الطمأنينة والشعور بالذنب، وعدم الاستقرار الانفعالى، وانخفاض تقدير الذات، يواجهون فى حياتهم المبكرة قدراً كبيراً من التوترات، وقدراً أقل من الإشباع وقدراً أقل من حل المشكلات، يتصفون بالعدوانية والتعبير بالسلوك عن مشاعرهم والتماس انتباه الآخرين واجتذابه لهم، يكرهون التسلط وتنعدم مراعاتهم لشعور الآخرين ويميل بعضهم إلى تدمير الذات.

* * *

ثانياً: التفسير المرضى للإدمان

يلجأ العصابيون والذهانيون إلى العقاقير المخدرة للتخفيف من حدة أعراض ما يعانون من أمراض نفسية أو عقلية، وتفسر هذه الظاهرة بالعلاج الذاتى، ويمكن أن يكون الإدمان عرضاً من أعراض الحالة المرضية مثل: الاكتئاب والقلق النفسى والفصام فى بدايته.

ثالثاً: التفسير البيولوجى للإدمان:

١- تفاعل العقاقير مع المستقبلات والممرات العصبية:

يفسر الإدمان على أساس وجود نوعين من المستقبلات على غشاء جدار الخلية العصبية:

أ- مستقبلات دوائية: يؤدى تفاعلها مع العقار إلى مفعولها الدوائى.

ب- مستقبلات ساكنة وغير نشطة: لا تتفاعل مع العقاقير، ويؤدى تناول العقاقير بصفة مستمرة إلى تنشيط الأخيرة، وتتحول إلى مستقبلات دوائية مما يؤدى إلى حاجة الفرد إلى جرعات متزايدة من الدواء كى تسبب نفس المفعول للعقار، وهذا ما يعرف بالاحتمال.

وعند الإقلاع المفاجئ عن العقار تنشط المستقبلات الزائدة، وتؤدى إلى ظواهر غير طبيعية مثل الأرق والقيء والهلوسة (أعراض الامتناع).

ويوجد أيضا ممران عصبيان؛ الأول: يتم تنبيهه فى الحالات العادية، والثانى: ينشط فقط عند الإفراط فى استخدام العقار، وهذا الأخير يهبط نشاطه فى الحالات العادية والإقلاع الفجائى يؤدى إلى نشاط مكثف فى المخ فى الممرين تنشأ عن ذلك أعراض الانسحاب.

٢- تفاعل العقاقير مع الموصلات الكيميائية بالمخ:

ثبت من الدراسات على الحيوانات أن الكحول والمنومات الباربيتورية وخاصة الكلور بعد تمثيلها فى الكبد تتحول إلى مواد أخرى تؤثر على مادة الدوبامين والنور

أدرينالين، وتتفاعل مع مشتقاتها الوسيطة لتكون مركبات شبه قلوية لها خواص الأفيون، وتسمى هذه المشتقات تتراهيدرو ايزوكلينولين.

٣- تغير النشاط الكهربائى بخلايا المخ:

تؤدى الخمر والعقاقير إلى تغيرات فى نشاط خلايا المخ الكهربائى ونشاط الهرمونات، يعتقد أن لهذا علاقة بالإدمان.

رابعاً: التفسير الفسيولوجى للإدمان:

إن تعاطى المخدرات يحدث تغيرات هامة بالجسم، واضطرابات فى النواحى الحسية والحركية والعضلية، وفى العادة يعتاد الجسم على هذه الحالة الجديدة، ويشعر الفرد بالضيق والضجر إذا عاد إلى حالته الطبيعية، أو امتنع عن تناول العقار نتيجة اختلال الاتزان الكيميائى والحيوى الذى اعتاد عليه الجسم. والبعض قال: إن الشعور بالألم هذا مجرد إيحاء، وفى حالة إدمان الخمور تنقص بعض الفيتامينات ويحدث تغير فى نمط الآيض فى خلايا المخ إلى أن يحدث تلف فى خلايا لحاء المخ أو قشرتها.

مع الانحدار الخلقى واستخدام السباب الفاحش الفادح، وفاحش الكلام والانحراف الجنسي؛ وتتناقص طاقاته الاستقلالية ويعتمد على الآخرين ولا يستطيع التحكم فى سلوكه السوي؛ مما يؤدى إلى انتشار الفساد فى المجتمع.

* * *

علاج الإدمـــان

فى المستشفيات العامة ومستشفيات الأمراض العقلية والمصحات النفسية ويشمل الخطوات التالية:

١- الفطام المفاجئ مع علاج الأعراض الانسحابية.

٢- توعية الأهل والأقارب والأفراد المتعاملين مع المدمن وعلاجهم أحياناً.

٣- مراقبة المدمن بعد العلاج، ربما تحدث انتكاسات نتيجة ظـروف البيئـة التـى تواجهه بعد الخروج والظروف الأولى التي دفعته للإدمان.

٤- تأهيل المدمن، ممارسة الرياضة، تكوين علاقات سليمة فى البيت ومع الأهل والأبناء وفى حقل العمل أو الدراسة.

علاج الإدمان من الخمور:

اكتشافه فى مراحله المبكرة، المؤثرات الاجتماعية أكثر حساسية مـن المضـاعفات النفسية والعقلية والجسمية، الامتناع النهائى عن التعاطى.

خطوات العلاج:

- تخليص الجسم من الخمر عندما يكـون المـدمن فـى غيبوبـة أو تسـمم ويـتم ذلك بالمستشفى.
- علاج نفسى عند الإفاقة.
- دراسة ظروف المريض كلها.
- علاجه بالمهدئات والمطمئنات مع الفيتامينات.
- إجراء الفحوص اللازمة.
- تخفيض جرعة المطمئن تدريجياً إلى جرعة ضئيلة مع إضافة مضادات الاكتئاب.
- تبصيره بخطورة حالته ومساعدته على مواجهة المستقبل.

الوسائل:

١- التوقف النهائى والكامل عن التعاطى.

٢- تزويده بالغذاء والفيتامينات.

٣- العلاج النفسى الفردى.

٤- العلاج بالتنفير: [إحداث أثر منفر مثل القيء والغثيان].

حيث يتفاعل العقار مع الكحول ويجعل المريض يحس بالصداع والدوار وآلالم الصدر والاختناق والرغبة فى القيء ونتائج غير سارة وغير مرتقبة للمريض مما يكّرهه فى الكحول.

٥- العلاج عن طريق الأدوية: الأنتابيوز قرص مرة أو مرتين فى اليوم، ويمكن كبسولة تحت الجلد مفعولها ٦ أشهر، ولكن له مضاعفات كثيرة؛ ولذلك يوضع المريض تحت المراقبة (الاكتئاب، التبول، والتهاب الأعصاب، اضطرابات دقات القلب).

علاج إدمان العقاقير:

١- التوقف عن استخدام العقار، معالجة الأعراض الانسحابية.

٢- استخدام عقارات بديلة، مثل الميثادون الذى يسهل التوقف عن استخدامه وبقدر أقل من المضايقات، وإنقاص الجرعة يتم فى فترة ٧ إلى ١٤ يوماً حتى نصل إلى الامتناع الكامل (هذا الدواء يعطل عمل المورفين والهروين ومشتقات الأفيون).

٣- العلاج النفسى.

٤- العلاج عن طريق الضغط الاجتماعى من قبل الجمعيات.

علاج إدمان المنومات والمهدئات:

يُسحب المنوم بالتدريج مع التدريب على الاسترخاء فى غياب العقار.

التدخين:

- الإقلاع الفجائى وتحمل أعراض الامتناع أو الإقلاع التدريجى.
- استخدام بدائل مثل الحلوى.
- العلاج النفسى المسلكى.
- استخدامات مهدئات بجرعة صغيرة جداً ولمدة محدودة.

المذيبات المتطايرة: علاج دوائى عند المضاعفات وعلاج نفسى واجتماعى.

الحشيش والماريجونا: العزلة فى غرفة هادئة ضعيفة الإضاءة، وعلاج المضاعفات. الإقلاع المفاجئ لا يسبب أعراضاً مزعجة.

العينة الأكثر إصابه :

- المرضى المتعاطون للمورفين، هيموثليا، كسور الحوض.
- الهاربون من الحياة، قلق، اكتئاب.
- المصابون بخلل فى الشخصية، الاعتماد على الغير، الإنجاز الفورى، عدم القدرة على تحمل أعباء الحياة، عدم القدرة على التعبير على الغضب والتوتر.

الرد على من قال الهروب من الآلام والمشاكل:

- المشاكل وضغوط الحياة لازمة من لوازم نمو الشخصية، والشخصية المرفهة قابلة للكسر.
- الشخصية الهاربة تصاب بصدمة مع أول مواجهة لموقف جديد، ويتعلق بالتعامل مع الآخرين.
- إذا وجد فى الهروب لذة سيصبح منطوياً على نفسه، هل الهروب حل المشكلة؟

العلاج يعتمد على:

علاج البواعث الدافعة للإدمان:

- رغبة المريض فى الشفاء.
- الاتباع لتعليمات الطبيب.
- استقرار الأسرة وعدم وجود نزاعات شديدة.
- تكوين صداقات جديدة.
- الاستقرار فى عمل محدد والتكسب منه.
- المتابعة بعد الخروج من المستشفى.

الوقاية:

درهم من الوقاية خير من قنطار علاج:

١- احتواء وعزل المتعاطين والمدمنين لمنع انتشار عدوى الإدمان إلى الآخرين.

٢- التشريعات الوقائية الخاصة بالتداول والترويج والجلب.

٣- التوعية الدينية.

٤- مسئوليات البيئات الاجتماعية؛ الأسرة، الالتزام بالحقوق والواجبات والقدوة من الآباء والتربية السليمة، إشباع احتياجات النشء من جميع النواحى النفسية والانفعالية والجسمية والعقلية، المشاركة فى اختيار الرفاق والأصحاب.

٥- التوعية الإعلامية: نشر المعلومات الهادفة والتبصيرية بخطورة الإدمان.

٦- المجتمعات المحلية والمؤسسات التربوية، مثل دور الإعلام والهيئات الأمنية والصحية والاجتماعية والأسرة والمدرسة، والمساجد.

هذه لها أولويات فى التأثير على الأفراد، حيث تحدد دور الأفراد ووظائفهم فى المجتمع وتعتبر مؤثراً فعالاً فى نقل اهتمامات الأفراد وما ينتابهم من قناعة أو قلق وتوتر أو إخفاق أو سلوك إيجابى أو سلبى، وتتيح فرص التقدير أو عدم الاكتراث، وتفسح للفرد إمكانيات التفاعل فى المجتمع بطريقة بناءة، استهجان مظاهر الإهمال وقمعها وتوفير الفرص والاحتياجات للشباب.

توجيهات ونصائح

١- للطلبة الذين يتعاطون المنبهات لتساعد على السهر وخاصة أيام الامتحانات، عدم الإسراف فى شرب القهوة والشاي؛ لأن هذه المشروبات تؤدى إلى التسمم بالكافيين ولم يثبت إطلاقًا أن لها أى تأثير على فاعلية التحصيل الدراسى.

اتباع طرق المذاكرة السليمة التى تساعد على التحصيل وعدم الإرهاق الذهنى مثل أخذ فترات راحة بين المواد المختلفة- والمراجعة للمواد الدراسية على فترات قريبة، والمذاكرة (أولاً بأول)، وشرب مشروبات لا تؤثر على الجهاز العصبى، وعند الشعور بعدم القدرة على المواصلة ينصح بالنوم مباشرة.

٢- عند قيادة السيارات يحذر تناول وجبات دسمة تجلب النعاس وتؤدى إلى الخمول وعدم الحيوية، عند الشعور بالملل والضيق ننصح بالتوقف مباشرة عن القيادة والقيام ببعض التدريبات والوجبات الخفيفة التى تنشط البدن كذلك فى الاستذكار.

المنشطات:

يحذر استعمالها كمهدئ للأطفال كثيرى الحركة الزائدة ولا بجرعة صغيرة إلا تحت إشراف طبيب أعصاب متخصص.

التدخين:

خير علاج له ألا يبدأ الإنسان بالتدخين على الإطلاق، الإقلاع التدريجى أو كلية.

المهدئات والمنومات:

- عند الإنهاك والرغبة فى الاسترخاء ينصح بأخذ حمام دافئ قبل النوم.
- تناول كوب حليب دافئ قبل النوم، إذ إنه عادة يفرز مادة التربيتوفان فى المخ وهى عادة تساعد على النوم.

- عمل تدريبات رياضية بسيطة قبل النوم.
- التعود على الانتظام فى مواعيد النوم والاستيقاظ.
- النوم فى غرفة جيدة التهوية وذات درجة حرارة مناسبة.
- يفضل وضع القدمين على وسادة ترتفع فى مستواها عن وسادة الرأس؛ مما يؤدى إلى تدفق الدم للمخ، ويساعد على الاسترخاء والنوم.
- قراءة آيات من القرآن والصلاة تؤدى إلى الراحة النفسية والاستقرار والنوم الهادئ.
- مسكنات الألم ومضادات الحموضة وعقاقير الزكام والفيتامينات والملينات، يجب أن يكون تناولها تحت إشراف طبيب واتباع تعليماته.

مما سبق آنفاً يتبين لنا أهمية الإقلاع سريعاً عن أى نوع من أنواع الإدمان؛ نظراً لخطورته الشديدة على الفرد والمجتمع.

* * *

الحل من وجهة نظر الأستاذ وجيه أبو ذكري في مقدمة كتابه «المدمنون يعترفون»

لماذا ؟ لماذا كتاب كامل عن تراجيديا المخدرات؟

لماذا؟ لماذا مشقة لقاء البحث عن المدمنين فى المستشفيات وأقسام الشرطة وغرف الإعدام؟

لماذا؟ لماذا مشاركة رجال الشرطة فى حملاتهم ضد تجار المخدرات فى الحوارى الضيقة وتوقع تبادل إطلاق الرصاص؟

لماذا؟ لماذا المخاطرة فى الذهاب حيث أوكار المخدرات والمدمنين الخطرة والقذرة؟

لماذا؟ لماذا التواجد فى مواقع الجرائم الجديدة البشعة على مجتمعنا المؤمن المسالم، تلك الجرائم التى قلبت موازين قوانين الطبيعة بل والقوانين السماوية ذاتها وناموس الحياة؟

لماذا؟ والمكتبة العربية عامرة بعشرات الكتب عن المخدرات وكلها تتحدث علمياً عن خطورة المخدرات؟

ألم يكن يكفى بحث علمى من خلال عشرات الكتب، عن خطورة المخدرات بدلا من المجازفة والبحث فى مواقع الإدمان؟

والجواب باختصار شديد:

إن حجم مشكلة الإدمان لا يتصورها أحد، إن حجمها فاق كل تخيل، إن خطة صهيونية محكمة وذكية تستهدف مصر، بل ومعها الأمة العربية، وتلتهم هذه الخطة أعز ما تملك مصر، وأعز ما تملكه مصر وهو شبابها.

إن أعداء مصر وأعداء الأمة العربية يجدُّون فى استنباط أنواع جديدة من

المخدرات، قذائف عالية المفعول، دقيقة فى إصابة الهدف، فأطلقوها لإصابة قلب الأمة، إن حرب المخدرات التى يجب أن نخوضها بكل الأسلحة هى أبشع بمراحل من حرب الجراثيم.

فحرب الجراثيم- رغم تحريمها وبشاعتها- محددة بزمن معين هو زمن الحرب، ومكان معين هو ساحة القتال، ولكن فى حرب المخدرات فإن الزمان هنا لا ينتهى، والمكان هنا أمة بأثرها، والهدف هنا هو قلب هذه الأمة.. فتصوروا أمة كاملة يغرق شبابها فى بحور الإدمان.

لقد دفعت ثمنا غالياً فى سبيل إعداد هذا الكتاب، حتى كدت أدفع حياتى ثمناً لإعداده!!

كنت ألتقى مثلاً بالضحية أو مريض إدمان، وأراه، دون إدمان، أملاً لمصر، وفخراً لها، وبعد الإدمان قد دمر حياته، ودمر أسرته، ودخل دائرة الموت المحقق.

كنت ألتقى- مثلا- بشاب أدمن فارتكب جريمة قتل بشعة لا أخلاقية وهو يجلس فى غرفة انتظار تنفيذ حكم الإعدام، فإذا به شاب كان نافعاً لمجتمعه قبل الإدمان، ولكنه بعد الإدمان أصبح معولاً يهدم كل جميل فى هذا المجتمع.

كنت ألتقى- مثلا- بطبيب شاب سقط فى كمين الإدمان يبحث عن طريق نجاة للخروج من يم المخدرات، فلا يقوى على الإمساك بطوق النجاة، وإذا به يغرق ويموت.

شباب فى عمر الزهور يغرقون سراً..

شباب لم يبحث عن المواد المخدرة بل هى التى تطرق بابه وبشدة وتلح عليه إلحاحاً!!

ليس سرًا أن المخدرات أصبحت متوافرة فى كل مواقع الشباب، فى الجامعات، فى المدارس، فى الأندية حتى فى الساحات الشعبية.

وليس سرًا أن المخدرات قد طالت لأول مرة المرأة فأصبحنا نسمع عن المرأة

المدمنة! والمرأة هى أم لرجال المستقبل.. فتخيلوا أمهات المستقبل مدمنات!

تحت شعار جرب مرة واحدة؛ سقط فى كمين الإدمان الشباب والفتيات، فهذه التجربة هى الخطوة الأولى فى طريق الإدمان، فهى أشبه بتجربة الانتحار فبعد تجربة المخدرات الأولى يصعب بعدها الفرار من المخدرات.

لماذا الكتاب تراجيدى عن المدمنين؟

لأن الإدمان يدفع بالشاب الطاهر، إلى حالة من الجنون لا يستطيع أن يفرق بين أمه وبين بغى، بين أبيه وبين عدو لدود، بين أخيه وبين حيوان يريد أن يفترسه، لهذا سمعنا عن كل الجرائم البشعة التى تملأ أعمدة الصحف هذه الأيام، ثم ندهش، دون وقفة لمعرفة الأسباب التى تؤدى بمعلم اغتصب تلميذته الصبية، ولا لمعرفة دوافع شاب يقتل أمه.

لقد دفع الإدمان بالمدمنين إلى كل آبار الرذيلة السحيقة، وانتزع منهم الضمير والتقاليد والمبادئ والقيم، وحولهم إلى وحوش كاسرة لا رادع لها ولا دين.

لقد بحثت عن رقم يصور العلاقة بين الإجرام والإدمان فوجدت أن سبعين فى المائة من جرائم السرقة والقتل والاغتصاب بسبب الإدمان.

إذن الإدمان وراء خطة ماكرة لتحويل المجتمع إلى غابة، يسود فيها تجار المخدرات.

لماذا الكتاب تراجيدى عن المدمنين؟

إن مصر مستهدفة فى اقتصادها لكى تتوقف كل أنواع التنمية، فكانت خطة القضاء على الاقتصاد المصرى بعدة وسائل منها:

الإرهاب: وهو يعطل قوى كثيرة لمواجهته، ويحتاج إلى أموال طائلة لحسمه، وهو فى النهاية استنزاف لقوى الشعب واقتصاده، ودفعه إلى ترك قضايا هامة كقضية التنمية.

القروض: وهى نوع خطير من الاستعمار الجديد وإضعاف الاقتصاد القومى حيث تتعاظم القروض حتى تصل أقساطها إلى حد يفوق القروض الجديدة، ومعنى

ذلك أن الإنتاج كله أو نسبة كبيرة منه تذهب تسديداً لأقساط الديون حتى يأتى اليوم الذى نجد فيه المجتمع كله يعمل لحساب تسديد الديون فقط.

توظيف الأموال: وهى خطة جهنمية لوقف مشاركة مدخرات المصريين فى الداخل والخارج فى تنمية بلدهم.

ثم.... الإدمان: وهو فى تصورى أخطر من كل القضايا السابقة. لماذا؟

لأن توظيف الأموال يمكن وقفه بقانون مهما كانت الآثار السلبية المؤقتة على الاقتصاد..

ولأن القروض يمكن للحكومة أن تعد خطة تتوقف عن قبول القروض، أو قبولها بشروط ميسرة جداً بحيث لا تستنزف الاقتصاد.

والإرهاب.. لأنه يشكل خطورة على الأمن السياسي؛ ولأنه واضح وضوح الشمس فإن التوعية وأجهزة الشرطة يمكن أن تحسم مع الإرهاب المعركة.

ولكن.. الإدمان يشبه الأخطبوط فإنه يحطم المجتمع بالكامل، والدليل على أن الأفيون حطم ذات مرة شعباً كاملاً، هو الشعب الصينى، وكان الاستعمار البريطانى هو الذى يقف وراء دفع الشعب الصينى كله إلى إدمان الأفيون ولولا إدمانه لما تمكنت بريطانيا من السيطرة عليه، ولما تمكنت من استنزاف كل خيراته.

تجربة بريطانيا فى الصين، تحدث الآن، لا فى مصر وحدها بل فى كل أنحاء الأمة العربية، فالمحاولة هى استنزاف كل موارد هذه الأمة.

تعالوا نقرأ الأرقام..

الديون العالمية المدينة بها مصر تقدر بنحو أربعين ملياراً من الدولارات.

هذه الديون تستنزف الكثير من إنتاج مصر ودخلها لدفعه أقساطاً سنوية لهذه الديون، والمبالغ التى تنفق على المخدرات سنويا حوالى عشرين مليار دولار، حسب تقدير الباحثين... أى أننا ننفق فى العام الواحد نصف كل الديون التى اقترضناها

على مدى سنوات طويلة ماضية، أى أننا لو استطعنا القضاء على تجارة المخدرات، فإننا حفظنا لمصر عشرين مليار دولار سنوياً.

لماذا كتاب عن المدمنين والمخدرات؟

فى السنوات العشر الماضية، نتحدث كثيراً عن الفساد، وأحياناً يرى اليساريون أن سبب انتشار الفساد هو تجربة الانفتاح الاقتصادى التى بدأها السادات، وعلقوا قضية الفساد على مشجب الانفتاح الاقتصادى، واسترخوا فى الوقت الذى تؤكد فيه الأرقام الرسمية أن سياسة الانفتاح هذه أتاحت فرص عمل سنوية لحوالى ٦٥٪ من الخريجين.

إذن ما هى أسباب الفساد؟

لا مبالغة فى قولى هذا: إن السبب الرئيسى للفساد فى أية دولة هو (مافيا المخدرات) فلكى تصل المخدرات إلى (المستهلك)؛ لابد أن تجد مسئولاً فاسداً وحارساً فاسداً وقاضياً فاسداً، ولولا هؤلاء لما وصلت المخدرات إلى المستهلك، إذن لا بد لمافيا المخدرات أن تحقق هذه العناصر الفاسدة حتى يمكن لهم ترويج بضاعتهم السامة.

تعالوا نتحدث بصراحة.. فالأمر خطير.. تعالوا نتحدث بصراحة، ونسمى الأسماء بمسمياتها.

مافيا التعويضات فى وطنى تتجه إلى أن تتحول إلى حكومة قوية داخل البلاد.

وتعالوا نقترب من حكومة مافيا المخدرات.. إذا كانت حكومة مصر تتعامل فى ستين مليارا من الجنيهات، فإن حكومة مافيا المخدرات تتعامل فى عشرين مليارا من الدولارات أى أن الأرقام تتقارب. فمليارات مافيا المخدرات ماذا يمكن أن تفعله فى المجتمع؟

فى أمريكا اللاتينية فى بلاد إنتاج المخدرات فإن تجار المخدرات هم الذين يشكلون الحكومة بما لديهم من نفوذ وقوة؛ لذلك هناك استحالة فى القضاء على إنتاج المخدرات، وأصبحت قوتهم أشبه بالأساطير، فإن من يقف فى وجههم، سواء من الصحفيين أو رجال الشرطة أو القضاة أو الجمارك، فما أسهل أن تجد جثته ملقاة

فى الشارع والفاعل مجهول.

وفى مصر هناك محاولات للوصول بمافيا المخدرات إلى حكومة قوية.

قلت: تعالوا نتحدث بصراحة فالأمر خطير.

يتحدثون فى مصر عن ضابط المباحث الكبير الذى ضبط مخدرات قيمتها خمسة ملايين جنيه، وفى المحضر أثبت أن قيمة المخدرات المضبوطة تقدر بمليون جنيه فقط، وقد أدين هذا الضابط وخرج من الخدمة، ومات بعد خروجه بقليل.

فى بولاق حيث توجد مؤسستان إعلاميتان عملاقتان هما أخبار اليوم والأهرام، توجد أوكار تجارة المخدرات، وعندما فشلت الشرطة فى القضاء على هذه الأوكار، قام الأهالى بتجربة فريدة أن يقاوموا بأنفسهم تجار المخدرات، وقاموا بالتمرد على هؤلاء التجار.

أطلقوا على هذا التمرد (ثورة الحجارة).. حيث قاموا بإلقاء الحجارة على التجار وعلى كل مدمن يدخل حارة (الجيارة) التى بدأت فيها التجربة، ولكن جاءت إلى مكتبى واحدة من زعيمات هذا التمرد، تبدى لى تخوفها من فشل التجربة؛ لأن (صبيان) تجار المخدرات يذهبون إلى قسم الشرطة حيث يجدون المساندة.. كيف؟

تتحدث عن حفل زفاف تكلف أكثر من خمسين ألف جنيه لأحد ضباط الشرطة فى أحد الفنادق على نفقة تاجر مخدرات، وأموال أخرى ترك على إثرها الضابط عمله فى الشرطة.

يتحدثون فى مصر عن وكيل النائب العام الذى حاول تهريب اثنين غير مصريين تم ضبطهما وفى حوزتهما مخدرات، وحاول الرجل المسئول تهريبهما من مطار القاهرة الدولى نظير مبلغ كبير، وقد تم ضبطه بشكل درامى مفزع.

يتحدثون عن عضو مجلس الشعب الذى يتاجر فى المخدرات، ولم تتمكن أجهزة مكافحة المخدرات من رفع الحصانة عنه، وكان من المهم أن يضبط متلبساً حتى يتم وقاية المجتمع من سمومه وقد تم ضبطه متلبسا.

يتحدثون فى إدارة مكافحة المخدرات عن اثنين فى مؤسسة تشريعية تحوم

حولهما شبهة تجارة المخدرات وخاصة تجارة الهيروين.

يتحدث المستشار عادل صدقى رئيس محكمة الجنايات السابق إلى جريدة الأخبار ويقول كلاماً خطيراً عن المخدرات فى مصر: إنه أصدر حكمًا بالإعدام على ثمانية عشر من تجار المخدرات، وقد أدى ذلك إلى تراجع تجار المخدرات إلا أنه لم يعلم حتى الآن لماذا لم يتم تنفيذ هذه الأحكام!!

إذن مافيا المخدرات تتسلل إلى مواقع خطيرة..

إلى الشرطة التى تكافح هذه السموم..

إلى القضاء الذى يستطيع أن يقضى على هذه المؤسسات القاتلة للشعب..

إلى مجلس الشعب حيث الحصانة والتشريع..

ربما لم تجد هذه العصابات موقع قدم فى هذه المواقع الخطيرة، وربما وجدت ولا أحد يدرى مدى إنجازهم الشيطانى فى هذا الطريق.

يتحدثون عن المعلم الكبير (رئيس المافيا)، ويحددون بعض ملامحه، وهو رجل خطير له علاقات قوية بكبار المسئولين وكان فى قمة السلطة، ولم يعد الآن كذلك ولكن بملياراته يملك سلطة نافذة، ويحاول أن يفسد قمة المجتمع حتى يتمكن من خلال فساد القمة أن يدخل كل أنواع السموم فى مصر.

والآن ما هو الحل؟ لقد قدمت نماذج فى هذا الكتاب عن هؤلاء الشباب الذين دخلوا دائرة الموت عن طريق المخدرات، وذلك محاولة منى لوضع القضية أمام أصحاب القرار بحجمها الخطير؛ لكى تتحرك كل الأجهزة فى حرب شاملة ضد تجار المخدرات، والتى تستهدف دفع مصر بل والأمة العربية كلها فى دائرة الموت.

والحـــل: هو إعدام كل من له صلة بهذه التجارة الكافرة الفاسدة المفسدة.

الإعدام: لزارع المخدرات.

الإعدام: لمنتج المخدرات.

الإعدام: للمتستر على تجارة المخدرات.

الإعدام: لتاجر المخدرات.

الإعدام: لمهرب المخدرات.

الإعدام: لمتعاطى المخدرات بعد فترة سماح لعلاجه، وإذا رفض العلاج فلا بد من إعدامه.

لماذا الإعدام؟ لأن فى الإعدام رحمة بالمجتمع..

قال لى الدكتور مصطفى المنيلاوى: إن مريض السرطان لكى يشفى من هذا المرض ولكى لا يموت لا بد من بتر موضع السرطان فى الجسم، لحماية بقية أعضاء جسد المريض، ولكى يعيش. البعض قد يرى فى البتر قسوة، ولكن فى البتر رحمة، حتى لا تترك الخلايا السرطانية تنتشر فى الجسد كله فتفنيه.

فى الحرب العالمية الثانية طلب ستالين تجنيد كل الشباب الذين يعملون جباة فى القطارات والأتوبيسات والمترو، وطلب وضع صندوق على باب كل مركبة يضع المواطن السوفيتى أجرة ركوبه فى هذا الصندوق، فقال المستشارون: لن يدفع مواطن سوفيتى واحد الأجر.

فقال ستالين: من يضبط يعدم.

قالوا: قسوة من ستالين، كيف يعدم مواطن؛ لأنه ركب مركبة عامة بالمجان.

وبدأت التجربة.. وتم ضبط ثلاثة ركبوا المركبة دون وضع الأجرة فى الصندوق، وتم إعدامهم، ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم أصبح المواطن السوفيتى يحرص أشد الحرص على دفع أجرة ركوبه فى الصندوق الذى تطور فيما بعد.

وكسب ستالين ملايين الشباب للقوات المسلحة... وكسب ستالين الحرب من هتلر.. وأحد الأسباب هو ذلك القرار الذى يبدو فى أول الأمر قاسياً، ولكنه فى النهاية رحمة بكل المجتمع: **فيا أيها المشرعون.. ويا رجال القانون..**

أعدموا هؤلاء الذين يريدون دفع المجتمع كله إلى دائرة الموت..

وجيه أبوذكرى

يناير ١٩٨٩

رأى الدكتور أحمد عكاشة
فى انتكاسة المدمن

قول شائع على لسان مرضى الإدمان، وأقاربهم بل والرأى العام يقول: لا شفاء نهائياً من الإدمان، فمن الضرورى أن تحدث النكسة.

فالمدمن -كما يقول البعض- يدخل المستشفى مرة ليعالج الإدمان، ثم يدخلها بعد ذلك مرات ليعالج نفس الحالة.

فالكل يؤكد أن المدمن مثل المجرم. فالمجرم يدخل السجن بسبب جريمة ما، وفى داخل السجن يتعلم الحيل والأساليب التى تزيد من إجرامه بعد خروجه من السجن.

والذى يقال عن المجرم يتردد أيضاً عن المدمن.

ولكن أين الحقيقة؟

الواقع أن كل ما يتردد فى هذا المجال ليس إلا مجرد إشاعات.

نعم إنها إشاعات ولا تقوم على أساس علمى.

فقد سبق أن ذكرنا أنه عند علاج المدمنين فى كافة البلاد الأوربية والشرقية يخضع لقاعدة واضحة:

- الثلث الأول من المرضى يشفى تماماً ولا يعود للإدمان.
- أما الثلث الثانى.. فمن المحتمل أن ينتكس عدة مرات قبل أن يصل إلى الشفاء.
- أما الثلث الأخير، فإنه يرفض العلاج بل ويرفض دخول أى مستشفى ليواجه الأسرة والمجتمع بأنه طبيعى، وأن ما يحدث ما هو إلا أسلوب حياته وهو حر فى تصرفاته.

وهكذا فإن مثل هذا المدمن لا يطلب العلاج، وهكذا عادة ما تنتهى حياة مثل

هذا المدمن الذى يرفض العلاج بمضاعفات جسمية وأمراض خطيرة، أو اضطراب عقلى يدفعه إلى ارتكاب جريمة تدخله السجن أو الجنون الذى يدفعه إلى مستشفى الأمراض العقلية.

وهكذا نجد أن النكسات تصيب مجموعة محددة من المرضى المدمنين.

هنا يظهر السؤال المهم:

هل توجد شخصيات خاصة لديها القابلية لحدوث النكسة؟ وفى نفس الوقت هل توجد شخصيات أخرى بين المدمنين؟

هنا يجب أن نتذكر أننا أمام أمرين:

الإدمان كمرض:

ومن الممكن أن نضمن إلى حد كبير عدم حدوث النكسة إذا توافرت الضمانات التالية:

- العلاج المتخصص السليم فى المراكز المتخصصة لعلاج مثل هذه الحالات.
- ويكون ذلك فى وجود هيئة التمريض والإخصائى الاجتماعى والإخصائى النفسى والطبيب النفسى.
- كل هؤلاء يعملون كمجموعة مترابطة للارتفاع بمستوى العلاج.

إذا توافرت كل هذه الظروف نستطيع أن نضمن إلى حد كبير عدم وجود نكسة.

أما إذا حدث الإدمان كظاهرة، أو سمة من سمات اضطراب الشخصية؛ كأن يكون المدمن شخصية غير اجتماعية، شخصية عليلة، شخصية سيكوباتية، بحيث يكون أحد مظاهر هذه الشخصية الإدمان:

مثل هذه الشخصية تبدأ فى فترة الطفولة بسلوك بعيد عن المألوف اجتماعياً فنجد أن الطفل يكذب، يسرق، يحتال، يترك المدرسة (يزوغ) يختلق القصص، والأعذار، يولد الوقيعة بين إخوته وأصدقائه بل وبين أبويه، وعندما ينضج يبدأ فى

الاحتيال والنصب والسرقة من المنزل، ويتدهور دراسياً فنادراً ما تستطيع هذه الشخصية استكمال دراستها.

وأحيانا يصاب بالشذوذ الجنسى، وخلال هذه المرحلة يكون احتمال إدمانه لعدة مواد تبدأ بالسيجارة فى سن مبكرة، ثم الحشيش، ثم البرشام، ثم الأفيون، ثم الهيروين ممزوجاً بالخمر، وينتهى كل ذلك بالكوكايين.

مثل هذه الشخصية يكون الإدمان عندها مجرد سمة أو صفة من ارتباط الشخصية ككل.

والعلاج هنا يكون بتقويم هذه الشخصية، وترويضها إلى مبدأ العقاب والمكافأة.. وهكذا يختلف تمام الاختلاف عن الإدمان كمرض.

وعلى هذا يجب أن تقوم الشخصية ككل، وإلا حدث الانتكاس وتكرر. وليس غريباً هنا أن يرفض مثل هذا المدمن العلاج؛ حيث يدخل المستشفى كتجربة أو مغامرة أو حب استطلاع.

وهؤلاء الذين يحاولون تهريب المخدرات داخل المستشفى، حيث يوافق المريض أمام الأهل على دخول المستشفى، وهو يبكى طلبا للمساعدة، ولكنه فى نفس الوقت يكون قد أخفى المخدر فى أماكن لا تخطر على بال أحد، فمنهم من يخبئ المواد المخدرة فى علبة السجائر بين الكرتون والسيلوفان، ومنهم من يضع المخدر فى الحذاء أو الشراب، بل وقد يضعه وراء المرآة فى الحمام، بل وملتصقاً فى ظهر السيفون.

ومنهم من يضع المخدر ملتصقاً على جسده بواسطة شريط لاصق. وعلى هذا من المهم تفتيش المدمن عند البدء فى علاجه ودخوله المستشفى.

وكذلك تمنع عنه الزيارة فى الأسبوع الأول الذى تنتهى فيه أعراض انسحاب المادة المخدرة.

ومن الضرورى أيضا التدقيق فى نوعية الزوار، فمن الأفضل أن تقتصر الزيارة

على الأبوين، وممنوع الأصدقاء والأقارب والخطيبة، حتى لا يقوم أحد هؤلاء بتهريب المواد المخدرة إلى المريض المدمن الذى يتم علاجه.

لقد كان مثيراً أن نلاحظ شيئا آخر: هو قيام المدمن المقيم فى المستشفى بتهريب المواد المخدرة إلى داخل المستشفى لبيعها إلى باقى المرضى المدمنين فى المستشفى.

ومن الأسباب الرئيسية لحدوث النكسة:

العودة لنفس الرفقاء.

أو العودة إلى نفس الشلة.

ويبدو أنه توجد جاذبية خاصة بين هؤلاء الرفقاء، فهم يعرفون جيدا بعضهم البعض.

وعلى هذا.. فإن أحد الأركان الأساسية لعدم نكسة المرض هو مجموعة أصدقاء السوء أو رفقاء الشم؛ لأنه وجد بالتجربة أن المدمن حتى وإن كانت لديه بعض الإرادة لمقاومة إغراء الهيروين مثلا أمامه، فإن وجود الشلة القديمة يؤدى إلى تنبيه الارتباط السابق بين الإحساس بالنشوة واللذة وبين الإدمان.

فرؤية هذه المجموعة أو الشلة تجعله يتذكر جلسات الأنس، والصهللة والنشوة. وهنا يكون الارتباط بالإدمان ما زال موجوداً، لأن مدة انطفائه مازالت قصيرة. هنا يثار هذا الارتباط ويشعر المدمن باللهفة خاصة إذا عرض عليه أصدقاؤه التجربة للعودة إلى الإدمان.

إنهم يقولون له: لقد شفيت ولا خوف الآن.. وهكذا يعود الإدمان فى صورة شمة، وتزداد الرغبة بعد يومين لتزداد الكمية التى يشمها، ويبدأ التدهور بالتدريج. وعلى هذا يجب أن يتم الاتفاق على تغيير مجموعة أصدقاء السوء؛ لأن أهم سبب لعودة الإدمان وحدوث النكسة هو هؤلاء.

بل إن طبيعة العمل تساعد فى بعض الأحيان على حدوث النكسة:

فسائق سيارة النقل الذى يعمل طوال الليل يستعمل شمة الكوكايين على أمل

أن يستمد منها القوة والتحمل والاستمرار.

كذلك هناك مدمن الخمر الذى يعمل فى بار، أو مركب بحرى، مثل هؤلاء يجب ابتعادهم عن هذا العمل.

كذلك العمل الذى يحتاج إلى السهر طوال الليل؛ وبالتالى يحتاج إلى هذه الأقراص التى تنشطه.

على هذا يناقش الطبيب والمريض علاقة نوع العمل باحتمال النكسة بسبب طبيعة العمل.

كما يجب ألا ننسى أن أحد أسباب النكسات معاملة الأسرة للمدمن العائد بعد شفائه من الإدمان. فقد تستقبله الأسرة بالمحبة والمودة، وقد يحدث العكس، فيجد الكل يسخرون منه ويعيرونه مما يجعله يشعر بالذنب بصفة مستمرة، وليس غريباً أن تتم معاملته بطريقة تختلف عن الطريقة التى يعامل بها باقى الإخوة.. هنا يشعر بالفشل واليأس.

كذلك قد يعود الابن بعد علاجه من الإدمان ليجد الصراع بين الوالدين.

وهل سيحاول الأب أن يستميل الابن خلال صراعه مع الأم؟! أم هل تحاول الأم ضم ابنها للهجوم على الوالد؟ وهل يستمر النزاع بين الأب والأم ومحاولة كل منهما لإلقاء اللوم على الآخر بأنه السبب فى إدمان الابن؟

وقد يحدث الخطأ الكبير الذى يجذب المدمن إلى النكسة؛ عندما يحاول.الأب أو الأم رشوة الابن من أجل اكتساب محبته وتأييده. كذلك عندما يشعر المدمن عندما يخرج من المستشفى أن الكل يؤكد عدم صدق امتناعه عن الإدمان فهم يقولون: لقد صدقناه كثيراً من قبل واستمر فى الإدمان، وعلى هذا لن نصدق فى هذه المرة أنه قد امتنع بالفعل عن تعاطى المادة المخدرة.

إنهم يتابعون تصرفاته بمبالغة كبيرة، فإذا نام كثيراً؛ فلا بد أن السبب فى ذلك هو عودته إلى الإدمان، وإذا نسى حلاقة ذقنه؛ فهذه بداية الانحدار إلى هاوية الإدمان مرة أخرى.

وتتابع المضايقات؛ فهم يطالبونه بالبقاء بينهم دائماً، بل ويتدخلون فى حياته الخاصة جداً، ويطالبونه بالاستحمام أو حلاقة الذقن، أو حتى قراءة الجرائد.

وهكذا يشعر المدمن العائد من العلاج بحالة من الترقب والخوف والإحساس بالذنب والفشل؛ بحيث يجد أنه يعيش فى صراع شديد، ولا يستطيع التكيف أو التأقلم، ومن هنا يجد نفسه عائداً إلى نشوته السابقة وبذلك تحدث النكسة.

وعلى هذا يجب على الطبيب المعالج توجيه الأسرة إلى الأسلوب الأمثل لمعاملة الابن لاستقطابه حتى لا يشعر بالاغتراب، أو بأنه منبوذ، وهو إحساس إحباطى يؤدى إلى نكسة المدمن.

كذلك يجب أن يكون فى جو الأسرة القدوة المناسبة حتى لو أدى ذلك إلى ظهور الأب أو الأم بمظهر غير حقيقى أمام الابن.

الإيمان: فيجب إرشاده وتعزيز إيمانه.

كل العوامل السابقة تلعب دوراً كبيراً فى حدوث النكسة، ثم يأتى دور المجتمع فى علاج النكسة. فمن الضرورى أن تتواجد هذه الوحدات المسئولة عن علاج الإدمان والتى لا تجعل المدمن يشعر بالخجل، وأنه منبوذ وخريج مستشفى للأمراض العقلية.

فمن الضرورى أن يجد الملاذ والملجأ الذى يلجأ إليه عند الشدة أو عند اللزوم. إن الإدمان مرض، ولكن كيف يكون الموقف إذا رفض المريض العلاج؟

إنه هنا يجب أن يشعر بضرورة العلاج، ولن يكون ذلك إلا إذا أحس بازدراء الجميع بحيث يشعر فى النهاية بالذنب.. والحاجة إلى العلاج. إذا حدث ذلك يمكن هنا أن نعامله كمريض.

فوجود قدوة حسنة فى الأسرة هو عامل قوى فى تقويم الشخصية حتى تلتزم وتتحمل المسئولية وتبتعد عن الإدمان. ولا يجب أن ننسى هنا الدور القوى الذى يلعبه الإيمان.

فإذا كان الإيمان بالدين قوياً فمن الضرورى أن يتذكر الجميع الحديث الشريف: «وكل مسكر خمر، وكل خمر حرام».

من الضرورى أن يعرف الجميع أن الحشيش أو الخمر أو الأفيون أو أى نوع آخر من أنواع المخدرات يذهب بعقل الإنسان ويخل بإدراكه. فقشرة المخ تذوب وتختل تحت تأثير هذه المخدرات.

وإن قشرة المخ هى المسئولة وهى الرقيب على الشهوات الحيوانية. وإن قشرة المخ هى الرقيب على سلوكنا الاجتماعى. وإنها الضمير. فإذا ذابت يمكن أن نتخيل ما يمكن أن يحدث.

فإذا كان المدمن عنده الرغبة فى الشفاء والإيمان بالله فمن الضرورى تقوية هذا. وفى نفس الوقت يجب أن يبحث المجتمع عن هذه الأسباب التى تدفع الشباب إلى الإدمان كمحاولة للهروب من الواقع، والاتجاه إلى الخيال والاغتراب بالمخدرات.

فهو لا يجد الأمل.

ولا يجد المستقبل.

ولا يجد الفرصة المناسبة للتفوق.

ومن هنا يجب أن يعطى المجتمع الأمل للشباب.

وأن يعطيه الانتماء.

وأن يقوى إيمانه بالله وبوطنه وبذاته.

ومن الضرورى أن نتذكر حقيقة هامة:

كلما كان علاج المدمن بعيداً عن المجتمع، كان احتمال النكسة أكثر، والعلاج أقل فاعلية.

فالقرار هنا ليس قراراً طبيًّا فقط، ولكنه قرار سياسى اقتصادى.. اجتماعى طبى أيضاً.

الباب السابع

مجموعة رسائل

إلى ابنى وابنتي

- رسالة إلى ابنتي

١- (الحب الحقيقي)

٢- الحب بالشات والتليفون

٣- الزواج العرفى

٤- من تتزوجين؟

٥- لا تكونى تافهة

- رسالة إلى ابنى:

١- من تتزوج؟

٢- أم العيال حاجة تانية

رســـــالة إلى ابنتى

[١] الحب الحقيقي

مقدمة: نصيحة جوهرية

ماذا يريد الآخر مني؟

١- حوار مع ابنتى:

- هل كل واحدة لازم يكون لها صاحب تحبه؟
- الهدف من الحب عند البنات:
  - الإحساس بالسعادة
  - التعرف تمهيداً للزواج
  - المهم تجنب الحرام

٢- تجربة الحب فى الكلية.. احنا ابتدينا غلط.

٣- لماذا بدون علم أهلك؟

٤- لماذا لا يأتى أهله؟

٥- صورة الحب الحقيقى.

٦- عرض حالة (١) أغلقى السماعة فى وجهه.

عرض حالة (٢) الفراغ والحب.

رسالة إلى ابنتي

الحب الحقيقـــي

مقدمة:

ابنتى الحبيبة:

لا أدرى من أين أبدأ؟ فالحديث إليك طويل ومتشعب، ولكنى على بينة أنه لا بد من الحوار، والآن وليس غداً فالخطر كبير وأنت غافلة عما يراد بك ويدبر من أجل هدف محدد؛ هو تحويلك إلى نسخة وببغاء تقلدين آخرين، وتحويلك أيضاً إلى سلعة تباع وتشترى، حتى يتحقق المراد وهو إبعادك عن هويتك وتقاليدك وعاداتك ودينك كامرأة شرقية متماسكة لها كيان متميز ورسالة محددة وعندها موانع داخلية تمنعها من أفعال محددة فانتبهى.. انتبهى.. انتبهى.

نصيحة جوهرية:

نقطة أولى ونصيحة جوهرية: عندما يتحدث إليك شخص ما، أو تخاطبك إذاعة ما، أو تشاهدين برنامجاً تليفزيونياً عن النساء أو تقرئين مقالة فى كتاب أو صحيفة:

فليقفز إلى ذهنك سؤال: ماذا يريد من وراء خطابه هذا؟ ماذا يريد أن أفعله أو أفكر فيه؟ فقد اتفق جميع دارسى وخبراء الإعلام على أن الإعلام عبارة عن رسالة موجهة يراد به إحداث تغير معين فى تفكير وسلوك الشخص المخاطب، لا تأخذى الكلام الموجه إليك بسطحية، ولا تتفاعلى معه إلا إذا أجبت عن السؤال، ماذا يريدون مني؟

إن التغيير الذى يريدونه صفته الأساسية أنه تدريجى بطيء، وتستخدم فيه جميع المشوقات والمغريات السمعية والبصرية.

حتى البرامج الدينية يعرضونها فى الإطار الذى يريدونه والمسائل التى يحددونها فقط لا غير وإلا فلا.

ممنوع الكلام عن:
- الاختلاط
- الحجاب
- علاقتى بأبي

مباح:
- الحيض والنفاس
- الطهارة
- الوضوء

وأنا أريد منك شيئاً؛ فقط أريد أن تنتبهى حتى لا تندمى حين لا ينفع الندم، حتى لا تتورطى وتورطى أهلك معك، فلن ينفعك أحد ولن يساعدك أحد من دعاة الاختلاط والسفور، وسيتركونكِ فريسة للضياع والقلق ولا تلومى إلا نفسكَ «وعلى نفسها جنت براقش» حين دلت الأعداء على مكانها فهجموا عليها ونهبوها.

القضية الأولى: الحب:

جاءتنى ابنتى وألقت القنبلة.

البنات يا بابا بيتكلموا كتير عن الحب، وإن كل واحدة لازم يكون لها صاحب وبيتفاخروا بكده، وكل واحدة عايزة تورى حبيبها للبنات وتغيظهم، واللى ملهاش حبيب تبقى معقدة ومتخلفة ومكبوتة، وإنهم عايشين فى سعادة؛ لأن كل الأفلام والمسلسلات والأغانى هم عايشين فيها، حتى عذاب الحب له أغانى، وإن الأحسن تعمل كده من وراء أهلها والناظرة والمدرسات علشان تتجنب المشاكل، ولما المجتمع يتطور ويتحضر الحاجات دى هاتبقى عادية لما نقضى على التخلف والرجعية.

هكذا!.. وتماسكت بصعوبة.. وسألتها: أنت رأيك إيه؟

أجابت أنا مش مقتنعة بالكلام ده.. لكن مش عارفة أرد، والبنات المحترمة كمان مش عارفين، وكل شوية واحدة تنجر ودلوقت بيدونا تليفونات لشباب عايزنا نكلمهم، ولما هددناهم هانقول للمشرفة اتلموا وأخذوا يرموننا بالكلام وبحركات سخيفة هدفها الاستهزاء والسخرية.

وأدركت لحظتها أهمية الحوار بل وضرورته فى المراهقة بالذات، وحمدت الله

على نعمة الانتباه للأولاد والجلوس معهم، وأقول لكل أب وأم:

كبر ودانك حتى تصل إلى السقف.

اسمع أكثر من أن تلقى الأوامر.

أقل فائدة أنك ستعرف ما يجول بنفس ابنك.

وفائدة أخرى التحدث عن المشكلة ووصفها جزء من علاجها.

إن كنت بتتعب علشان تجيب فلوس ما تتعب أيضاً علشان يخرجوا للحياة أسوياء، لو معاهم فلوس وهم منحرفون يبقى أنت خسرت فلوسك وأولادك. تحمل سخافاتهم وتفاهاتهم فمن غيرك لهم؟!

- لن ينضجوا أبدا طالما هم جالسون مع بعضهم ويعلمون بعضهم.

أهم ما يريدونه الآن هو فكرة صحيحة عن الحياة والناس والمجتمع حتى يتفاعلوا بطريقة صحيحة تجنبهم المتاعب.

ونقطة أخرى كنت غافلا عنها:

لا بد من حقن مناعة، وهي عبارة عن دراسة للأفكار والتصرفات الخاطئة المحتمل أن يواجهها الابن، والتنبيه عليها وشرحها وتوضيح سلبياتها وإيجابياتها، قبل أن يقع فيها ولنكن صرحاء.. ولنكن أقوياء وواضحين..

وهذه النقطة موجهة لمن أراد أن يهتم بأولاده، ويتعب معهم، فإن لم تكن من هذا النوع، فالله تعالى أرحم بالعبد من الوالدة بولدها، ولا تلُمْ أبناءك إذا تركوك بعد ذلك ورحلوا لأنك تركتهم من قبل.

ولنعد إلى ابنتي:

إيه الهدف من إنك تمشي مع واحد؟ أو البنات بيقولوا إيه؟

١- الإحساس بالسعادة من الارتباط بصورة بريئة مع شخص من الجنس الآخر.. فهذه طبيعة الأمور.

٢- قضاء الوقت فى شيء جديد ومسلٍ بدلا من الأعمال الروتينية والمذاكرة.

٣- التعرف على الشخص تمهيدا للارتباط به بصورة رسمية، نفهم بعض ونحس ببعض.

٤- الزواج: وهو حلم كل بنت وسوق الجواز واقف وأخيراً لقينا عريس.

٥- هو حرام إنى أتكلم مع راجل؟

٦- لماذا الخوف من الجنس الآخر؟ فأنا قادرة على التفاعل مع إخوتى وأبويا وأعرف أحمى نفسى.

تقريبا هذه معظم ردود البنات المحترمة، أما الأخريات فهذا ليس مجال الحوار معهن ولهن وقفة أخرى وليتركن قراءة المقال فهو لن ينفعهن أبداً بل سيزيدهن عناداً.

تعالى يا ابنتى نشوف النقاط دى، لكن قبلها ها أحكى لك حكاية حصلت فى الكلية.

لقد رصدت عشر حالات من الحب الأفلاطونى، ابتدأت من سنة ثانية وانتهت فى الامتياز [على فكرة هم أكثر من كده لكنى ظروفى ساعدتنى فى تتبع دول] طالعين نازلين مع بعض، قاعدين وسط الناس وكأنهم مش قاعدين، فى المكتبة يذاكروا سوا بالساعات، فى الكافتيريا يضحكوا ويهزروا بالساعات.

ورسخت فى أذهان الصبيان كلمة [البت دى بتاعة فلان] معلقها ومحوط عليها وكذا واحد حاول يخطفها منه؛ لأنها حلوة لكن باين عليها معشمها بالجواز علشان كده هى لاصقة له.

ولصقت عند البنات كلمة بتحب فلان، لايقين لبعض، برافو عليها، عريس لقطة.

فى سنة رابعة انتهت الرحلة الجميلة وبدأت المطالبة بالارتباط من قبل البنات وجاءت الردود:

- مشيتى معايا تمشى مع غيرى.
- صحابى قالوا لى: ما تتجوزش اللى مشيت معاها.
- أنا كنت باتسلى وأقضى وقت سعيد فقط لا غير، خلينا زمايل أحسن.
- أهلى مش موافقين دلوقت بيقولوا لما تتخرج.
- مستوانا الاجتماعى غير متقارب.
- أنت ما بتحبنيش، دايماً صدانى لما أحاول المسك أو أتقرب إليك، وجاية تقولى نتجوز؟
- هانجيب فلوس نتجوز منين؟ الفلوس يا دوب على قد الخروجات والرحلات خلينا كده أحسن لحد ما ربنا يفرجها.
- اقفلى الموضوع ده لما نتخرج، المذاكرة أهم.
- أنا اكتشفت بعد ما عرفتك أن احنا منصلحش لبعض.
- إيه رأيك فى الزواج العرفى مؤقتاً، وأوعدك لما الظروف تتحسن أعمل لك فرح محصلش [سأرد عليها بعدين] وده أمر حلال الدين أقره.

وهكـــذا:

وقعت البنات فى حيص بيص، وتوالى البكاء والانهيار، ووصل الأمر للشد والجذب أمام بقية الطلاب الذين كانوا بين صامت شمتان يحمد الله على أنه لم ينجر لهذا الموقف، وصامت مشفق يرى أن هذا جزاء التحرر والخروج عن التقاليد، وصامتة شمتانة تقول: أحسن أنا كان نفسى فيه، الحمد لله اللى انزاحت وأحاول أنا معاه.

وصامتة مشفقة تتعاطف مع من تبكى ككل الشعب المصرى..

وصامتة معقدة تقول: صدقت أمى «يا مآمنة للرجال يا مآمنة للميا فى الغربال»..

وصامتة واعية بالموقف ترى أنها أخطأت وانجرفت ولا بد من مساعدتها..

هكذا.. الكل صامتون.. وهى وحدها المنكوبة..

أربعة منهن كن معى فى المراجعات ومناظرة الحالات سمعت منهن:

أنانى.. ندل.. عيل.. سمعتى راحت.. لن يقبل أحد بى وسأصبح عانساً.. ده بُق ولسان. أول ما دخلنا جد هرب.. اتمتع بالجلوس والخروج معايا، وأنا طلعت من الموضوع بكوبيات الشاى وأزايز البيبسى.. أعمل إيه أكثر من كده.. رفضت ناس كتير اتقدموا لى بسببه وهو عارف، هكذا وببساطة تتكلم معى عن تجربتها رغم أن علاقتى بها سطحية جدا؟

وتوالت ردود الأفعال من الطرفين، ومحاولة التكيف مع الصدمة الجديدة.

ثلاث قصص انتهت وتحولت صواحبتهن إلى متسولات يتسولن عريساً آخر! وفعلن أفعالاً تخجل منها أى امرأة فقدت حياءها، وإن كانت من الطبقة الدنيا.. مزيد من التعرى، مزيد من الهستريا فى الحركات، مزيد من محاولة جذب الآخرين، تدهور تام فى المتابعة والحضور والاستذكار.

وحالتان تركتا الكلية إلى جامعة أخرى كمكان جديد وشخصية جديدة، وأيضا فرصة أخرى فى مكان لم تتلوث فيه السمعة.

وما بال الخمس الباقيات:

تزوجن.. ومهلاً يا ابنتى فللأمر بقية.. جلسات فض اشتباك بالساعات والليالى وسمعت كلمات غريبة من الطرفين..

- الحب ده وهم.. أنا كفرت بالحب..
- أنا اكتشفت أنى كنت مش عارفها أبداً.. دى إنسانة تانية..
- كنا بنكدب على بعض فى الكافتيريا وعايشين فى الدور..
- دى إنسانة تافهة جداً وأهم حاجة عندها المنظرة..
- ده إنسان أنانى ولا يفكر إلا فى نفسه، وأنا بالنسبة له متاع فقط.. مش

حاسس بكياني..

- مش قادر يتحمل مسئولية البيت، طبعاً ما هو عايش فى الكافتريا ومش عارف يعنى إيه راجل..
- كنت باحتقر أبويا.. وياريته ربعه..
- المعرفة الحقيقية وفهم الآخر لا يمكن أن تبدأ فى الجنينة والكافتريا، ولا تبدأ إلا عندما يغلق علينا باب واحد..
- تعرف فلان؟ نعم، عاشرته؟ لا. تبقى ما تعرفوش..
- البيوت تنبنى على الرحمة والشفقة أكتر من الحب..

وتمت حالتا طلاق بطفل.. وثلاث حالات تموج كموج البحر.. مد شديد وجزر أشد. مع كلمة تكرر [احنا ابتدينا غلط]..

هذا يا ابنتى فى مرحلة الجامعة، حيث النضج أكبر، وإن كان ما زال ضعيفاً، وحيث الأمل فى الارتباط أكثر.

أما إعدادى وثانوى، فالمشوار أطول وأبعد، والعواطف حتماً غير معبرة عن الحقيقة [فالخيال والأفلام والأغاني] تضيف إلى الحب ما ليس فيه، وما هو أبعد بكثير عن الحقيقة، وعمره وعمرها لو جمعناهما معا لما كان يكفى للحكم الصحيح الحقيقى على الأمور وخاصة إن كانت: تتعلق بمستقبلك، أو تمس سمعتك وكرامتك بطريقة مباشرة، وأنتم فى الفصل حينما تتحدثون عن الحب تماماً كما يحكى إنسان عن مسرحية دخلها فى الفصل الأول ثم خرج ولم يعرف ماذا حدث فى الفصل الثانى والثالث ثم تعالى إلى واصدقينى..

ماذا تنتظرين من أمر تفعلينه بعيدًا عن أهلك المشفقين عليك، الخائفين على مستقبلك وسمعتك، وأنت بعواطفك الجياشة وخبرتك المحدودة يتوارى عقلك إلى غيابات الجب؟؟

هل تحت ضغط إحساسك بالسعادة ورغبة قضاء الوقت فى شيء جديد تضعين

سمعتك ومستقبلك وشرفك فى مهب الريح يعبث بهم أى عابر.

ماذا تنتظرين من حبيبك الوسيم الجميل الذى يتصف بالآتى:

- ضعف الإمكانيات المادية التى تجعل زواجكما فى حكم المستحيل.
- ضعف الخبرة بالحياة مما يجعل من الصعب جدا أن يقود سفينة البيت ويصمد للصعاب.
- الزواج أسرة تدخل فى أسرة، وليس شخصاً يرتبط بشخص، فلن يترك أحد ابنته أو ابنه يغرق ولا يتدخل، فنحن أناس شرقيون متدينون تواصينا برعاية الأبناء وصلة الرحم فهل تعرفين أهله؟ أمه التى ستصبح حماتك؟ أبوه الذى سيصبح حماك؟ أخته؟
- صوت المرأة ليس بعورة والكلام مع الرجال فيما فيه مصلحة ومنفعة، غير الحب والجنس، لا حرج فيه أبداً.. بل قد يصل لواجب يأثم تاركه إذا ترتبت مفاسد على عدم التكلم.
- الحب عاطفة نبيلة محترمة حلال إن لم تدخلها محظورات شرعية: ولكن أين مصلحتك وسمعتك؟

إلى أين سينتهى المطاف؟

قد يكون الطرف الثانى صادقاً فيما يقول، وهذا قليل، ولكنه غير قادر أبداً على تحقيق أمانيك وطموحاتك.. يبقى قلته أحسن.

وحدث وجوم شديد وصمت بعد أن أنهيت حوارى، وما لبث أن انطلقت المجادلة الودود، وهى تعرف نفسها، طيب نقول إيه للبنات؟

برافو أنت منتظر السؤال ده.. أعلنيها واضحة صريحة:

لن أرتكب محظورات شرعية مع أى إنسان وإن كنت أحبه..

- لماذا لا أستشير أهلى وأخبرهم بما حدث، وأنا لا أشك أبدا فيهم وفى

شفقتهم وحبهم لي؟

- لماذا لاَ يأتى بأهله إلى أهل ويخطبني؟
- لن أغامر بسمعتى وشرفى.
- هناك أمور أخرى كثيرة مسلية ولذيذة غير الخروج مع شاب أجنبى عنى.
- مصلحتى ومستقبلى فى خطر، ولازم أعمل حسابهما ولو على حساب عواطفى.
- هو عايز منى إيه؟ جواز يتفضل على بابا.
- غير كده خليه يروح يتسلى بأشياء أخرى غيرى. أنا لست لب أو سودانى.
- الحب الحقيقى بالعشرة بعد الجواز.. الحب الحقيقى تضحية وإيثار من أجل الآخر.
- إيه الواد الهايف اللى بيجرى ورا البنات؟ يروح يذاكر أو يشتغل أحسن له وأنفع.
- هو جايب فلوس الخروج من مصروفه، وواخد فلوس الدرس وعامل بيها قُمْع.
- لن أسلم قلبى إلا لمن يستحقه، ولو أصبحت عانس، مش مهم، عواطفى أغلى كتير قوى من أن ابتذلها وأعرضها للبيع فى الطريق.

ثم اندفعت صغيرتى اليافعة.. طيب اللى تورطت ماذا تفعل؟ فأجبتها وأنا واثق من الإجابة: بتسألى ليه؟

فأجابتنى بثبات وثقة: أسأل عن الشر مخافة أن يدركنى، ومعايا واحدة فى الفصل كده.

عليها تدارك الموقف بسرعة:

إما تتقدم لخطبتى وإلا فلست لعبة ولن أضع نفسى أمام احتمالات قد تعصف بى..

ولا تتهاون فى هذا.. ولا تستجيب للتسويف.. وعليها أن تضع عقلها موضع الاعتبار، ولا تستجيب لطيشها، فإن أصر فعليها أن تخبر أهلها..

ثم جاءت المشاغبة: أنا قلت الكلام ده للبنات والحمد لله انتصرنا واتعقدوا من الحب وخافوا منه..

لا يا بنتى انتوا فهمتوا قصدى غلط فمازالت أكرر عليك..

الحب عاطفة نبيلة محترمة سامية ترقى بالمشاعر وتهذبها.. وإذا اتعقدت منه ستجدى صعوبة شديدة فى أن تحبى زوجك، وهذا أمر فظيع يهدم الحياة..

أنا أريد:

- حباً مع ارتباط شرعى.
- حباً مع احترام للطرف الآخر.
- حباً معه تضحية وتفانٍ.
- حباً حقيقياً وليس إعجاباً بجسد شخص أو شخصة.
- حباً حقيقيا وليس انفعالا مؤقتاً تهدمه الأيام ويحطمه الواقع. حب نابعاً من المعايشة الحقيقية لمتاعب الحياة والتغلب عليها.
- حباً يباركه الأهل والمجتمع معاً.
- حباً نابعاً من تصرف الطرف الآخر بثبات وشجاعة فى المواقف الحرجة.
- حباً لا يشعر صاحبه بخجل حينما يعلن عنه، فقد سألوا النبى ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: **عائشة**. قالوا: فمن الرجال؟ قال: **أبوها** ويقول وعن خديجة: **رزقت حبها**.
- حباً يقدم فيه الإنسان الطرف الآخر على نفسه.
- حباً بدون مصالح مشروط تحقيقها.

وإلا فلا.

نموذج حالة

مشكلة شابة لا يريد حبيبها أن يتزوجها

مشكلتى أننى أحببت شاباً منذ كان عمرى ١٦ عاماً، وهو أيضا أحبنى، واستمرت علاقتنا إلى ١/ ١/ ٢٠٠١ وكنت مخلصة له وهو كذلك، ولكن المشكلة الوحيدة بيننا أن أهله لا يريدوننى زوجة له، ولا أعرف السبب، ودائماً كانت تحدث بيننا مشاكل بخصوص هذا الموضوع، وكان يقول لى: سوف أعمل المستحيل لأكون له وأنه لن يتركنى أبداً.

المشكلة:

ولكن فى الفترة الأخيرة أصبح يعاملنى بكل برود، ودائماً يقلل من شأن تعليمى، ويزعم أننى لا أفهم شيئاً، مع العلم أنه غير مثقف وليست لديه أى مؤهلات علمية.

وقررت فى النهاية أن أضع حدا لهذا الموضوع، فقد قررت إنهاء العلاقة وبالفعل قلت له: هذا الكلام عن طريق الهاتف، فأغلق السماعة فى وجهى، وإلى الآن لم يتكلم معي.

ماذا أفعل؟ هل هو مجرد تعود أو حب؟ لا أعرف.؟ أرجو أن أعرف ماذا يجب أن أفعل؟

الحـــل:

الأخت الفاضلة: يبدو من رسالتك أن عمرك الآن ستة وعشرون عاماً على الأقل، أى أنك تسألين بعد عشر سنوات من العلاقة مع هذا الشاب. هل كان حباً أم تعوداً؟ هل تعتقدين أن هذا هو السؤال الصحيح الذى يجب أن تسأليه فى هذا الموقف؟ وهل سيختلف الأمر إذا كان حباً أو تعوداً فى شخص كائناً من كان،

يعاملك ببرود منذ فترة ويحبطك، يقلل من شأنك، ويكون فى رد فعله على طلب قطع العلاقة هو إغلاق سماعة التليفون فى وجهك فى رد عملى لهذا الطلب؟

إنه يعلن أنه يغلق ملف هذه العلاقة.

فهل تتغاضين عن كل ذلك إذا كانت هذه العلاقة حبًّا؟ وهل هناك حب بدون احترام بين الطرفين؟ وإذا كانت العلاقة فى مرحلة الحب قد وصلت إلى هذا البرود وعدم الاحترام بين الطرفين، فكيف ستتطور إذا كتب لها أن تنتقل إلى الزواج بمسئولياته ومشاقه؟

إنك حين قررت أن تضعى حداً لهذه العلاقة ورفعت سماعة التليفون لتبليغه بقرارك، كانت لك مبرراتك المنطقية التى جعلتك تتخذين هذا القرار، وتشرعين فى تنفيذه، فلم ترددك الآن؟ ولماذا تحاولين أن تبحثى لنفسك عن مبررات للعودة بوضع أسئلة لا معنى لها؟

ومع ذلك، فإننا لن نترك النقطة التى تحيرك بدون أن نوضحها لك، ونقول: إنه بالرغم من طول العلاقة فيمكن ألا تكون حباً، خاصة أن العلاقة بدأت وأنت فى السادسة عشرة، (سن المراهقة)، حيث يكون التفكير غير التفكير، والعاطفة غير العاطفة، وعندما ينضج الإنسان ويمر بخبرات الحياة لربما نظر فيما اعتبره حباً، وتعجب: كيف لهذه العلاقة أن تقوم؟! ويبدو أن هذا ما حدث معك وجعلك تتخذين قرارك بالانفصال.

فتذكرى مبرراتك ولا تتراجعى، وساعدى نفسك على إغلاق هذه الصفحة بحيث تعطين نفسك الفرصة من أجل ارتباط جديد عقلانى وأنت فى سن النضج.

نموذج حالة

الفـــراغ والحـــب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ادعو الله القدير أن أجد حلاً تتحسن به حالتى إلى الأفضل، ولكم جزيل الشكر، ومشكلتى هى أننى أعانى من الفراغ الكبير والكبير جداً جداً، وذلك بعد انتقالى وأهلى من مدينة إلى مدينة أخرى، وقد عانيت كثيراً من المدرسة التى كنت فيها، ولم أستطع أن أكوّن أى صداقة لشغل وقت فراغى على الأقل، وأعترف أننى سبب ذلك، فأنا أكره التغير فى نمط حياتى، وكذلك أريد أن أجد صديقة تدفعنى إلى التقرب إلى الله، وهذا شيء يصعب الحصول عليه فى زماننا هذا، وقد تفاقمت مشكلتى أكثر وأحسست بفراغ أكبر عندما تزوجت أختى التى كنت أقضى معها أغلب وقتى، وقبل فترة قصيرة تزوجت قريبتى التى كنت معها كثيراً بعدما تزوجت أختى، فأصبحت فى حالة فراغ لا تطاق، وفى تلك الفترة تعرفت على شاب وجدت فيه أغلب الصفات التى طالما تمنيتها فى شريك حياتى، وأعترف أنه قد غيَّر فى نفسى الكثير والكثير، وجعل إيمانى أقوى حيث كنا دوماً نعين بعضنا على الخير والابتعاد عن المعاصى، ودوماً نتخيل حياتنا إذا تزوجنا فإنه سيغلب عليها الطابع الدينى، وأن نتقى الله فى بعضنا، وأن ندخل الجنة معاً بإذن الله، واستمرت علاقتنا قرابة سنة، ولكننا تيقنا أن علاقتنا هذه لا ترضى الله عز وجل، ولن يوفقنا الله لبعضنا إذا واصلنا هذا الطريق، خاصة أننا غير مستعدين للزواج الآن؛ لأنه لم يكمل دراسته بعد، ولن يستطيع التقدم لخطبتى قبل أربع سنوات. المهم قطعنا علاقتنا، ولكننى تعذبت كثيراً لذلك، حيث كان الشمعة التى تضيء حياتى، والأمل الذى تعلقت به، ولكننى أقنعت نفسى بالرغم من كل هذه الأحاسيس، وكونى أعانى من الفراغ الكبير أن هذا لا يعطينى الحق؛ لأن أتحدث مع شاب لم يربطنى به عقد شرعى، ولا أخفى عليكم «أنا اللى مرتاحة»؛ لأننى تركت أغلى شيء ملكته لأجل الله عز وجل، ومتيقنة تماما أن الله سيعوضنى خيراً كثيرا لأننى رجعت كما كنت الفتاة الطاهرة النقية.

ولكننى الآن فى حالة غريبة وهى أننى أصبحت لا أستمتع بأى شيء فى هذه الحياة، وأصبح شاغلى الوحيد أننى أخاف أن ألقى الله عز وجل وأنا مليئة بالذنوب والمعاصى، وفي الوقت نفسه أشعر.أننى متكاسلة عن شغل وقت فراغى بعبادة الله وذكره، وأحياناً أخاف أن يكون كرهى وعدم استمتاعى بشيء فى هذه الدنيا قنوطاً ويأساً من رحمة الله، وكثيراً ما أتذكر ذلك الشاب وأشعر باحتياجى الشديد له، وقد اتصلت به بعدما قطعنا علاقتنا مرتين واكتشفت أنه ولله الحمد استطاع أن يتغلب على كل وساوس الشيطان وهو يمارس حياته بطريقة طبيعية، وقد وجد الصداقة التى تحثه على الخير، إننى سعيدة للغاية إلى ما وصل إليه، ولكننى أتمنى أن أكون مثله، وارى أن حياتى أصبحت من سيئ لأسوأ، حيث كانت لدى هوايات منها الرسم لكننى الآن أقول: وما الفائدة؟ وليست لدى الرغبة أساساً، وقد نقص وزنى خلال هذه الفترة، ولم يقتصر ذلك على هواياتى فحسب إنما تعداه كثيراً إلى أشياء أخرى.

وأصبحت لا أريد شراء أى شيء من ملابس وغيرها، وكذلك أجاهد نفسى كثيرا فى الدراسة، وأدعو الله أن يقف معى لكى لا أرسب (مع العلم أننى فى السابق كنت مجتهدة، وأنال درجات جيدة)، أما الآن فيهمنى النجاح فقط، وأفكر مثلاً ماذا سيحدث بعد أربع أو خمس سنوات، وهل سيموت أحد من عائلتى أم لا؟ هذا التفكير يسبب لى الحزن والألم الشديدين، لقد تحدثت مع ذلك الشاب فى آخر مرة كلمته فيها عن مواضيع تخص حياتنا، وحدثته عن بعض مخاوفى من أننى قد لا أرتاح مع أهله، وقد صارحنى كذلك أن لديه مخاوفى نفسها من أهله تجاه أهلى، فقال لى: ربنا سيختار لنا الخير، وطلب منى أن أصلى صلاة استخارة فيه مرة أخرى، وأخبرنى أنه سيصلى كذلك هذه الصلاة، وقال لى: إنه إذا أحس بضيق وعدم انشراح فإنه سيخبرنى بكل صراحة، والآن أصبحت خائفة أكثر، وأحسست بالوحدة ثانية بعدما نسيتها منذ تعرفت عليه، وعندما سألته: متى سيخبرنى بذلك؟ أخبرنى أنه لا يعلم، كثيراً ما أتمنى الموت، ولكن أقول: ما الفائدة؟ أنا الآن فى فرصة كبيرة لكى أتوب إلى الله قبل أن يأتى الأجل المحتوم، أدعو الله عز وجل أن أجد حلاً يعيننى ويساعدنى، ولكم أسفى على طول مشكلتى ولكم الشكر.

الحـــل:

الأخت الكريمة، فى هذه الفترة التى تمرين بها من حياتك (فترة المراهقة) يبدأ الإنسان فى البحث لنفسه عن دور وعن هدف فى هذه الحياة، بعد أن كان يعتمد إلى حد كبير على الأبوين فى تحديد طريقة تفكيره وأهدافه، وتسمى هذه الفترة فى علم النفس باسم: «أزمة تحديد الهوية» والبحث عن الدور.

وعادة ما تمر هذه الفترة بسلام خاصة إذا وجد الإنسان من يعينه على اجتيازها ويتوسم فيه المثل العليا، وقد يحدث الاضطراب إذا لم يتوافر ذلك.

الأخت الكريمة، هناك سبب واحد لكل ما تشعرين به من إحساس بالضيق وضعف فى الهمة وعدم الانشراح وعدم الشعور بالمتعة والرغبة فى هذه الحياة ألا وهو: ضعف الأمل أو انعدامه.

وهذا قد يكون أمراً وقتياً ناتجاً من هذه التجربة التى مررت بها، والحمد لله أنك أفقت منها سريعاً، وآثرت الاحتكام إلى العقل بعيداً عن الهوى، فقلت بذلك الآلام والخسائر عند قطع هذه العلاقة، ولو استمرت هذه الأعراض لفترة تزيد عن الشهر لكانت شديدة فهى بذلك تعتبر من أعراض مرض الاكتئاب، ويحتاج علاجها إلى استشارة طبيب نفسى، لوصف العلاج النفسى والدوائى المناسب وعلاجها سهل وميسور بإذن الله.

الأخت الكريمة، (الفراغ) فى هذه الفترة من العمر هو عدوك الأول، وقديماً قيل فى الأثر، «نفسك، نفسك، إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل».

رسالة إلى ابنتي

[٢] الحب بالتليفون – الحب بالشات

مقدمة

الأمر أصبح منتشراً

حقائق حول هذه الظاهرة:

الفراغ الهائل

التكرارية والروتينية

الخيال

مقتطفات من رسالة:

هو صادق لأنه حلف بالله أنه صادق

هل الحب الإلكترونى بديل عن العلاقة الحية

ابنتى.. احترمى نفسك

عرض حالة (١)

عرض حالة (٢)

الحب بالتليفون – الحب بالشات

كنت أحسبها حماقة عابرة من حماقات المراهقين أو موضة جديدة تأخذ وقتها ثم بعد ذلك:

- تأتى موضة أحدث تغطى عليها.
- أو يكبر الشخص وينضج ويترك.

ولكنى صدمت بأمرين:

الأول: سعة انتشار الأمر.

الثانى: كثرة الذين صدقوا الحكاية؛ وذلك من خلال متابعاتى على الإنترنت فى موقع «إسلام أون لاين.نت» فمن خلال حوار على التليفون أو مراسلات مكتوبة تنشأ قصة حب، هكذا بدون أى لقاء أو حساب للموقف، ثم عرفت أن فى كل تجمع نسائى تقريباً، إلا المتدينات، توزع فيه التليفونات مجانا. وفى الإشارات فى الطريق العامة يلقيها الشاب أمام الشابات أو يضعها فى أيديهن، وهناك مجموعة من الحقائق تخص هذا الأمر:

- الطرفان يعانيان من فراغ هائل، ويجاهد كل منهما ملئه وبأى طريقة، وليت الأمر يقف عند ذلك الحد.
- الطرفان فى حياتهما تكرارية وروتينية دفعت إلى الملل، فحياة كل منهما خالية من نشاطات اجتماعية، ولا يوجد احتواء للطاقة، وفى هذا الموقف فإن النفس تتعلق بتجربة أى شيء جديد.
- كلاهما أضاف من خياله مساحة تقدر بفدان زيادة على قيراط الحقيقة الوحيد وهو سماع صوت الطرف الآخر.

ولقد وصلت رسائل غريبة؛ فإما أن أصحابها يضحكون على أنفسهم أو أنهم

يكذبون على من يرسلون إليه.

تقول إحداهن والكلام بالنص لصاحبته:

أحب حباً حقيقياً فهو صادق؛ لأنه يحلف بالله أنه صادق فيما يقول، وهو ثقة لأنه لا يتصل بى بدون أن يعلمنى، وهو يحبنى لأنه طلب عنوان صندوق بريدى وهاتفى لكى يسمع صوتى ويرسل لى هدية، وأيضا استمر فى الإلحاح علىَّ رغم رفضى.

الله أكبر.. إلى هذا الحد تخدع النفس صاحبها، وتزين له الباطل والوهم على أنه حقيقة كالشمس فى رابعة النهار..

الله أكبر.. على المقدمات التى تؤدى إلى نتائج غير مرتبطة بها، وقد أجبت عليها:

ابنتى:

- إما إنه مثلك يعيش فى خياله.
- وإما أنه يتسلى بوقته.
- وإما أنه يستدرجك، وقضية مشهورة فى لندن فى التسعينات: لونا الفتاة البريئة التى هربت من منزلها مع حبيب الشات ثم اكتشفت أنها خدعة، وفى الاحتمالات الثلاثة أنت الخاسرة وهو لم يخسر، إن ما حدث بينكما على التحديد حب بالسماع، كل طرف يحاول أن يقول أحلى ما عنده، ولا يذكر أى شيء يشينه، إنه تعارف سطحى متجمل.

وهناك سؤال أخاطب به عقلك:

١- هل يكون الترفيه الإلكترونى والصداقات الإلكترونية بديلا عن العلاقات الاجتماعية الطبيعية الحية.

٢- العلاقة غامضة والأهداف غير محددة بل مريبة.. ساعات طويلة..

ماذا تقولان؟

لو بدأتما سيرة البشرية من آدم عليه السلام حتى الآن لانتهت..

عند أصحاب المدرسة الواقعية أو العقلانية، رغم اختلافى معهم إلا أن هناك مواقف اتفاق بيننا وبينها، قولهم: إن العيش فى الواقع أفضل مهما كان مراً من العيش مع الخيال مهما كان جميلاً.

ويقولون أيضا:

إن الحب وإن كان مهماً فهو ليس كل شيء فى الحياة، إنما هو شيء وسط أشياء، وقيمة من مجموعة قيم داخل النفس.

وحينما لا يريد أى إنسان أن يتحمل مسئولياته فى الحياة؛ فإنه يلجأ إلى الانشغال عن واجباته بمعارك وهمية منها:

- التوجه اللاعقلانى نحو شخص بدون مناسبة.
- صناعة بطولات زائفة.
- أو التعلق بشيء تافه.

ابنتى: احترمى نفسك.. حين تجلسين منفردة بنفسك ماذا ستقولين لها؟

أتسلى؟ هكذا.. ومع غريب وبكلام فيه خضوع بالقول ولين، وقد تنجرين بعد ذلك..

خدعوك فقالوا حسناء   والغوانى يغرهن الثناء..

واكرر مائة مرة:

الحب الحقيقى مواقف وتضحيات وثبات مع من تحبه، ومشاركة لأزماته الحرجة؛ ولذا فهو لا يتأتى أبداً ويكمل وينضج إلا بعد معاشرة واقعية صادقة لجميع مشاعر النفس الإنسانية، بعدها فقط نستطيع أن نقول نحن نحب فعلاً أو لا نحب..

فأين أنت من هذا؟

وإن كان حب الشات جائزاً عندك فهيا تزوجى عبر الشات وعيشى الحياة عبر الشات، وأنجبى طفلاً عبر الشات. قد تكونين فاقدة للحنان والحب وباحثة عنه، وأنا أعذرك لكن هل هذا العذر يدفع ويكون مبرراً لأن تتجه كل عواطفك إلى شخص واحد لا تعريفينه وتندفعى نحو المجهول؟ كونى صاحبة عزم وإصرار، ركزى ذهنك فيما ينفعك.. ساعدى نفسك.

واعذرينى فى شدتى معك، فأنا أراك تركبين مركبة صغيرة لكى تبحرين فى المحيط..

حاولى ملء الفراغ بالعبادات.. بالهوايات والمهارات الشخصية.. بالصداقة الحية المقبولة اجتماعياً وشرعاً.. بمساعدة الآخرين.. بالاهتمام بمذاكرتك.. بتعلم الدين.. بصلة الرحم... إلخ.

هناك ألف مجال ولكنك لم تجربى.. هيا فابدئى واتركى ما تفعلينه إلى أمر آخر ينفعك ولا يضرك.

نموذج حـالة

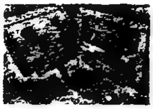

مشكلة الحب الإلكتروني

مشكلتى قصة طويلة، أنا فتاة فى العشرينيات وجميلة الشكل، ومن عائلة مسـلمة محافظة ومحترمة، والقصة التى أرويها لكم بدأت منذ ما يقرب من عام وهـى مشـكلة الحب الإلكترونى، إذا صحت تسميتها بذلك.

أحببت شاباً قابلته على الإنترنت، وكان يقطن فى أمريكـا بينمـا أعـيش أنـا فـى كندا، وكنت وقتها أبعد عن ولايته مدة ست سـاعات بالطـائرة، وبالمناسـبة هـو مـن بلدى العربى الأصلى، ولم نتقابل فى البدايـة؛ لأنـه لم يكـن بمقـدوره الحصـول علـى إجازة ولو لأيام من عمله.

والمهم لا أعرف كيف أحببته، ربما لأننى كنت أعانى من وحدة قاتلة، وأحتاج إلى من يعطينى وأعطيه مشاعر الحب التى عندى منها الكثير بالفعل مثل أية فتاة طبيعية.

تبادلنا الصور، وكان كل شيء على ما يرام، ثم تحادثنـا علـى الهـاتف مـرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع ثم مرة يومياً، وكانت بعـض المكالمـات تسـتمر لمـدة ثـلاث ساعات وأحياناً نقوم بعدها إلى الشـات عـبر الإنترنـت، وكنـا نظـن أن هـذا هـو مـا يسمونه الحب، بل كنا متأكدين ومعتقدين فى ذلـك، وتواعـدنا أن نتقابـل فـى بلـدنا الأصلى فى العطلة السنوية، ويتقدم لى رسمياً بصحبة أهله، وتتم الخطبة هناك بحضور الجميع، ومن ستة أشهر قررنا السفر إلى هناك معاً وتقابلنا فى روما لأول مرة لنكمـل السفر على الطائرة المسافرة إلى الوطن.

وكنا سعداء للغاية باللقاء، وشعرنا معاً بالمشاعر الطيبة نفسها التى تعودنـا عليهـا طوال فترة تعارفنا واتصالنا السابقة.

وفى مطار الوصول كانت العائلتان فى الانتظار، ولم نكن قد أخبرناهمـا بعـد، ولكننـا أجرينا تعارفًا سريعاً وتواعدنا على أن يزورنا الشاب بعد ثلاثة أيام من وصوله إلى مدينتـه، وافترقنا كل إلى حيث يقطن فى مدينة مختلفة عن الآخر على وعد باللقاء.

ومرت الأيام الثلاثة، ولم يحضر ولم يتصل فأرسلت له رسالة بالبريد الإلكترونى وكان رده متجاهلاً تماماً لأى وعد قطعه، ثم رد مرة أخرى لاحقة قائلاً: إنه غير مستعد حالياً لأى نوع من أنواع الالتزام أو الارتباط. هكذا دون إبداء أسباب، ولا يمكن أن أصف مشاعرى وقتها غير أنى كنت مصدومة ومبعثرة ومحطمة ومجروحة ومشدوهة ومذهولة... إلخ، حتى كدت أفقد صوابى وثقتى فى ذاتى، وشعرت كم هو مؤلم أن تشعر أنك مرفوض أو منبوذ، فقد كنت أثق فيه أكثر من نفسى، ويمكن أن أتوقع الإيذاء من أى إنسان غيره، وكنت أظنه ذلك الفتى البريء، فكان رده هذا سبباً كافياً لحالة انهيار عصبى رقدت على أثرها لمدة ثلاثة أيام فى المستشفى.

وبعد أن أخبرت والدى ووالدتى بالقصة اتصلت الوالدة به لتسأله: لماذا فعل هذا؟ ولم تكن تقصد شيئاً غير المعرفة فعلاً، فسألته: هل ظهر لك أن شكلها مختلف عن الصورة التى أرسلتها لك؟ فقال: بالعكس، لقد بدت أجمل. فسألته: هل وجدت أنها تحمل شخصية مغايرة لمن كانت تتصل بك، وتتصل بها؟ فقال: لا، بل أنا أحببت شخصيتها أكثر حين تقابلنا، فسألته: لماذا فعلت هذا إذن؟ فقال: ربما الروح، أى أنه لم يحب روحى.

وقضيت بقية الإجازة على الحالة نفسها من الألم حتى عدت إلى كندا، وكان قد سبقنى إلى هناك، وبدأ يعاود الاتصال بى عبر رسائل بريد إلكترونى فى المناسبات، والدخول فى الشات أحياناً، وحاولت الضغط عليه بشتى الوسائل لمعرفة سبب ما جرى منه، ولكنه رفض الإجابة تماماً، وقال: إنه يرغب أن نكون أصدقاء، ولكننى رفضت وقطعت الاتصال به لمدة تقارب الشهور الأربعة حتى رأى اسمى فى شاشة الشات، وبدأ فى التحدث معى بلطف وهدوء.

وأبدى إصراره مجدداً على الحفاظ على صداقتنا وكانت جروحى قد تماثلت للشفاء فتجاوبت ورددت عليه كأن شيئاً لم يكن، وتحدثت إليه بالشات كأخ وصديق ليس إلا، واتصل بى هاتفياً فى عيد الفطر ليقول لى: كل عام وأنت بخير، كل هذا وأسرتى لم تعلم بالمستجدات، ثم بدأ يدعونى لإعطائه فرصة ثانية،

لاختبار مشاعره تجاهي، وقال لى: إنه يكون سعيداً وهو يتصل بى، ولكنه عندما يكون وحيداً لا يشعر بالمشاعر نفسها، ولا يدرى هل هذا هو الحب أم ماذا؟ ولا يدرى لذلك اسماً مناسباً، لذلك حين جرحنى المرة السابقة، فقد فعل هذا لأنه لم يكن متأكداً من مشاعره تجاهي.. وحين سألته مجدداً عن الأسباب الحقيقية فقال: أعدك بأن أخبرك يوماً ما.

والآن هذا الشاب يتصل بى ثانية، ويطلب أن نعطى فرصة ثانية لأنفسنا؛ لفتح صفحة جديدة مبنية على الصراحة والوضوح والإخلاص والوفاء، لنختبر مشاعرنا ونرى هل نحن فى حب؟ وبالتالى ندخل فى عمق أكبر، وإذا لم نكن فنتوقف ولا نتورط مثل المرة السابقة.

ولا أعرف كيف أتصرف مع هذا الرجل؟ هل أثق فيه بعد ما وقع منه، حين كنت أستعد لحفل عرس فدخلت المستشفى منهارة؟ هل أعطيه فرصة أخرى، وإلى أى حدود؟

أريد تكرار الأمر نفسه مرة أخرى، وفى الوقت نفسه هناك شاب يطلبنى للزواج متعلم ومن أسرة محترمة، ويعيش فى أمريكا أيضاً فماذا عساى أن أفعل؟ هل أترك صاحبنا الأول يأخذ فرصة ثانية؟ أم أنه يلعب ألعاباً رخيصة ويحاول التغرير بي؟ ولماذا يفعل هذا؟ إنه ليس من هذا الصنف الشرير كما أعتقد، وأحيانا أتساءل: هل الوحدة والغربة جعلته يرتبط بى، ثم لما وجد أسرته نسى كل شيء، هل هى الوحدة وآلامها؟

أعتقد أنكم الآن شعرتم كم أنا مبعثرة ومشتتة، حاولوا الرد على بسرعة؛ لأنها حالة عاجلة كما ترون.

الحل :

الأخت الفاضلة، عندما استلمت رسالتك عزمت على الرد عليها بسرعة كما طلبت، ولكننى بقيت حائراً معك وما زلت إلى حد بعيد، فماذا يمكن أن أقول لك.

دعينا نتناول الأمر خطوة خطوة، لعلنا نصل إلى قدر من الوضوح.

مشكلتك الأساسية أنك تعيشين وحيدة بعيداً عن الأسرة والأهل والأصدقاء فى الوطن، ويبدو أن وقت دراستك أو عملك، وبالمناسبة نسيت فى غمرة التفاصيل أن تخبرينا عن طبيعة حياتك فى الغربة، وما يجعلك تقضين فترات طويلة أمام الكمبيوتر وهذا فى حد ذاته خلل وخطأ.

ونؤكد مراراً أن الترفيه الإلكتروني والصداقات الإلكترونية والعلاقات الإلكترونية -بغض النظر عن المحتوى- ضارة للغاية، حين تكون بديلاً عن العلاقات الطبيعية الحية، فهل لك أنشطة من هذا النوع الحى غير الإلكتروني؟

أرجو أن تكونى من أصدقاء صفحتنا الذين قاموا بالاطلاع على معظم المشكلات الموجودة لدينا؛ لأن لنا إجابات سابقة تقدم إضاءات مفيدة على جانب أو أكثر من جوانب مشكلتك، وطالما لديك وقت يمكنك قضاؤه أمام الكمبيوتر، فأنا أدعوك لقراءة مشاكلنا السابقة خاصة العاطفى منها، والمتعلق بتحليل تصورات الجنسين عن الحب والزواج، وأذكر لك على سبيل المثال فقط إجابة بعنوان «تحذير من سيكولوجية الرجل الشرقي».

وأخرى بعنوان «الحب بالشات = واقع أقرب للخيال».

وإجابات أخرى كثيرة سيفيدك الرجوع إليها فى تكوين اختيار واضح بإذن الله، وأرجو أن تفعلى هذا، وألا تنقطعى عنا أبدا مهما كان قرارك.

لا أدرى عن أية صفحة جديدة يتحدث هو وتتحدثين أنت أيضا، فتقولين يرغب فى فرصة مبنية على الصراحة والوضوح والإخلاص... إلخ.

فهل كانت السابقة مبنية على الكذب أو الغموض أو الخيانة؟ ويريد أن يختبر مشاعره ثانية فما الذى سيختلف حتى يخرج بنتيجة أوضح هذه المرة؟!!!

هل كتمت عنه شيئاً مما يلزمه معرفته؟ أو كتم هو شيئاً؟ فليخبرك عنه دون الحاجة لفرصة أو صفحة، ما هو المزيد الذى يمكنك تقديمه أكثر مما فعلت؟

أخشى أن يكون المطلوب تنازلاً، ربما يحاول التلميح إليه، وربما يريد استمرار التواصل الدافئ تحت دعوى التجريب واختبار المشاعر، والبحث عن تسمية للشعور المجهول الذى يكنه تجاهك، ألا يكون من المناسب أن يبدأ هذه الصفحة المطلوبة بمبادرة حسن نية، فيخبرك عن سبب موقفه السخيف، وهذا أقل وصف ممكن أن يقال عن الذى صدر منه فى وقت الحاجة للجدية والإقدام.

هذا إذا كان لديه ما يقوله أصلا، وهناك أمور لا ينفع فيها الكتمان، إذا كنا نريد صفحة جديدة على الأقل، نقطة الضعف أنك ما زالت تحبينه يا أختى، والأمور عندك واضحة مثل الشمس المختفية وراء سحب نيويورك وناطحات السحاب فيها، ولو صعد فوق مبنى «الأمباير ستيت» مرتقياً فوق تفكير الرجل الشرقى التقليدى، ومتواصلا مع العاطفة الراقية الجياشة المتدفقة بوضوح وإخلاص منك تجاهه، لحدد هل يريدك زوجة أم خليلة؟ وهل يتسلى بك فى أوقات الفراغ أم لا يستطيع الاستغناء عنك رفيقة ما تبقى من العمر؟

إذا أراد فرصة فليعطها لنفسه، يسألها وتجيبه، يحسم أمره ويحدد اختياره، أما أنت فليس لديك جديد تقدمينه فى هذا الشأن، وإياك أن يتلاعب بك الغادر الصغير النابض بين ضلوعك وراجعى إجابتنا «خنجر فى الضلوع.. ألاعيب الخائن الصغير».

ليس صواباً أن تفتحى أى موضوع ارتباط آخر حتى تنتهى من هذا الموضوع تماماً، وتمر فترة كافية لاستعادة توازنك النفسى والعاطفي؛ ولذلك فإن الحديث عن شاب آخر متقدم مرفوض شكلاً وموضوعاً حتى نفرغ من هذا الشاب، ونصل معه إلى بر، لأننا ما زلنا فى عرض البحر تتلاعب بنا أمواجه، فتارة نعلو وتارة نهبط.

وأحب أن أذكرك هنا بأمر لعله لم يغب عن ذهنك، وهو الجانب الإيمانى والدينى، لم تذكرى شيئاً عن هذا الشاب والتزامه الأخلاقى، ونحن لا نقصد هنا التفتيش فى ضمائر الناس، ولكنى فى الوقت ذاته أتعجب وأتساءل عن محتوى المكالمات والشات لهذه الفترات الطويلة، وأخشى أن يقع فيها ما يغرى الشاب بالحصول على أكثر من مجرد الكلمات، وهو لم يكتف بالصورة ولم يكتف باللقاء

المباشر الذى كان، وما زال يريد المزيد من الاختبار!

أعرف أن الاتصال الهاتفى والحديث بالشات لا بأس به من حيث المبدأ، ولكن بين شاب وفتاة! ولكل هذا الوقت والأهداف غامضة! فهذا أمر يحتاج إلى وقفة.

وهل يمكن أن تبقى العلاقة هكذا مفتوحة على كل الاحتمالات؟ وإذا كنا نفهم الحب فى إطار التمهيد للزواج فماذا عن هذا الذى بينكما: مجهول الاسم، مجهول المصير، وأخشى أنه ليس مجهول الحكم الشرعى، فهذه الصفحة الجديدة التى توشك أن تنفتح بعيداً عن معرفة الأهل وتستقلين وحدك بإدارة شئونك فيها فى صلة بمن لا يعرف ماذا يحدث؟ ولماذا؟

إلا إذا كنت تريديننا معك فيها، وعندئذ يكون علينا تجاهك عبء كبير ولنا عليك حقوق كثيرة.

خلاصة القول يا أختى: أنك فى حاجة لحساب دقيق مبنى على مراجعة صارمة لما حدث حتى الآن، وفى حاجة لاتخاذ القرار المناسب فى ضوء رغبتك فى استمرار العلاقة بهذا الشاب، مع ما تحمله من مخاطر تعرفينها، وفى ضوء قدرتك على التماسك وعدم التورط فى أية مخالفة أخلاقية ستسقطك من نظره، وإن كان هو الذى قد يطلبها ويلح فيها، وأعتقد أنك يمكن أن تعطيه مهلة يحسب فيها حساباته وتبقين فيها على صلة محدودة، وأؤكد محدودة، لا تتعدى تبادل التهانى فى المناسبات والاطمئنان على الأحوال العامة بالبريد الإلكترونى، ولينقطع اتصالكما الهاتفى تماماً، ويحسب هو أمره ليعطيك قراره الأخير، فأنت ما زلت راغبة فيه، وهو عليه أن يحسم رغبته فيك.. زوجة من عدمه.

وهناك زميل أخر له وجهة نظر أخرى يقول:

الأخت الكريمة، نشكرك على ثقتك وعلى التفاصيل التى أوردتها فى رسالتك فرسالتك نموذج الرسالة الطويلة، ولكنها المفيدة، حيث إن كل موقف ذكرته له أهميته فى توضيح المشكلة، وكل الأسئلة والاحتمالات التى طرحتها تدل على وعى بالمشكلة، ولا نبالغ أن نقول بحلها، ولكنك تريدين الاستئناس برأى آخر خاصة أن

هذا الشاب بتصرفاته المرتبكة والمتناقضة قد أوقعك فى الارتباك بالرغم من فطنتك البادية فى رسالتك وفى تعبيرك عن نفسك وفهمك لها.

ولقد أصبت عندما أسميت ما مر بك من التجربة باسم الحب الإلكترونى وهو أمر جديد ومستحدث، وتمثل رسالتك والقصة التى عرضتها، وما مر بك من أحداث إضافة جديدة إلى هذا الملف الجديد والخطير، والذى بدأ تظهر بوادر خطورته فيما يترتب عليها من نتائج وأحداث. وأخطر ما فيه هو أنه فعلياً لا أحد يعرف إلى أين سيؤدى بنا هذا الملف؟ لأن كل شيء فيه جديد حتى مضمونه، حيث لا يحمل المضمون مما نعرفه إلا الأسماء.

ولك حق فى الحيرة فى تسمية هذه المشاعر بينك وبين هذا الشاب، وهل هى الحب أم شيء آخر، إنها تشبه الحب الذى نعرفه سابقاً، ولكن ربما كانت هذه هى أقرب التسميات، فما هذا الحب الذى لا يرى الحبيب فيه حبيبه؟ أو ينظر فى عينه أو يتنفس من هواه، أو من أدبيات الحب الذى نعرفه.

وما الذى يحدث عندما تحدث المقابلة بين هذين الطرفين اللذين تعرفا عبر الشات، وعندما زاد التعارف سمعا صوتهما عبر الهاتف، وعندما تعمق الأمر تبادلا الصور الفوتوغرافية، إذا انتقلت هذه المشاعر الإلكترونية إلى عالم الواقع فبماذا يشعر الإنسان؟ وما الذى يعتريه؟ إنها أشياء غامضة مبهمة لم يعبر عنها أحد، ولم يكتب عنها أحد؛ لأن البعض أيضاً يعتقد أنها التفاعلات العادية والسعادة السابقة، ولا يدرك أحد أنها تجربة جديدة فريدة تحتاج إلى رصد وتحليل، وربما يكون هذا ما حدث لصديقك عندما رآك.

إنه بالرغم من أنه يعدك أنه سيخبرك بما حدث له، فإننا نكاد نزعم أنه لا يعرف ما حدث له، إن هذا الشعور الغامض قد دهمه وظل يسأل نفسه: ماذا يفعل خاصة أنه كان مطلوباً منه وهو يشعر بهذا الشعور الغامض أن يتخذ إجراء تقليدياً عادياً مثلما يحدث فى المشاعر القديمة المتعارف عليها، وهو أن يحضر ويتقدم طالباً يدك من أهلك.

والحقيقة أن الموضوع مهما حدث لا علاقة له بأهله، فإن هؤلاء الذين انتقلوا بحياتهم خاصة فى الغرب لا يكون لأهلهم هذا التأثير على قراراتهم، ولكنه فوجئ بأنه مطالب بموقف تقليدى فى وجود مشاعر غير تقليدية لم يجد لها معنى أو تفسيراً فى خبراته أو خبرات من حوله، فاختار أن يتوقف لعله يفهم، وعندما عاد إلى بلده حيث وجد الكمبيوتر أمامه، وتحركت هذه المشاعر الإلكترونية بداخله مرة أخرى، والتى أدرك هذه المرة وأدركت أيضا أنت هذه المرة أن تسميتها بالحب هو نوع من المقاربة ولكنها ليست الحقيقة.

والعجيب أنكما مصران على أن تعودا وتسيرا فى الطريق التقليدى وتتحدثا عن إعطاء الفرصة مرة أخرى، وعن اختبار المشاعر، أى مشاعر ستختبرونها؟ أهى المشاعر التى تكونت من اللقاء الأول الحقيقي؟ أم المشاعر الإلكترونية الممتدة؟ وهل هى مشاعر تصلح لإقامة رابطة الزواج الحقيقية أو تصلح لإقامة زواج إلكتروني؟ ويزيد الأمر بلبلة عندما تدخل المشاعر التقليدية على الخط فى هذا الشخص الذى يتقدم بالطريقة الطبيعية، أو لنَقُل المعتادة ويصبح التنافس بين تلك المشاعر الغامضة الوافدة عبر الإلكترونيات وبين تلك المشاعر المعروفة التى تأتى عبر التعامل مع الواقع.

هل فهمت سر حيرتك وسر تساؤلاتك، إن كل الاتصالات والتساؤلات التى أوردتها فى نهاية رسالتك هى احتمالات يمكن أن تكون صحيحة، وتساؤلات تستحق الوقوف أمامها، ولكن يصبح من الظلم أن نحكم عليها من واقع خبراتنا العادية التى تتعامل مع الواقع العادى بأدواته المعروفة لنا سابقاً.

هذا هو الذى يجعل كل ما تقولينه من احتمالات فى نهاية رسالتك صحيحاً، الأمر ونقيضه، الأمر وعكسه، لأنك تخلطين فى تساؤلاتك بين خبراتك السابقة التى اكتسبتها عبر الأعوام وعبر الأدوات والحواس التقليدية، وبين تلك التجربة الفريدة الجديدة، لذا أصبح الباب مفتوحاً لكل شيء خاصة أن الرجل الذى يطلب فرصة أخرى لاختبار المشاعر هو شخصياً لا يدرى أى فرصة أخرى هو يطلبها، وأى مشاعر يريد أن يختبرها، بل هو لا يعرف فعلياً ما الذى يدعوه إلى الانخراط مرة اخرى فى هذه العلاقة؟ وما الذى يريده منها؟

هل هو الإحساس بالوحدة؟ هل هو الإحساس بالذنب؟ هل هى المشاعر الإلكترونية؟ هل هى المشاعر الواقعية التى أحسها عندما رآك؟ هل... هل؟

هل زدنا حيرتك؟ ونظن لا. لأن ما نريد أن نقوله ونوضحه: أنك بصدد تجربة شعورية جديدة أمام أحد اختيارين للتعامل معها: فإما أن تكملى التجربة إلى النهاية، وأنت تدركين أنك بصدد تجربة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من مخاطر وغموض واحتمالات جديدة وسيئة، ومن نهايات سعيدة أو حزينة، أو أن تكونى صريحة مع نفسك مقدّرة لقدراتها الحقيقية، وأنها ليست بصدد القدرة على التعامل مع المشاعر بهذا النوع من التجريب أو قولى: التجريد.

وأنك عندما تعرضت للصدمة الأولى انهارت قواك النفسية، إنك لا تستطيعين إلا أن تكونى ابنة تجاربك وخبراتك السابقة، وإنك لست على استعداد للتجريب فى مشاعرك وعواطفك، وأن تتركى الأمر لرواد آخرين يخوضون هذه التجارب الإلكترونية؛ ربما كبتوها أو سجلوها وحققوا فيها فشلاً أو نجاحاً، وربما استطاعوا أن يسموها بأسماء جديدة تعين من يأتى بعدهم على خوض التجارب بقدر أقل من الخسائر.

إنك صاحبة الاختيار؛ فإما أن تختارى أن تعيشى الواقع المعروف وتغلقى هذا الملف تماما حتى بدون الإجابة عن تساؤلاته الحائرة؛ لأنها جزء من التجربة؛ وتختارى أن ترتبطى بهذا الشخص الجديد الذى ظهر فى حياتك الواقعية وتتعاملى معه بأدواتها التقليدية، أو تختارى الطريق الجديد: الطريق الإلكترونى، ذلك الطريق الجديد بكل آماله وآلامه.

هل أوضحنا الأمر وحللناه بالصورة الكافية، نرجو ذلك، وفى انتظار أن تعلمينا باختيارك ونتائجه، وفقك الله.

رسالة إلى ابنتي

[٣] الزواج العرفي

مقدمة:

الرذيلة لها رجال ونساء يدافعون عنها.

١- أسئلة إلى ابنتي:

- لماذا لا تنتظرين؟
- لماذا لا تجبرين أهلك على الموافقة؟
- لماذا لا يجبر هو أهله؟
- كيف ستكملين الحياة؟

٢- الضغوط الموجودة على المرأة:

- شهوة داخلية تنبح.
- إغراء أو غواية من الطرف الآخر.
- الفراغ.

٣- الفرق بين ثلاث نساء:

الأولى: حملت من زواج معلن.

الثانية: حملت من زواج عرفي.

الثالثة: حملت من سفاح.

٤- قعدة السلامة ولا جوازة الندامة.

٥- نفسية الشاب الذى يتزوج عرفياً.

٦- احذري من الخديعة [جسمه وشياكته وجاذبيته].

٧- التفسير لمعنى حديث: «من استطاع منكم الباءة».

٨- الحل الوحيد: الزواج بالعافية بدلاً من الزواج العرفي.

٩- قصة مهداة: أستاهل ضرب الجزمة.

[٣] الـزواج العرفـــى

نحن الآن فى قمة المأساة..

ولنكن واضحين وصرحاء، فلن أتكلم إلا عن الضحية فقط لا غير، والضرر الواقع عليها، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

ورد علينا أصحاب الإباحة والانفلات..

لا تعتبر ضحية إذا كانت بالغة راشدة عاقلة راضية، ولا ضرر، أو يعتبر ضرراً قليلاً بالنسبة لعدم الإشباع الجنسى، فقلت فى نفسى ساعتها وكنا فى اجتماع بأحد النوادى بالقاهرة: [الرذيلة لها رجال ونساء يدافعون عنها والفضيلة لا تجد!!!].

ولنبدأ من نهاية القصة وليس من بدايتها فالأمور بعواقبها.

تقول إحداهن: لقد تغير هذا الرجل، قبل أن نتزوج عرفياً كان لطيفاً ودوداً شهماً والآن أصبح عصبياً شارداً، كثير الشجار يتهرب منى، ويراوغ، ولا يشعر بما أنا فيه من قلق وضياع، ولا أستطيع أن أفتح فمى، فأنا التى فعلت ذلك بنفسى، وعندما يراودنى شعور بالفضيحة أو أن أهلى سيعرفون أفكر فى الانتحار.

وأحيل القارئ إلى قصة أخرى فى نهاية الباب وعنوانها [استاهل ضرب الجزمة]

وإليك يا ابنتى مجموعة من الأسئلة أرجوك لا تجيبنى أنا عنها، بل أجيبى عنها بينك وبين نفسك.

١- لماذا لا تنتظرين حتى تتعدل الأمور؟ مع انتظارك لن تخسرى ومع العجلة ستخسرين.

٢- لماذا لا تجبرين أهلك على الموافقة؟ وعلى الأقل زواج غصب عنهم أرحم بكثير من زواج بدون علمهم، فى الأولى سيغفرون لك، والأيام كفيلة بالعلاج. أما فى الثانية فسيشعرون أنك خدعتهم وأهنتهم وهذا أمر صعب *People*

donot like to be petryied ، وتنعكس العلاقة بينك وبينهم إلى الشك والظن فى كل ما تقولينه أو تفعلينه إذا صالحتهم فأنت [صاحبة سوابق].

٣- لماذا لا يجبر هو أهله على الموافقة، بدلاً من أن يقولوا عند أول اصطدام معهم: خطفتوه منا، وهم محقون فى ذلك، إزاى تقبلينه من غير أهله؟ أنتو ناس مش محترمة، هذا فضلاً على رصيد الغيرة الموجودة أصلا من أمه وأخته.

٤- هل أجبت عن سؤال:

كيف ستكمل الحياة بعد الزواج؟ أم أنك تعاملت بمنطق [عك عشان تفك]؟

لقد ذكر الأستاذ عمرو خالد أن كل الحالات التى عرفها لم تستمر فى الزواج، وأنه زواج غش، وأنا أقول بالنسبة لى حالة واحدة فقط استمرت بأعجوبة: حصلت لهما حادثة سيارة فى منطقة نائية، عرف الأهلان فى المستشفى وقرروا إعلان الزواج بعد خروجهما من المستشفى.

أنت يا ابنتى تحت ضغط نفسى وهناك ثلاثة احتمالات:

أ- شهوة جنسية تنبح بداخلك.

ب- أو إغراء وغواية من الطرف الآخر، مع استعدادك أصلاً لقبول الإغراء تحت دافع الشهوة.

ج- الفراغ والرغبة فى فعل أى جديد، ولكن لن يقبل عاقل هذا الأمر.

اصبرى يرحمك الله.

اصرفى تفكيرك عن الجنس.

اشغلى نفسك بأشياء مفيدة نافعة.

اضغطى فى اتجاه واحد فقط إذا لم تستطيعى الصبر: ألا وهو إعلان الزواج وليكن ما يكون.

واعلمى أن الإثم دائماً [ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس].

والنصر دائماً صبر ساعة.

وهناك دائما فرق بين ثلاث نساء:

الأولى: حملت نتيجة زواج معلن باركه الأهل والمجتمع:

تعلنه فى خجل، تنتظر وليدها على شوق، تتباهى فى قرارة نفسها أنها تمر بما يمر به الحوامل من قيء وهزال، فهناك رسالة بعيدة صامتة.. أنا كفء، تسأل ماذا تفعل فى كذا وكذا؟

الثانية: حملت من زواج سرى فهى تنسى كل المشاعر الطبيعية للحامل وتعيش رهن أملين أحدهما التخلص من الحمل، أو إعلان الزواج.

وهرمون الأدرينالين المصاحب للقلق يرتفع فى جسدها مع قلق للأم وقصور الدورة الدموية الواردة للجنين وسوء التغذية له.

أما الثالثة: حملت من سفاح، وهذه مسكينة لا تفكر إلا فى التخلص من جنينها أو إلقائه على باب الجامع بعد ولادته.

وفى الحالة الثانية والثالثة..

فالرجل متهرب دائماً، عصبى جداً معها، ويتبرأ منها ويشتبك معها، ويحاولان البحث عن سفاح اسمه طبيب نساء، فاسد يقاولهم ومهما قال سيدفعون.

أما الأولى فالرجل يتحمل مرضها ويواسيها، ويشغل نفسه بتدبير نفقات الولادة ومستقبل الحياة بعد الضيف الحبيب القادم..

ما أروع الحلال.. وأجمله.

ابنتى، هناك مثل شائع: [قعدة السلامة ولا جوازة الندامة]

فاختارى بين أمرين:

الأول: فى بيت أبيك [مكرمة أو مضطهدة أو منسية].

الثانى: خروجك مطرودة من بيت أبيك إلى أى بيت يؤويك قلقة، خائفة، مجهولة المصير.

ثم كيف تجلسين فى بيت أبيك وتخدعينه [إنه يقيناً لا يدرى ولو درى لرفض]؟

ثم أى علاقة جنسية هذه التى تمارسونها والخوف من الفضيحة، والقلق من حدوث حمل، ثم ترجعين إلى بيت أبيك وكأن شيئاً لم يحدث؟

وأريد أن ألفت نظرك إلى شيء آخر:

الشاب الذى يفعل ذلك ورضيت بأن تسلمى نفسك له يقيناً إنه من النوع:

- ☹ غير المتحمل للمسئولية.
- ☹ الأنانى الذى يقضى شهوته على حساب الطرف الآخر.
- ☹ ضعيف لا يقدر حتى على مواجهة أهله وهم أرحم الناس به.
- ☹ فاشل غير قادر على فتح بيت مستقل يعلن فيه بوضوح: اللى عايزنى يجيلى، دى حياتى التى اخترتها.

ما الذى شدك إليه؟

جسمه وشياكته وجاذبيته الشخصية..

- ☹ طيب خدى فوق دماغك.
- ☹ وخلى الحاجات دى تفتح بيتك.
- ☹ بعد شويه هاتخدى عليه ويزول بريق الانبهار وتبدأ الرحلة الحقيقية،
- ☹ أكيد أخلاقه رديئة جداً وأنت لا ترينها فدائماً مراية الحب عميا.
- ☹ أرجوك اسألى عن وضعه المالى الذى ستكملين معه الحياة.
- ☹ هناك رجال آخرون على درجة أقل فى الجمال والشياكة ودرجات أعلى فى الأخلاق وحسن العشرة.

بالنسبة للشرع:

النبى ﷺ قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء -قاطع للشهوة-».

لم يقل فعليه بالزواج العرفى..

لم يقل فليأخذها من وراء أهلها..

وسؤال لو سمحت أجيبى عنه..

اللى معاه الباءة هل يتزوج عرفياً؟

لا يفعل ذلك إلا فرد غير قادر على الإعلان، وحبيبك جميل المنظر لا معاه باءة ولا شيء، حبيبك يقضى شهوته وخلاص، وستعرفين إذا انقشع الغبار (غبار الشهوة عنك) أفرس معك أم حمار؟

أقول لك:

إذا كنت تحبينه ومش قادرة ومش صابرة، فالحل ليس الزواج العرفى، بل الزواج بالعافية وأقصد إجبار الأهل من الطرفين وعلى كل أن يقاوم بقدر حبه للطرف الثانى.

القبول بالدون من العيش [عفش قليل، مهر قليل، واللى عايز يضحي]

تصعدان السلم من تحت لفوق، وهذا فيه نضج وتحمل مسئولية وإحساس بالكفاح.

وإلا فلا.. وإلا فلا.. وإلا فلا..

اللهم ارحم بناتنا..

اللهم نجهن من السوء..

اللهم استر عليهن بسترك الجميل..

اللهم نجهن من خزى الدنيا والآخرة..

اللهم كن لهن عونا على من أراد بهن سوءاً..

اللهم أنت وكيلنا فاحفظهن..

اللهم فوضنا إليك أمرنا فتولهن..

قصة مهداة لأنصار الزواج العرفي

[استاهل ضرب الجزمة]

والقصة ساقتها جريدة صوت الأمة فى ٣١/ ٥/ ٢٠٠٤ على طريقتها الإعلامية المشهورة فى إثارة الزوابع والفتن..، المهم الزبون يشترى الجريدة.

حول فتاة ادعت أنها تزوجت عرفياً من ابن الممثل فاروق الفيشاوى، ثم سرق منها عقد الزواج العرفى، ثم هى الآن حامل وتطالبه بالزواج، وتتحدث بإثبات النسب على طريقة تحليل حامض *DNA* والبينة عندها أنها تعرف تفاصيل الشقة التى تم فيها الزواج وتفاصيل جسم أحمد؟

وإليك أقوالهم:

ام البنت: رفضت التصوير، وقالت: نحن لسنا فئران تجارب.

البنت: أنا أخطأت واستاهل ضرب الجزمة، ولكنى سأواجه خطئى، وعلى أحمد أن يواجه خطأه هو الآخر، لماذا تتحمل البنت وحدها نتيجة الخطأ.

الأب: ابنتى أخطأت لأنها تزوجت بدون علمنا، ووفق ظروف لا تضمن حقها المحترم، لكنها الآن تدافع عن حقها وتواجه خطأها.

البنت: كنت أمر بمشكلة فى البيت يصرون على عقد امتحانات للمتقدمين لى، شعرت بالتوتر من فكرة رفض كل متقدم، وكنت أحتاج لحنان رجل وهو كان فى غاية الحنية، وكنت أعتقد أن أهلى سيرفضونه هو الآخر، وهذا ما جعلنى أوافق على الزواج العرفى، ويمكن أن أكون فعلت هذا نوعاً من العند معهم، ولكنى غلطت، وأستاهل ضرب الجزمة، أرجوكم اكتبوها مرة ثانية.

رسالة إلى ابنتى

[٤] مـــن تتزوجـــين؟

١- الفكرة الأساسية هى حسن الاختيار.

٢- لماذا الرجل المتدين: وليس الشاب الاسبور؟

تحفظات: — أنت أيضا لا بد أن تكون متدينة.

- من هو المتدين؟
- يصلى فقط ويعصى الله.. هل أقبله؟
- الدين ظاهر وباطن

الزواج الأيديولوجى.

- مميزاته

تحفظات: - الانتماء العارض - الانتماء الظاهرى

- الانتماء فقط لا يكفى

٣- الحب وحده هل يكفي؟

الميل وعدم النفور فقط يكفى

٤- الحب قبل الزواج هل هو حرام؟

- حلاله حلال وحرامه حرام. - قلما يسلم من أخطاء.
- لا تخدعى نفسك. - اجعليه رجلاً.
- الحب من غير أمل خدعة.
- لماذا تدفعين الثمن منفردة.
- الجاذبية، أمر فطرى فلا تتحديه وتدعى السيطرة عليه.

٥- التوافق الاجتماعى:

قصة زيد وزينب رضى الله عنهما

رأى الفقهاء

٦- الفرق العمرى هل هو شرط؟

٧- أخاف العنوسة.

[٤] من تتزوجين؟

- الزواج الناجح سكن ومودة ورحمة.
- والفكرة الأساسية هى حسن الاختيار أو الاختيار النابع عن تفكير وتأمل.. [نسبة الطلاق فى مصر فى أواخر التسعينيات وصلت ١٧٪].
- وقديما قالوا: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق [والأمر الفصل هو أن يكون اختيارك للشاب المتدين ذى الخلق والمقارب اجتماعياً لمستواك، والذى ترتاحين إليه ولا تتنازلى إلى درجة الصفر عن أية نقطة من هذه النقاط، واجعلى الدين له أعلى نسبة، ٥١٪ على الأقل، واعلمى أن غير المتدين غير مأمون، والحب الكامل الناضج ليس بشرط أساسى، ولكن مجرد القبول يكفي].

لماذا الدين؟ [لماذا الرجل المتدين وليس الشاب الاسبور؟]

- ضمان عدم الظلم.
- ضمان عدم إساءة المعاملة.
- ضمان الاستقامة وحسن السلوك [النجاة من فخ المخدرات والنساء].
- الإعانة على الخير والطاعة.
- ضمان تنشئة سوية للأولاد.
- إذا أحبها أكرمها وإذا كرهها لم يهنها.
- إذا كره منها خلقا رضى منها آخر.

تحفظات:

١- لا بد أن تكونى أنت كذلك متدينة أو راضية عن الدين ومستعدة لتنفيذ تعليمات الدين أم أنك تأخذين حقوقك ولا تُسألين عن واجباتك؟

٢- المتدين هو: الذى نرتضى دينه [من ترضون دينه].

يصلى أساسًا، ثم هو: يعمل للدين، يحفظ القرآن، يحضر دروس علم، يمتنع عن المعاصى الظاهرة، راض بخدمة الدين، على استعداد للتغيير وموافقة الدين بطريقة أكثر مما هو عليه.

٣- يصلى فقط ويفعل معاص ظاهرة ووعدك هو أو والداك بأنه سيتغير للأحسن.. لا. لماذا؟ التغيير أمر فى علم الغيب..

وعندما يصبح زوجك يجب عليك أن تحترميه فإن تزوجته ونفسك لا تحترم تدينه فماذا ستفعلين؟

٤- الدين ظاهر وباطن.

ولابد له من تحقيق نسبة من كليهما وسيظهر ذلك من خلال المواقف والأحداث وستُكتشَف ذلك أيضا أخلاقه..

الزواج الأيديولوجى [من نفس الفكر والاتجاه]:

فكرة مشتركة .. أو جماعة واحدة .. أو تيار ثقافى واحد.

مميزاته:

هما يضحيان معاً لنفس الفكرة بالوقت والمال، فلا يتهم أحدهما الآخر بأنه مهمل له أو لمسئولياته بسبب هذا الانتماء، ويحاول كلاهما تذليل الصعوبات بينهما لتحقيق الفكرة أو الارتقاء بها.

تحفظات:

- الانتماء العارض للفكرة سيوقع الطرفين فى حرج شديد عند التخلى عنه.
- الانتماء الظاهر للفكرة والبعد عن الانتماء الحقيقى سيتحطم عند العقبات ويقعان فى حرج.
- الانتماء يكفى لإقامة أخوة دينية أو علاقات دعوية، وفى الزواج لابد أن

يسانده الميل القلبى. والتوافق الاجتماعى والنضج الاجتماعى والقدرة على تحمل المسئولية كزوج.

الحب وحده هل يكفي؟

- طبعًا لا يكفى وحده.
- فى كل حى وحارة وشارع قصة حب بعدها زواج ثم فشل.
- وكذلك فى كل كلية وجامعة.
- والفشل كان لاعتبارين:
  - اشتراط وجوده كعنصر لاستمرار الزواج.
  - اشتراط وصوله إلى درجة عالية قبل الزواج.

والرد على ذلك:

الشرط الذى نراه هو القبول وعدم النفور، أما انقباض القلب، وجود ضيق وزهق عند رؤيته أو الكلام معه:

- فلا تتزوجى هذا الشخص أبداً.
- وإن كان فيه ما فيه من المميزات.
- وإن ضغط عليك كل الناس ووالداك فهذا حقك المحض.
- وأنت التى ستعيشين وليس هم.
- والبكر تستأذن [أى تملك حقاً مثل حق الفيتو اليوم] والثيب تستأمر [الأمر أمرها بيدها].

يعتبر هذا الميل هو بذرة الحب الأولى التى قد نراعيها بالشمس والهواء والماء، وقد نقتلها وندفنها بالإهمال، ويأتى بدلاً منها النفور والكراهية. فلا بد من حضور الارتياح النفسى ولا بد من مراعاة استمراره.

هل الحب قبل الزواج حرام؟

أ- الحب مثل كل أمور الحياة حلاله حلال وحرامه حرام.

ب- ولكن قلما يراعى الطرفان الحدود الشرعية.

ج- قلما يسلم أمرهما من أخطاء؟

وقد حدثنا الأدب والشعر عن: لقاء الحبيب، خطاب العيون، الرغبة فى التودد إلى المحبوب والانفراد به. وأنا لا أرضى ذلك لابنتى، إلا أن يكون الطرف الآخر زوجها.. وبالتالى لا أرضاه لك..

والنبى ﷺ لم ير للمتحابين غير الزواج.

د- لا أرضى عن علاقة الظلام والمصير المجهول فهذا سمت غير العقلاء.

هـ- لا تخدعى نفسك وتقولى: نحن نريد الزواج، ونستطيع السيطرة على العلاقة بيننا حتى يتيسر الزواج؟

١- قبلك قالوا ولم يستطيعوا.

٢- ما الضمان لذاك؟

٣- لماذا لا يدخل البيت من بابه؟

٤- أين الباءة [مسكن يؤيكما]؟

انصحك يا ابنتى إذا كنت تحبين شابا وهو فقير وتريدين الزواج منه:

١- فاجعليه رجلاً يتحمل المسئولية ويضحى من أجلك.

٢- كلمة أعلمك إياها: روح هات الشقة ولما تجيبها أنا حاعمل المستحيل وأتزوجك.

٣- حب بلا أمل ليس أسمى معانى الغرام كما يقول عبد الوهاب.

♥ إنه فشل ومعاناة حتى الموت وخطأ فى القول، والصحيح: إنه حب +جنس + عدم زواج.

- إنه خدعة أنت فيها المخدوعة.
- لماذا لا يكون له أمل: الزواج والأولاد؟
- عندما لا يكون له أمل: قِلته أحسن.
- اصبرى على الفقر والحرمان الجنسى.

ولا تضيعى نفسك إلى فقر ووهم إشباع جنسى وقلق وضياع، وأكرر عليك لن ينفعك أحد وستخسرين فى الدنيا: ضياع سمعتك، واحترامك لنفسك، واحترامه هو لك [أخذ مصلحته خلاص].

وستسخرين فى الآخرة.. عندما نلقى الله.

٤- المجتمع والآباء والأغنياء والشاب آثمون، وأنتِ كذلك.. فلماذا تدفعين أنت الثمن منفردة؟

٥- جاذبية الرجل للمرأة والمرأة للرجل قانون فطرى بيولوجى كيميائى لا يخضع للسيطرة والإرادة فى مراحله المتوسطة.

فحافظى على نفسك فى المراحل الأولى..

واكتمى ميلك له فى قلبك وأحبيه فى صدرك..

وادفعيه ونفسك إلى الحلال..

التوافق الاجتماعى

[قصة زيد وزينب رضى الله عنهما]

- هما من كبار الصحابة، فالدين مضمون وسيطرته على سلوكهما الخارجى آكد، والالتزام الخلقى فى أعلى ما يكون..
- هى امرأة قرشية وهو ليس كذلك.
- من أين جاءت الثغرة؟

إنها الطباع والعادات ووجهات النظر..

وكلها لا تندرج تحت الحلال والحرام..

والاختلافات الفردية فيها أمر واقعى، وفى منطقة يسمح فيها الدين بوجود اختلافات، والله تعالى يعلمنا ويفهمنا والعبر والدروس من الآيات لا تنتهى.

فى الحديث ثلاثة لا تؤخر: **«الصلاة إذا أتت، الجنازة إذا حضرت، والأيم (من لا زوج لها) إذا وجدت كفئًا»**.

انظرى رحمك الله..

كفء أى مناسب لها [ويدخل تحتها المستوى الاجتماعى والفكرى والثقافي]

- قال الإمام أحمد: الكفاءة هى الدين وتحرم مع اختلاف الديانة.
- قال الشافعية: مهنته ومهنة أبيها.
- قال الأحناف: يحق لوليها أن يطعن على زواجها بغير رضاه إن لم يكن كفئًا لها، فإذا حدث الحمل لا يحق له الطعن.

اعلمى أن التطابق الكامل لا يكون إلا فى أخت وأخ فى بيت واحد ومن نفس الأبوين، وهذان لا يمكن زواجهما شرعاً وقانوناً.

فالقضية هى تقارب وليست تطابقا، بحيث يمكن التعايش، وما يناسبك قد لا يناسب غيرك، فاقبلى ما يناسبك وما تستطيعين التعايش معه.

والزواج مؤسسة اجتماعية لها قائد هو الرجل.

ومن مميزات القيادة السبق والتميز.

فلا تجعلى قيادتك لشخص أنت تشعرين أنك أفضل منه أو تسبقينه فى أمور كثيرة، فالميزان هنا سيختل.

الفرق العمرى بين الزوجين:

قضية فيها اختلاف وآراء بين مؤيد ومعارض، وبين محدد لفرق لا يزيد عن ثمانية أعوام وآخر عشرة ولا دليل.

والعمدة فى الكلام هنا هو مدى التوافق الروحى بينهما، ومدى الانسجام

والتفاعل لحظتها سيسقط حاجز العمر، والنبى ﷺ تزوج خديجة وكانت تكبره بكثير وتزوج عائشة وكانت تصغره بكثير، وكان أسعد ما يكون معهما وهما كذلك..

آخر نقطة: أخاف العنوسة؟

هو هاجس فى دماغ معظم الفتيات يفرضه:

١- الواقع النحس حيث ظروف الزواج معقدة، وسن الزواج مرتفعة، وتجلس الفتاة حتى الثلاثين من عمرها بلا زواج.

٢- حلم كل فتاة الفطرى بفارس الحصان.

٣- رغبتها الملحة فى أن تكون أماً.

٤- المثيرات الجنسية الكثيرة فى المجتمع.

٥- حالات العنوسة التى تمثل رعباً داخلياً فى نفسها والنتيجة الحتمية:

أ- التسرع فى الاختيار.

ب- التنازل حتى فى الشروط الأساسية للزواج [القبول، القدرة المالية، الكفاءة]

والعلاج:

١- لا بد أن يفرض الشباب إرادتهم على المجتمع، وقد حدث هذا فى مصر فى السبعينيات حيث:

سقطت القدرة المالية وبقى القبول والكفاءة وبدأوا من الصفر، والحالات التى عاصرتها كلها وصلت إلى مستوى مادى فوق المتخيل عند أصحابها حيث تحرك الذهن.

٢- نداء لكل فتاة:

أ- الزواج كما يقولون [قسمة ونصيب] [رزق ولا حيلة فى الرزق].

عندما يأتى قدرك سيصل إليك زوجك، وإن كنت فى غيابة الجب، فثقى فى قدر الله واطمئنى فلن يضيعك.

ب- أقوى سبب تأخذين به هو التعلق بالله والتضرع إليه أن يرزقك بالرجل الصالح الذى يتحملك وتتحملينه.

ج- احذرى من [التسول] [وبذل كرامتك وحيائك كسلع رخيصة] فتخسرى نفسك، وتسقطين من أعين الرجال حولك وهم يفهمون ما تفعلينه.

ولن يأتيك إلا قدرك..

والرجال لا يحبون السهلة المبتذلة.

د- عانس أم مطلقة؟

هـ- عانس أم معذبة بزيجة فاشلة من بدايتها؟ [أنت غير مقتنعة].

و- اهدئى ولا تتسرعى، وكونى مسئولة عن قرارك، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

ز- استخيرى وامضى فى الأمر وتربصى بعلامات التيسير فى الزواج أو بانكشاف أشياء لا ترضيها.

- فالزواج ليس مغامرة أو نزهة قصيرة..
- إنه رحلة عمر فيها الحلو والمر، وفيها الصبر والرضا وفيها الحزن والفرح..
- والله تعالى يرعاك ويحفظك..
- ويوفقك للرجل الصالح أنتِ وبناتى وجميع البنات..

* * *

رسالة إلى ابنتى

[٥] لا تكونى تافهة

صرخة فى وادٍ سحيق

- الواقع الحالى لنسبة كبيرة من الفتيات
- مأساة اختيار المذيعات
- نصيحتى إليك:

لا تكونى تافهة

كونى صاحبة رسالة

احرصى على مصلحتك

- الخروج من الأزمة:

- تعلم كمبيوتر
- تعلم لغة
- إتقان مهارات
- هوايات نافعة
- قراءات
- قضايا اجتماعية

- مشاكل المرأة التى أرادوا أن يضخموها:

- الختان
- الخلع
- أب مفترٍ
- زوج ظالم

- مشاكل المرأة الحقيقية:

- الجهل
- المرض
- العنف
- نقص المهارات
- نقص الثقافة

[٥] لا تكونى تافهة

[صرخة فى وادٍ سحيق]

بعد عدة لقاءات فى النادى والعمل ومع فتيات فى عمر الزهور والحيوية تكوّن فى ذهنى انطباع دعوت الله أن يكون خطأ، أو أن تكون تلك هى العينة المتاحة أمامى، ولا يصح التعميم، ولكنى لا أكذب نفسى بسهولة وأصدق نصف الذى أراه، هكذا علمتنى تجربتى.

ثم جاءت معاناة العيادة مع المراهقين ثم المراهقات ورأيت:

اللسان الطويل، والفكر القليل (دماغهم فاضية)، حب الاعتراض مع عدم وجود البديل، أو بديل متهالك، الثياب القصيرة، والاتهامات الطويلة.

مع ضحالة الثقافة والمعلومات العامة (مجرد ترديد لكلمات يسمعونها من الطريق أو التليفزيون).

ثم جاءت حادثة مروعة بالنسبة لى.

مسابقة لاختيار مذيعات وسألوهن:

متى بدأ بناء السد العالي؟ والإجابة: سنة ٤٥، سنة ٥٣، سنة ٧٠

متى خرج الإنجليز من مصر؟ والإجابة: سنة ٦٠، سنة ٦٧، سنة ٧٣ مع اليهود.

ورسبت جميع المتقدمات فى المعلومات العامة والثقافة، وطبعاً نجحوا فى الشياكة والجاذبية والأناقة..

وعلق الأستاذ أحمد رجب بما معناه:

إما أن السد العالى اتبنى سنة ٤٥ أو أنا حمار أو لا يوجد تعليم فى مصر.

ثم ماذا؟

نسبة الطلاق وصلت ١٧٪ فى التسعينيات..

وأفاجأ بالبنات يجلسن على المقاهى وتتعالى ضحكاتهن ويدخن الشيشة..

وحتى لا نذهب بعيداً ونسترسل مع أخطاء المجتمع والأفراد أرجوك يا ابنتى..

- ☺ لا تكونى تافهة.
- ☺ كونى صاحبة رسالة فى الحياة.
- ☺ احرصى على مصلحتك وما ينفعك واتركى غير ذلك.
- ☺ اهتمى بزيادة مهارتك الخاصة، وأن تكونى ذات جودة نوعية عالية.

أمامك مجموعة من المهارات لابد من إتقانها، تشغل حياتك وتعود عليك بالنفع وتنفعك حينما يزول الجمال والشباب:

١- تعلمى كمبيوتر وأتقنيه [ورقة الكمبيوتر بـ ٢ جنيه].

٢- تعلمى لغة [التحقى بالجامعة الأمريكية أو المركز البريطانى أو الفرنسى أو الألمانى وابدئى من الصفر].

٣- أتقنى مهارات المنزل الذى لا بد أنك ستتحملين مسئوليته يوماً ما.. طهو الطعام [كونى طباخة ماهرة، وغير ذلك يعيبك].

- ☺ ترتيب الأثاث والثياب.
- ☺ ديكورات المنزل.
- ☺ التطريز والخياطة.

٤- لتكن لك هواية نافعة ومدرة للمال:

- ☺ تربية أسماك الزينة.
- ☺ تربية العصافير.
- ☺ الرسم على الزجاج.
- ☺ فن الخطوط.
- ☺ تنسيق الزهور.

٥- لتكن لك قراءات فى اتجاه محدد:

☺ الأدب.
☺ الشعر.
☺ التاريخ.
☺ الشريعة.
☺ مقارنة الأديان.

٦- اشغلى نفسك بقضايا لك دور فيها، مثل رعاية الأيتام والفقراء:

☺ لا تتركى نفسك هكذا، بدون مهارات أو بدون ثقافة وفكر.

☺ لا تمشى وراء كل ناعق وناعقة، ضلوا وأضلوا، وضاعوا وأضاعوا.

☺ اعلمى أن حصنك الحصين هو أبوك وأخوك وزوجك، وأن كل من حولنا يشجعك على رفضهم وكراهيتهم ومحاولة الاستقلال عنهم.

لماذا تكرهين والدك [ذل أبيك أرحم بكثير من ذل الغريب]؟

لماذا لا تحبين زوجك [لا يوجد إنسان بدون عيوب]؟

إن مشاكل المرأة فى مجتمعاتنا المتخلفة أكبر بكثير من:

☺ ختان المرأة.
☺ الخلع والموضة.
☺ الزوج الظالم.
☺ الأب المفترى.

كل ما يريدونه منك أن تخرجى وتتفسحى وتعودى وقتما شئت، وتفعلى كيف شئت، وحرام وكفر أن يسألك أبوك أو أخوك أو زوجك: كنت فين؟ بينما من حقك أن تفتحى تحقيق أمن دولة مع زوجك إذا غاب! ولك أن تتجسسى وتراقبيه... هذا الذى يريدونه منك وأنت تمكينهم من ذلك.

إنك تظلمين نفسك حينما تخرجين من حصونك إلى العراء بدون أى سلاح.

ولن ينفعك أحد ولن يقف معه أحد إلا الذين تعادينهم من داخلك، فاتركى هذا وارحمى نفسك وتكيفى معهم.

إن الأم تريزا الحائزة على جائزة نوبل تركت أمريكا، وذهبت للهند وفى أفقر أحيائها كانت تعمل وتعلنها صريحة.

We are cominy for the poorest of the poor

نحن نعمل لأفقر الفقراء..

ويعمل تحت يدها خمسمائة راهبة شابة متطوعات للعمل الخيرى..

وعنوان مراسلاتها: الهند الأم تريزا

أين أنت من هذا؟

أين دعاة الإصلاح من المشاكل الحقيقية للمرأة؟

- ☺ الجهل.
- ☺ المرض.
- ☺ نقص المهارات.
- ☺ حماية الفقيرات من الضياع وإكسابهن مهنة.
- ☺ الثقافة العامة.
- ☺ الثقافة الخاصة بها كامرأة.

إذا لم يدلك أحد فوجهى نفسك، والله يعينك وتمسكى بأهلك وأسرتك.

واهتمى بمستقبلك ومصلحتك.

هذه نصيحتى إليك فاقبليها أو ارفضيها، وعلى أية حال أسأل الله لك السلامة والأمان والخير فى الدنيا والآخرة.

رسالة إلى ابنى

[١] مـــن تتزوج ؟

ثلاثة أصناف من البشر

لماذا أتزوج؟

من أتزوج؟

- الجميلة..

- الغنية..

- ذات الحسب والنسب..

هل أتغاضى عند الاختيار عن الجمال والمال والحب؟

عرض حالة (١) نموذج معاناة.

عرض حالة (٢) ابحث عن الزوجة.

رسالة إلى ابني

[١] من تتزوج؟

ابنى الحبيب:

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتسع صدرك وتتفتح أذناك لكلامى هذا، فأنا لك ناصح أمين، والرائد لا يكذب أهله، وقد خضت قبلك مشوار الحياة وعايشت تجارب الآخرين ووعاها قلبى وعقلى، ولا أطلب منك إلا أن يتسع عقلك لخطابى، ثم تقارن وترجع، فالخيار لك والعواقب أنت وحدك الذى ستتحملها، وقد عايشت ثلاثة أصناف من البشر أرجو أن تكون الأول منهم:

الصنف الأول: يسمع نصائح الآخرين ويتعظ بها ولا يسمح لنفسه أن يقع فى أخطائهم، وينطبق عليه معنى الإنسان الحقيقى الذى يميزه عن غيره من الكائنات فى أنه يفكر ويكون خبرات تساعده على مواجهة واقعه الذى يعيش فيه.

الصنف الثانى: لا يسمع للآخرين ولا يتعظ بأخطائهم ولا يرجع إلا إذا مر هو بالخبرة المحدودة ثم يكون خبراته نتيجة تجاربه هو وممارسته الشخصية، ولا دخل له بتجارب الآخرين، فهذا يستفيد من تجاربه ولا يستفيد من تجارب الآخرين.

الصنف الثالث: لا يسمع للآخرين ولا يتعظ بتجاربه الخاصة، ويكرر نفس الخطأ مرات ومرات، ثم يلوم الحظ والظروف والآخرين، وكأنه لا عقل له يتعظ بغيره ولا شخصية له تكوّن خبرات، وتراه دائماً فى كل واد يهيم، لا هدف يتحرك له ولا ذاكرة تعينه على حياته.

هناك سؤالان لا بد من أن تطرحهما على نفسك، لماذا أتزوج؟ من أتزوج؟

إن أجبت علنهما فلا عليك بعدها فى أمر الزواج؛ لأن السؤال الثالث ستحققه بنفسك، إذا أجبت على ما سبق من الأسئلة وهو كيف أتزوج؟ لأن قبلك ملايين من البشر تزوجوا فى ظروف صعبة واستقامت ماليتهم بعد حين من الزمان طال أم قصر.

والآن لماذا أتزوج؟

وانقل إليك إجابات الآخرين كما هى:

- عشان كل الناس بتتزوج اشمعنى أنا.
- خطر على بالى الزواج قلت أتزوج.
- شهوتى عالية وعايز الحلال.
- عايز أعمل بيت وأولاد ويبقى لى كيان متميز مستقل.
- أهلى عايزين يجوزونى، قلت: فرصة وأكيد هايساعدونى أكثر.
- عايز أكمل مشوار حياتى مع واحدة تبقى مراتى أبادلها مشاعر الحب والحنان.
- عايز أقيم سنة الأنبياء، الزواج، وآخذ الثواب وأحصن نفسى.

اختر لنفسك إجابة من الاجابات واجعلها نيتك فى الزواج، لعل الله يقبلها منك ويثيبك عليها وممكن تعدد النيات الصالحة.

والآن السؤال الأخطر من أتزوج؟ وهو محور رسالتى إليك، وأحفظ لنفسى حق التعليق على كل رد.

١- أتزوج الجميلة [الحلوة]:

حلوة فى عينك أم فى عيون الناس؟ إن كانت الحلوة فى عينك فأنت صاحب شخصية مستقلة فعلا، فمقياس الجمال والإثارة يختلف من شخص إلى آخر، ومن بيئة لأخرى، ومن خبرة لأخرى، فمن النحيفة إلى الممتلئة، ومن الشقراء إلى السمراء، ومن

الطويلة إلى القصيرة تختلف الإجابات، وحق لها أن تختلف فلا تكن إمعة.

فأمك وأبوك لهم ذوق غير ذوقك، والآخرون طبعاً، أم أنك تريد أن يقال (مراته حلوة) وأنت الذى تعيش معها.

ثم اسمع منى فأنا أبوك:

الجمال والقبح يحدث تكيف نفسى معهما بعد مدة ليست بطويلة، فالجميلة جداً هى جميلة جداً لمن رآها أول مرة أو ثانى أو ثالث مرة، ثم تنطبع الصورة فى الذهن بصورة دائمة، وبعدها لا بد أن يجذبك إليها شيء جديد؛ الروح والطبع، أنصحك أن تضيف كلمة أخرى إلى كلمة الحلوة فى عينى وهى الودود؛ ما رأيك فى امرأة جميلة ونكدية وباردة، وضع فى اعتبارك أن التى قلت عنها حلوة قوى قد حققت هدفها معك، فهى تفعل كل شيء حتى يقال عليها حلوة وجذابة، وتقدر تلاقى عريس وتخطفه فى ظل الظروف العسيرة فى الزواج الآن، فالضغوط من حولها وفى دماغها تفرض عليها وهم البحث عن عريس بكل الطرق المتاحة، وتلك الأنثى أنا أسميها اسماً شديداً ولكنه واقعى اسميها (المتسولة)، وقد غاب عن وعيها جملة رددها الأولون والآخرون [الجواز قسمة ونصيب] وأن قدرها سيأتى إليها وإن كانت فى غيابة الجب، وأنه حينما يكون قدرها أن تتزوج شخصاً ما ستتيسر لها الأسباب، وإن كانت أقبح خلق الله، والعكس صحيح. ويقول الناس [النصيب غلاَّب] [لما يجى النصيب تكون حوله ويقول عريسها يا محلى عينها].

وقد حدثنى أحد أصدقائى المقبلين على الزواج عن شرط غريب، وكان يتميز بالعقلانية الشديدة.. مش عايزها حلوة قوى وأضيع عمرى معاها أحرسها وأراقبها أو أشك فيها وهى بريئة.

ثم قضية أخرى فى هذا الشأن، ما رأيك فى فتاة حلوة قوى، وودود ثم هى من أسرة متسيبة لا تحترم قيماً ولا أعرافاً ولا تقيم وزنا لشخصية الأب أو الزوج؟ بمعنى آخر عائلة كل واحد فيها بيعمل اللى هو عايزه، هذه مصيبة أسأل الله أن يعافيك ويعافى كل أولاد الناس منها، وإذا أغفلت قضية (أين نمت وترعرعت) فلا تلومن إلا نفسك.

٢- اتزوج غنية:

كاعتبار أساسى لا يمكن التنازل عنه، أما عن الجمال فأجعله المرتبة الثانية أو الثالثة على أساس أن مالها سيساعدنى فى الحياة، وأن المال هو عصب الحياة، وستتم به أمور كثيرة وخاصة إن كنت غير ميسور الحال. ومرة أخرى نفس الإجابة ما رأيك فى غنية نكدية أو غنية من أسرة متسيبة؟

ويضاف إلى ذلك الطامة الكبرى: غنية متكبرة بمالها وتستعلى عليك بذلك ولا تكف عن المن والأذى، وتصبح أنت معها أسير الشعور بالدونية وهو هنا شعور حقيقى وله سلوك يعضده، لحظتها ستبحث عن إثبات ذاتك وشخصيتك أكثر من بحثك عن مالها، وستخترع من المواقف ما يثبت ذلك وكل من حولك يعرفون ذلك إلا أنت، وإن كانت ذكية فلن تمكنك من كل ما تريده منها، لأنها تعرف جيداً أن المال هو الذى يربطها بك وقد قالوا: (يا واخد القرد على كتر ماله يغور المال ويبقى القرد على حاله)، ثم إنك لم تبحث فى تقلبات الحياة وإنها (مرة عسل ومرة بصل)، وإن الأغنياء أكثر عرضة للكوارث المالية من الفقراء، فالسهام تجاههم كثيرة بسبب مالهم وسيطمع فيهم الآخرون كما فعلت أنت، فلماذا تلومهم؟؟

٣- اتزوج ذات الحسب والنسب:

بمعنى أنها من عائلة قوية أهلها ذوو مناصب ومراكز فى الدولة، وسيساعدوننى تلقائياً لأنى زوج ابنتهم، ويأتى الجمال فى المرتبة التالية، أما المال فهو موجود أو سآتى به عن طريقها.

ونكرر: ذات حسب + نكدية

ذات حسب + ذات منة وتطاول واستعلاء

وأقول يا ابنى أهلها يفهمون ذلك، فهم ليسوا بالبساطة والسذاجه التى تتخيل أنهم لا يدركون الموقف، وهم آخذون فى الاعتبار ضمك لناحيتهم بحيث تصبح تابعاً لهم و(تسمع الكلام)، وسترى مصيرك إذا حاولت إثبات وجودك وشخصيتك، والأسلحة التى كنت ستستخدمها لشق طريقك ستصبح ضدك، فأنت تلعب مع

الكبار، وأنت مطالب بتحمل ابنتهم وعوجها وسفهها دون إبداء اعتراض، بل تمدحهم وتشكر الله على أن رزقك مثلها.

وما زال فى سمعى قصة جارى فى الحى القديم الذى تزوج ابنة أستاذ فى الجامعة، وليس فى ذهنه سوى مساعدة والدها له، وهو يدرك تماماً فى داخله أنه لا يحب ابنته فهو يعرفها جيداً، وقال لى عنها: (جميلة لكن واقفة وطبعها لا يناسبنى أبداً، لكن المصلحة تحكم وكفاية بقى عيشة الفقرا والمقهورين) وتزوجها وباركت عائلته الزيجة، رغم أنهم يعرفون جيداً ومن خلال مواقف محددة رأى ابنهم، ولكنهم كانوا بنفس المنطق يفكرون، وفوجئ الجميع أن الرجل والدها لا يحب أولاده، وأنهم يعيشون فى منزل واحد- فقط لا غير- كأنه بنسيون، وأم الأولاد ليست ميتة كما يظنون، ولكنها تركت الرجل لسوء طبعه وسافرت خارج القطر، وتزوجت ولم تعد، وامتنع الرجل فى صلف وغرور عن مساعدة زوج ابنته، رغم أنه كان يقدر، ووقع صاحبنا فى حيص بيص، امرأة لا يريدها وطفلان، وعاش معها عيشة الفقراء والمقهورين نفسياً التى كان يهرب منها، رغم أن الله وسع عليه من طرق أخرى لم تكن فى حسبانه أبداً.

ابنى الحبيب:

كلامى هذا ليس معناه ترك المال والجمال والحسب، أستغفر الله أن تفهم هذا، ولكن معنى كلامى أن تفكر وتقارن وتقيس الأمور بمقياسك الشخصى من واقع ظروفك ودواخلك التى لا يعرفها أحد غيرك، ولا تغتر ببريق تلك الأمور، فقد يكون السم فى العسل.

اختر ما يناسبك وما تتمكن معه من استمرار الحياة، ورتب أولوياتك بترتيبك أنت، وضع فى الاعتبار شيئاً مهماً: ما الذى تملكه هذه الإنسانة من قيم وأخلاق تمكنها من الصمود فى تيار الحياة الجارف؟ وهل تختار امرأة جميلة فقط أم تختار أماً لأولادك ورفيقة فى مشوار الحياة؟ هذه التى لا تحترم دينا ولا عرفا ولا تقاليد، ولا تعرف معنى العيب؟ على ماذا ستربى أولادك؟ وماذا ستعطيهم؟ وكيف تصبر على متاعبهم وشطحاتِهم كما صبرت أمهاتنا معنا؟

هذه التى تردد كلمات الحرية، وكل واحد يعمل اللى هو عايزه، ماذا ستفعل معك إذا تصادمت أو اختلفت وجهات نظركما حول أمر من أمور الحياة، هو أمر وارد لا محالة وستعرف إذا انقشع الغبار أفرسٌ معك أم حمار؟

☺ انظر جيداً أين نَمَتْ وترعرعت؟
☺ من هو أبوها الذى يرضى أن تخرج ابنته بهذا المنظر إلى الطريق؟
☺ من هى أمها التى حرضتها على ذلك حتى تتزوج؟
☺ من هو أخوها الذى صمت على ذلك؟
☺ انظر إلى البيت الذى خرجت منه تلك الفتاة، من أين ستأتى بالقيم إذا كانت البيئة من حولها لا تعطيها القيم؟

ولابد أن تضع فى اعتبارك مدى تمسك تلك الفتاة بالدين واحترامها له واجعله فى مقدمة الأولويات، وعلى أساسه تترك أو تأخذ، ثم تأتى باقى الأمور تباعاً، فالزواج مسئولية وتبعات وأمانة، وليس استمتاعًا فقط ورفيقة الطريق لابد عند اختيارها من التدقيق، وامرأة صالحة تحفظ مالك وتربى أولادك وتطاوعك أفضل ألف مرة من امرأة طالحة ترضى غرورك وتستمتع بجسدها وتشقى معها وبها فى غير الاستمتاع الجسدى.

وقبل أن أختم الكلام أرد على وهم فى دماغ الناس قالوا: لابد من معاشرتها ومعرفة طباعها وأخلاقها ثم نتزوج، وعلى هذا لا بد أن يخرجوا ويتكلموا ويفهموا بعض..

هذا كلام حق أريد به باطل..

فالخروج والكلام والتفاهم الذى يتكلمون عنه مجرد تجمل لا أكثر، كل يحاول أن يثبت أنه أحسن ما يمكن وبخاصة الفتاة، وإن المعرفة الحقيقية لا تأتى إلا بالمعاشرة الممتدة الطويلة، والتى يتخلى فيها كل طرف عن ديكوراته، وهذا لن يحدث إلا حينما يغلق عليكما باب واحد.

وأنت ستعرف عن زوجتك ما لا يعرفه عنها أبوها وأخوها، فالقضية قضية ارتياح مبدئى نفسى وقبول وتأتى الحقيقة بعد الزواج.

والله تعالى يوفقك ويرعاك ويهديك إلى سواء السبيل.

نموذج لمعاناة شــــاب

السؤال:

مشكلتى تكمن فى كونى أريد أن أخرج من ثقل الماضى الذى صنعه لى حب فتاة تعلقت بها، وبعدها كان الفراق، ويا له من فراق غيَّر مسار حياتى كلياً، فما أطلبه منكم هو أن تمدونى بحلول مناسبة للخروج من دوامة الحيرة التى أعيشها، والله لا يضيع أجر المحسنين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته - العاشق الحائر.

■* الـــرد *■

الأخ الحبيب..

رفقا بنفسك وهوّن عليك..

لقد اجتمع عليك أمران ثقيلان..

حداثة السن - ثقل التجربة..

فالسن التى تمر بها هى سن انفجار العواطف وسحر المشاعر، وفيها يسعى الإنسان إلى تحقيق خياله وطموحاته وأحلامه، وخاصة العاطفية منها ويسمو بطبيعته إلى الكمال والمثالية، ولا حرج فى كل ذلك؛ لأن الواقع وخبرة الأيام كفيلة بتعديل ذلك كله وتهذيبه، بل قد تصل فى الأربعين إلى عكس ما كانت عليه فى العشرين.

ويسعى الإنسان فى هذه المرحلة إلى التعلق بتجاربه وخبراته الانفعالية والعاطفية، ويسكب عليها ما فى داخله، ويجمل الواقع ويكذب على نفسه؛ لأنه فى الحقيقة يعيش بعواطفه وانفعالاته لا بعقله وواقعه.

وعندما يصطدم بصخرة الواقع، ويزول الانبهار يبدأ فى الشعور بالخيبة والندم بنفس القوة والحدة.

أما من حيث نفس التجربة التى عشتها فلم ترد لنا أى معلومات عنها لتقييمها مبدئياً ولو من بعيد، ولكن يكفينا أنك حزين ونحن محزونون لذلك.

أخى الحبيب إن سيدنا يوسف عليه السلام كان رمزاً للصبر والعفة فكن كذلك..

الماضى خبرات فقط لا غير فهو ماضٍ..

وأنت حينما تعيش فيه فإنك تدمر حاضرك ومستقبلك، والله تعالى وضع العينين لتنظر للإمام وليس للخلف.

والسؤال: ما الفائدة المترتبة من أن تعيش فى تعاسة وحزن؟ ما نهاية هذه المرارة؟ إلى متى سيتسمر الحال؟

ضع هذه الأسئلة أمامك وأجب أنت عنها حاول أن تشغل نفسك بأى عمل شاق يستغرق وقتك وجهدك، والهدف ليس المال، ولكن شغل النفس، ابعد عن الأماكن المثيرة للذكريات..

ألزم نفسك بأصدقاء واشْكُ لهم وتنفس معهم..

لو كانت لك هوايات من الشعر أو الأدب أو القصة فهذه فترة الإبداع فيها..

اشغل نفسك بالرياضة..

باختصار.. لا تترك نفسك نهباً لنفسك، واستعن بالله ولا تعجز، وارفع يدك إلى الله طالباً العون،فإن الله لا يرد يد عبد مرفوعة إليه، والله يعينك.

نموذج حالة
ساعدونى في الاختيار

السؤال: أبحث عن الزوجة الصالحة، أى الزوجة التى تكون ذات الدين، كما قال الرسولﷺ ، وقد وجدت فتاة تدرس فى مقر دراستى، وأنا أكبرها بعام واحد، وأعتقد أنها ذات الدين من مظهرها، أى أنها تلبس اللباس الشرعى الذى أوصاها الله تعالى به، وقد دخلت قلبى، وأريد الزواج منها فى المستقبل إن شاء الله. والمشكلة أننى لم أتحدث معها لأعرف تفكيرها، وأريد منكم أن تعينونى بطريقة لأتحدث معها لكى أصارحها بما فى قلبى وأعرف ردها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

■* **الحل :** وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

اللهم أعن أخانا فى أمره، وأعنا على إرشاده، يا أخى جزاك الله خيراً فقد كفيتنا أمر الإشارة إلى ضرورة التزام من تريد أن تتزوجها بالهدى الظاهر، وكفيتنا الحديث حول قضية [الأخلاق] وأهميتها، فهذه الأمور قد استهلكت تماماً عرضاً وتمحيصاً.

ونقطة مهمة: هى الميل المبدئى تجاه الطرف الآخر، بمعنى أنه إذا نظر إليها سرته، أو على أقل تقدير لم يجد نفوراً، فإن وجد راحة فليمض وإن لم يجد فليرجع.

واعلم يا أخى الحبيب.. أن القضية أعمق من هذا وهناك أمور يجب التحرى عنها فالزواج ليس بالأمر الهين، فلا بد من التحرى عن الخلق والطباع.

ونقصد به السلوك التلقائى وطريقة التعامل العادية فى أثناء اليوم، وطريقة الشخص فى التعبير عن نفسه سواء باللفظ أو بحركات الوجه والجسم والأيدى وطريقته فى إظهار انفعالاته المختلفة العادية، وهذا الأمر سهل تتبعه، حيث إنها تدرس فى المكان نفسه معك حسبما ذكرت فى رسالتك.

وقد شدد أبو حامد الغزالى -رحمه الله- على الحياء وجعله مفتاحاً للخلق والطباع، ثم لا بد من دراسة أفكارها. ونقصد بذلك اهتماماتها الفكرية الشخصية، هل هى عامة تخص البشر أم خاصة تتمركز فيها حول ذاتها، أم أنها مشتركة تشمل هذا وذاك، وهل توجد ضلالات أو أوهام أو معتقدات خاطئة أو غيبية شاذة لا تتفق

مع ثقافتها وبيئتها.

ومعرفة طريقتها فى حل المشكلات العادية والصعبة التى تواجهها، وطريقة الحكم على الأمور، والقدرة على الاستنباط واستخلاص المعنى ثم لا بد من دراسة المشاعر: من الفرح والغضب والضيق والضجر، وشدة كل منها، وأيهما هو الغالب على الشخص وكمية العواطف والمشاعر فى حبها نفسها، وهل يغلب عليها التفكير العقلانى أم لا؟ وهل هى باردة؟ أم جادة؟ وطريقة التعبير عن الانفعالات والقدرة على كتمانها أو إظهارها ثم الوضع الاجتماعى ويشمل:

- البيئة التى نشأت فيها، والقيم المنتشرة فيها: مادية، معنوية، مشتركة.
- المستوى الاقتصادى للأسرة. مرتفع: وهذا له مساوئه ومحاسنه.. أم منخفض إلى درجة فقر منسٍ.. طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة.. والدها مع والدتها.. الإخوة مع بعضهم، ومع والديهم.

ولا تنس قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ فالأسرة تؤثر على الشخص. الوضع الثقافى لها؛ ولا نقصد المؤهل الدراسى بل نقصد مدى اهتمامها بتثقيف نفسها، ومدى درايتها بالبيئة حولها ومشاكلها، ومدى درايتها بالعالم ككل.

وقراءاتها هل هى فى مجال واحد أم مجالات متعددة؟ ومدى كثافتها فى كل حالة؟ ومدى تأثيرها على سلوكها واعتقاداتها؟

والمقصود أن تتم دراسة تلك الأمور بكل صدق وبصورة تعطى كل نقطة أهميتها بالنسبة لك أنت؛ فأنت الذى ستعيش معها، ولا أحد غيرك، ثم لابد أن تدرس أكبر عيوبها وأهمها، وهل أنت قادر على التفاعل والتعامل مع هذا العيب؟

ثم مميزاتها وهل هذه المميزات تمثل شيئاً ذا قيمة فى حياتك؟ أم أنها ذات قيمة عند الآخرين، ولا تهمك كثيراً؟

ثم هل هناك قدرة على التفاهم والتواصل المشترك؟ ونقطة هامة هى تقييم الموقف ككل، وليس كأجزاء متفرقة وبمعنى أوضح الموضوع بكامله يناسبك أم لا؟

ولتلح فى الاستخارة الشرعية، ولا تتركها فى كل خطوة من خطواتك، واعلم أن الصواب والخطأ فى غير المجال الدينى المحض هو عملية نسبية، تختلف باختلاف الأعراف والأماكن والأشخاص، وأحياناً الأمزجة، وأنه لن يحصل على درجة ١٠٠٪ إلا رسول الله ﷺ، ولتكن نيتك سددوا وقاربوا، وأن ما يمكن تحمله فى هذا البند هو كذا وكذا، وما لا يمكن تحمله هو كذا وكذا، ولتكن درجته سالبة.

ويحق لك شرعًا: التخفى والتلصص وسؤال الآخرين والتحرى ما دمت تنوى الزواج، ولا يحق لك ذلك بغير هذه النية.

فبعد التحرى والتقصى ما استطعت وبما لا يشوش على الفتاة اطلب التقدم لوالدها.. ثم اجلس معها فى وجود محرم، وتكلم فيما شئت، وأنصت إليها جيدا، وليكن وجود المحرم هو فقط لانتفاء الخلوة وليس لكى يتدخل ويبدى آراءه، ثم إذا وصلت لقرار بنعم أو لا فاطلب ردها بنعم، أو لا، ثم لا يصح بعد ذلك شيء.

واعلم أن: حق الرفض أو القبول هو حق مطلق لكلا الطرفين، ولا يطالب صاحبه بإبداء الأسباب، ولا يعنى أبداً أن فى الآخر عيباً، ولكنه فى مجتمعاتنا الشرقية قد يشوش على الفتاة، فراعِ ذلك ما استطعت.

واعلم أيضا أن أخلاقها وطباعها لن تنكشف لك كلية إلا بعد زواجكما كما حدثنا كل من تزوجوا سواء تعارفوا قبل الزواج أم لم يتعارفوا. ولكننا نتحرى الأخذ بالأسباب ما استطعنا..

واعلم أيضا أن الحب الحقيقى يأتى من خلال العشرة التى تكشف المعدن الأصيل من خلال الأزمات والمواقف الصعبة..

واعلم أن الزواج هو رحلة حياة بما فيها من مسئولية وحب وكره وضعف وقوة، وليس مجرد إعجاب من الطرفين، فالحب وحده لا يكفى فى تلك الرحلة الصعبة، وإن هذا الإعجاب ليس إلا فاتحة خير لها ما بعدها، وفقك الله وأعانك، ونرجو منك مراجعة المشاكل التالية: أريد الزواج.. ما الخطوات؟ والبحث عن الفتاة المناسبة.

أم العيال حاجة تانية

كنت صغيرًا متعلقاً بجدى ودائماً ألاصقه وأخرج معه، فقد كان كريماً ودوداً يألف ويؤلف، كان رحمه الله كبيراً فى قومه يرجعون إليه فى استشكالاتهم، وكنت أرى جميع الطوائف تأتى إليه؛ الكبير والصغير، المرأة والرجل، الرجل البسيط الساذج والرجل القوى المتمكن. وجاءه ذات يوم شاب من العائلة مشتبك مع والديه وأعمامه لأنهم رافضون لزواجه من فتاة معينة هو يحبها ويريدها زوجة.. ومتخيل أن الحياة بدونها لا طعم لها ولا لون ولا رائحة.

وجلس الشاب يهتف كأنه فى مظاهرة حماسية، وتتحرك مع حنجرته يداه ورجلاه وجسمه كله فى تعبيرات لا لفظيه يفهمها أغبى الناس وأجهلم بشئون الحياة، وجدى ساكت ولكنه متجاوب معه، يدفعه لمزيد من الكلام والفضفضة، ولما انتهى من كلامه تكلم جدى: أنت قلت الكلام ده لأهلك.

- أجاب: مئات المرات وهمّ فاهمين حقيقة مشاعرى تجاه البنت ومش قادر أفهم أليس هذا كافيًا لإقامة أسرة سعيدة.
- أنت فاهم غلط أحنا فى مجتمع شرقى، دى عيلة بتدخل فى عيلة تانية، مش واحد يتجوز واحدة، هم مش هايسيبوا بنتهم لوحدها أبداً، واحنا كمان مش هانسيبك، لما تيجى تولد نسابيك هم اللى فى الصورة. لما تزعل معاك أحنا اللى فى الصورة. لو سافرت هى عند أهلها لحد ما تحصلك. لو مت أولادك فى رقبتنا لحد ما يكبروا.

لما تمرض أو تتعب أمها وأخواتها البنات هم اللى فى الصورة أنت فاهم أن الحكاية أنت وهى وبس؟ لو الحكاية كده أتفضل خدها وروح للمأذون، بس مالناش دعوة يا ابنى الحياة أخذ وعطا، والإنسان لا يستغنى أبداً عن جماعة تحميه وتؤيده وتعينه فى مشوار الحياة والجماعة دى أفضل صورة لها أهلك مش أصحابك ولا زمايلك فى الشغل أنت باين عليك

مخك ضيق قوي.

مش عايزك تقف موقف تندم عليه بعد كده ويأخذك العند والكبر ويمنعوك من التراجع والاعتذار، وفى الحاله دى أنت بس اللى خسران مش حد ثاني.

أبوك قال أيه على أهلها؟

- قال عليهم: خايبين جبانات والستات هى اللى متصدرة فى الأمور، وكمان قال: إن أبوها كل ما حد بيجيله فى حاجة يقول ماليش دعوة وأنه هايعمل كده مع بناته، والطبع غلاب.
- وإيه رأيك فى كلام أبوك؟
- وأنا مالى أبويا بيتكلم فى غير الموضوع، المهم عندى هىّ.
- يبقى أنت مسمعتش كلامى اللى فات، ورميته من دماغك وأنت جى علشان تجرنى معاك وغير كده لا.
- أنا آسف وأؤكد أنى جى أسمع رأيك أولاً ولو جيت معايا يبقى خير.
- يا بنى متلفش علىّ عيب، أنت أنانى ولا تفكر إلا فى نفسك، والآخرين مطايا للركوب عليها والوصول لأغراضك، أفهم بقى: فى حاجه أسمها الآخر وله كيان ورأي. ما علينا البنت أخبارها إيه؟
- قمر وملاك نازل من السما حلوه وصغيرة عفريته.
- مش بسأل على كده، أنا أسأل بتتحمل المسئولية؟ واعية لنفسها؟ هل سمحت لك تمسك أيدها أو أزيد؟. إيه رأيها فى كلام عيلتك؟ لأنك طبعاً حكيت لها.
- طبعاً حكيت لها وقالت المهم عندى أنت- شوف بتضحى أزاي؟!
- كمل بقيت السؤال.
- هى صغيرة ومش مقدرة المسئولية، وعندها استهتار- وتحدى للقيم الموجودة

في المجتمع، ودى بيعجبنى فيها ودائماً تقول.. لقمه تكفينا وأوضه تأوينا واللى يقول يقول.

- كمل بقيت السؤال.
- أنا مكسوف.
- كمل لو مفيش مصارحة يبقى مفيش معلومات، يبقى مفيش وصول للحقيقة، وحرام عليك تضيع وقتي.
- أيوه مسكت إيدها وأحاول تقبيلها ومفيش مكان يسمح بذلك. مجتمع متخلف!! الناس برة بتبوس بعضها فى الشوارع!! لكن والله ما عملنا اللى فى بالك.
- ممكن أسأل سؤال.
- أتفضل وأوعدك بالصراحة فى الرد.
- لما تخلفوا أولاد البنت دى ها تعلم عيالك إيه؟
- الأدب والدين والصلاح.
- منين إذا كانت هىّ مش كده ولاّ حلال عليكم حرام على عيالكم... إزاى هاتعلم ابنك يحترم والده وأنت وهى لا تحترموا والديكما؟؟... فين الصلاح والعفاف والأمور دى؟ لابد أن تكون لها بدايات تكبر مع الزمن.

وبعدين لو بتحبوا بعض لازم تدلك على بيتها وتقول لك اتفضل بطريقة رسمية بدل ما تدلك على كازينو فاضى ولا شارع ضلمة يبقى ها أقولك جملتين هما رأي.

مشيت معاك تمشى مع غيرك.

ام العيال حاجة تانية.

الباب الثامن

دور الوالدين والمربين

١- مفاهيم للمناقشة [جلسة الشاي بعد العصر وفيم نتكلم]؟

٢- علامات النضج فى الشخصية

مميزات التفكير الناضج.

٣- ظواهر تستحق التوقف معها:

أ- فقدان الثقة بالنفس.

ب- الميل الشديد للوحدة.

ج- الالتصاق الأعمى [مع عرض حالتين].

د- تحكم الوالدين الزائد.

عرض حالة الأم المتسلطة [الطبع بعد الروح].

عرض حالة [الطلاق العاطفي].

دور الوالدين والمربين

الدور المطلوب ممن يقوم بالعملية التربوية [والد، مدرس، مشرف] يمكن تلخيصه فى حل المشكلات التى تواجه مرحلة المراهقة حتى يتيسر لـه النضـج الكامـل وشـق طريقه إلى الحياة العملية فى:

١- إبراز مثل أعلى يصلح للتقليد والتقمص مع دراسة السيرة بالتفصيل (سيرة عمر بن عبد العزيز، الأئمة الأربعة، البخارى، صلاح الدين، العز بـن عبـد السلام، الغزالى، البنا، وغيرهم).

٢- الحرص على الإشباع العاطفى وفتح الحوار المطلق مع روح الترابط.

٣- تنمية الثقة بالنفس (تنمية الذات، تشـجيع تحمـل المسـئولية) حتـى تتحقـق هويته عند نفسه.

٤- المساعدة المالية المشروطة.

٥- إشعار المراهق بالتقدير والاهتمام وعدم معاملته معاملة الأطفال.

٦- التوجيه نحو الاستقلالية:

- يقوم بجميع أعماله بنفسه (اختيار ملابسه، كيها، إعداد طعامه، أدواته الخاصة).
- عرض تجارب ناجحة فى الحياة اعتمدت على نفسها (صـاحب مصـنع، أو تاجر بدأ فقيراً، صاحب دعوة مات من أجلها).
- محاسبة النفس ومعرفة عيوبها وتقصيرها وإلزامها بأشياء معينة ضد هواها.

٧- امتهان مهنة للتكسب منذ بدء المرحلة الثانوية (كتابة كمبيوتر، تجارة، سباكة، خطاط، كهربائى، ترزى، نقاش، وغير ذلك).

٨- الاهتمام الشديد بالرياضة (سـباحة، ألعـاب قـوى، خيـل، كمـال أجسـام) باعتبار أنها:

- قوة للبدن.
- مصدر للثقة بالنفس.
- تصريف للطاقة الزائدة.
- إشباع للتحدى والتنافس.
- القوة وحماية الضعفاء وحماية الحق.

٩- دراسة تفصيلية للأخلاق وأهميتها وارتباطها بالفعل (خلق المسلم للغزالى، خلق المسلم الإحياء).

١٠- تشجيع المشاركة الاجتماعية (النوادى- الكشافة) وتحقيق علاقات اجتماعية ناضجة مع الآخرين.

١١- وجود هواية أو مهارة خاصة فى حياته وهو أمر هام.

١٢- مراعاة وجود مساحة من الثوابت والقواعد التى يجب أن يحترمها.

- قيام العلاقة على أساس الاحترام المتبادل.
- فعلى المربى ألا يهينه أمام الناس، وعلى المراهق لا يتجرأ بالقول ولا يخرج عن حدوده.
- شرح حيثيات أى قرار يخصه واستطلاع رأيه قبل إعلامه به.
- إشاعة روح الترابط والتماسك.
- تفهم رغباته فى المخاطرة والعناد والجدل والاستطلاع.
- تفهم أن عواطفه كلها متقلبة وفى حالة فوران.

١٣- إعطاء مساحة قابلة للتزايد من:

- الحرية.
- ذاتية التصرف والتفكير.
- الاستقلالية.

مفاهيم للتدارس فى جلسات مفتوحة أو حلقات أو جلسة الشاى بعد العصر فبماذا نتكلم؟

١- المسئولية الفردية، المسئولية الاجتماعية:

أ- حديث قوم ركبوا فى سفينة.

ب- آية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

٢- العبادة وأهميتها فى الارتقاء بالفرد:

دور الفرد فى الحياة كإنسان متدين.

٣- الحرية:

ومعناها المطلق والنسبى.

٤- الاستقلالية:

- الفكرية - المادية - وضرورة تحقق استقلاليتهما

٥- أهمية الحوار:

- النقاش - الاستماع.

٦- الإخلاص والصدق والأخلاق: المروءة، الشجاعة، الخدمة، الفتوة.

٧- أهمية التخطيط والتفكير فى المستقبل والإعداد له:

التفكير فى الكون بالملاحظة واستخدام العقل استعمال الفكر (باب التفكير- إحياء علوم الدين).

٨- التعلق بالله والاعتماد عليه والثقة فيه:

أ- إثبات وجود الله. ب- حب الله. ج- ذكر الله.

د- حب النبى ﷺ. هـ- حديث شاب نشأ فى طاعة الله.

٩- دراسة الأبواب الفقهية المتعلقة بالجنس:

- الغسل؛ موجباته وكيفيته. - الجنابة - الاحتلام للرجل والمرأة

- الحيض وأحكامه	- الزنى	- اللواط
- السحاق	- زواج المتعة	- أحكام الطهارة
- سنن الفطرة	- الاستئذان	- أحكام الطهارة

مع تقبل وضعه الجنسى كذكر أو أنثى ودور الجنس فى الحياة.

١٠- دروس فى:

- العفاف (حديث الثلاثة الذين انسد عليهم الغار - حديث رجل دعته امرأة).
- الصبر (قصة يوسف، محنة أحمد بن حنبل).

١١- أبحاث يقوم بإعدادها:

- دعوة تحرير المرأة.
- حوار الحضارات.

١٢- أهمية المادة فى الحياة: القدرة على الكسب وأهمية الاستقلال المادى.

١٣- أهمية الروح فى الحياة: مع الرد على أسئلة محددة: لماذا جئت؟ وما هو دورى فى الحياة؟

١٤- معنى الدين، والعرف، التقاليد.

١٥- التشجيع على الانضمام للكشافة والجوالة.

١٦- المبادأة والاجتهاد.

١٧- الثقافة: كمجموعة من القيم والأفكار والمفاهيم، وقواعد السلوك التى لها القدرة على توجيه قرار وتصرفات الأفراد والمجتمع، والتى تنبع من العقيدة أو الفلسفة التى يؤمن بها ذلك المجتمع، وضرورة أن تكون ثقافتنا نابعة من قيمنا كمجتمع متميز، ولا يصح أن تكون مستوردة من أى مجتمع آخر.

علامات النضج فى الشخصية

- ضبط الانفعال.
- السيطرة على النفس.
- قلة الاعتماد على الآخرين.
- تعدد الاهتمامات وتنوعها.
- الانضباط الأخلاقى.
- وجود خطة الحياة.

مميزات التفكير الناضج

- القدرة على استخلاص المعانى.
- التعامل مع الأشياء الحقيقية أكثر من الخيال.
- قدرة الشخص على توجيه وضبطه وعدم الشرود.
- أن يكون له هدف.
- التميز بين الذاتى والموضوعى.
- قلة التأثر بالعوامل الذاتية.
- القدرة على تمييز البيئة الخارجية.

ظواهر تستحق التوقف عندها

أ- فقدان الثقة بالنفس:

شعور بعدم الكفاءة أو عدم القدرة على مواجهة مواقف جديدة أو صعبة مصحوب بالتردد عند اتخاذ القرار وبعده مع خوف غامض وتوتر. وله مظاهر عديدة:

أ- الخجل والحياء الزائد مع صعوبة فى مواجهة الناس أو التحدث أمام تجمع غير مألوف، مع صعوبة فى التعرف على الغرباء أو إقامة علاقة معهم، وميله للعزلة والانطوائية لتفادى ذلك الشعور بينما هو فى قرارة نفسه يحب الناس، ويريد التواصل معهم. وهذه النقطة الأخيرة تميزه بوضوح عن الاكتئاب، حيث إن الشخص المكتئب لا يحتاج فى داخله إلى الآخرين ويميل للبعد عنهم؟

ب- صعوبة التعبير عن الذات أو الإفصاح عن رأيه، ويبدو الشخص أقل بكثير مما فى داخله من مشاعر وأحاسيس، ويبدو أضعف من زملائه، ويصل فى النهاية إلى قناعة داخلية بأنه أقل ذكاء ومواهب من الآخرين وينتابه إحساس عميق بالدونية.

ج- صعوبة الثبات على موقف معين أو سلوك معين، فهو دائماً يتقدم خطوة ثم يتأخر خطوتين، ويصعب عليه البت فى الأمور دون مساعدة الآخرين.

د- البعد عن اقتحام مواقف جديدة، وإذا أجبر على ذلك تجد عنده صعوبة فى التكيف مع الخبرات الجديدة.

هـ- هيَّاب للمواقف والمواجهات ويعمل للأمور البسيطة ألف حساب، ويصاب بالإحباط السريع واليأس عند أول صعوبة أو عقبة تواجهه، مع توقع الفشل والكوارث والتهرب الدائم من المسئولية.

و- الميل إلى الاعتماد على الآخرين المقربين [الوالدين، المعلمين، الأصدقاء].

أسباب الظاهرة:

الجذور البعيدة:

١- عدم إشباع الحاجات الجسدية والمادية فى مراحل الطفولة الأولى، فينشأ فاقد الثقة فى البيئة (المحروم من الإشباع العاطفى والحب والحنان وهو صغير «يصرخ ولا أحد يجيبه، يجوع فلا يطعمه أحد، لا أحد ينظف ثيابه».

٢- استمرار التوبيخ والإهانة من أحد الوالدين أو كليهما، وخاصة إذا كان التوبيخ أمام الآخرين (الاضطهاد)، فغالباً الشخص فاقد الثقة فى نفسه هو إنتاج أم متسلطة أو أم تمارس الحماية الزائدة أو أب قاسٍ.

٣- عدم التدريب على تحمل المسئولية منذ الصغر [إما تدليلاً، وإما إهمالاً].

٤- الإفراط فى العقوبة البدنية، وخاصة الضرب المبرح، أو العقوبة اللفظية وخاصة التوبيخ المستمر.

أسباب قريبة:

- طموحه أكبر من قدراته.
- الفشل المستمر فى إنجاز الأعمال.
- الضعف الجسدى أو الهزال أو الأمراض المزمنة (فقدان الإحساس بالقوة) أو وجود حادثة معوقة تعرض لها.
- عدم التشجيع عند الإنجاز.
- حالات التقلب النفسى المستمرة عند المراهق.

العلاج وقائى مبكر:

- تربية الطفل بطريقة تعطيه شعوراً بالثقة فى النفس (إسناد أعمال تتناسب مع قدراته ومكافأته عند القيام بها).

- المساواة فى المعاملة بين الإخوة.
- إتاحة الفرص للطفل لكى يعبر عن مشاعره.
- إشعار الطفل بأنه مقبول ومحبوب.
- تجنب التدليل الزائد والحماية الزائدة.
- تدريبه على تحمل الفشل، ومواجهته وطريقة الخروج من الأزمات.

علاج للحالة:

- التوعية بالأمر.
- إكساب الثقة التدريجى (تحمل المسئوليات تدريجيا).
- التشجيع على:

- الكلام فى التجمعات.
- التعبير عن الذات.
- تقبل الفشل وتحمله.

- معايشة الحالة والنزول المؤقت معها لمسرح الأحداث، مع الأخذ بيد المراهق حتى يسترد ثقته بنفسه، فلا بد من التأييد والتعضيد والتشجيع، وشرح المواقف مع الصبر على تردده وضعفه.
- إشعاره بأنه مقبول ومرغوب فيه.
- اكتشاف المهارات أو الهوايات المميزة له وتشجيعه على إظهارها.

ب- الميل الشديد للوحدة

- عكسية تماماً لقضية الشلة والميل إلى التجمعات.

يرغب المراهق فى الوحدة ويعزف عن الجلوس مع الأصدقاء أو الخروج معهم.

أسبابها:

١- قد تكون ظاهرة تلقائية فى الحياة المزدوجة، حيث يسعى الفرد للحصول على فرصة حقيقية للتأمل والتفكير والتخطيط ومراجعة ذاته (ولكنها

تتحول لمرضية إذا تكررت أو زادت) فالفرد الطبيعي يميل في بعض أوقاته للوحدة والعزلة.

٢- قد تكون انعكاساً لـ:

أ- فقدان الثقة في الذات.

ب- الفشل المستمر في العلاقة مع الآخرين.

ج- إفراط في أحلام اليقظة.

د- عدم وجود مثيرات في البيئة.

هـ- إحساسه بأن الناس ينظرون إليه بسخرية أو ازدراء.

٣- شعور المراهق بالارتباك والقلق نتيجة:

- تعثر الحركة (سرعة نمو عظامه).
- صعوبة التحكم في الصوت ونبراته.
- عدم التناسق في مظهره العام (طوله متغير، جسمه نحيف).

العلاج:

- فهم كل حالة على حدة ومعرفة آدابها.
- التوعية الصحية بمعرفة طبيعة المرحلة التي يمر بها.
- تقوية الثقة بالذات.
- التشجيع المستمر على الاختلاط بالآخرين تدريجياً.

وقد ظهرت في تلك الأيام ظاهرة أقرب إلى الميل الشديد للوحدة وهي ظاهرة إدمان الكمبيوتر، حيث يجلس الساعات الطوال يومياً وبدون ملل أمام ألعاب الكمبيوتر أو على الإنترنت.

ج- التعلق الشديد والالتصاق الأعمى:

- تحدث بين الإناث والذكور من الجنس الواحد.

- يتم تحقيق معانٍ سامية من خلالها (الصداقة، الوفاء، التوحد).
- تمثل مصدر سعادة للطرفين، ويرى كلاهما عدم الحاجة إلى قطعها أو تغييرها ويستغنى عن الآخرين.
- **يمكن اعتبارها ظاهرة سوية إلا إذا:**
  * كانت معوقة لنمو العلاقة الاجتماعية مع الآخرين.
  * كانت تعكس عجزاً عن التعايش بطريقة سوية مع الآخرين.
  * كانت تعكس إحساساً بالخجل أو النقص أو عدم الثقة فى النفس.
- يستحب تنمية اتجاهات أخرى، مثل: صداقات جديدة، زيارات ورحلات ممن هم فى مثل عمرهم.
- يؤخذ فى الاعتبار القيم والمعايير السلبية الناشئة عن هذه الظاهرة.

والصورة الشائعة:

هى لصديقين من نفس الجنس يقضيان كل الأوقات معاً بصورة لافتة للنظر ومتكررة، وهما شبه منعزلين عن الآخرين، وغير مباليين بهم، ويغار أحدهما على الآخر، وقد يتشاجر معه حينما يتحدث مع آخرين، ويخرجان معاً ويشتريان نفس الثياب، والآخرون يلحظون ذلك وهم فى غفلة شديدة عنه والتدخل بحدة لفصل العلاقة يواجه برفض شديد ومزيد من الالتصاق بين الطرفين، ولا بد من الرفق والفصل التدريجى، وشغل كل طرف عن الآخر. فالظاهرة وإن كانت غريبة فهى فى حدود (السوى).

* * *

عرض حالة (١)

رسالة على الإنترنت

السؤال:

إخوانى فى الله..

لا أدرى ماذا أقول: فمشكلتى هى أننى أصغر إخوتى، فأقل إخوتى يكبرنى بتسع سنوات، فيوجد فارق كبير فى التفكير بينى وبينهم، وأنا فى السابعة عشرة من عمرى، وجدت فى أحد أصدقائى الأعزاء ضالتي فهو يماثلنى فى طريقة التفكير، وأجد المتعة والتسلية فى جلوسى وتحدثى معه، ولكن ليست هذه هى المشكلة.

المشكلة هى أننى أريد أن أجد طريقة بحيث أجعل هذا الصديق العزيز يحبنى أكثر وأكثر، فتصبح علاقتنا ليست صداقة بل أخوة، فمثلاً أحياناً عندما أخرج معه إلى السوق قد ينس أن يأخذ معه المال، فأقول له: ما رأيك أن نشترى من هذا الدكان فيقول: ليس معى مال، فأقول له: لا مشكلة، أنا أشترى لك. فيقول: لا. من أنت حتى تصرف على. أنا أكره هذه الكلمة، أريد أن أتقرب منه أكثر وأكثر، علمًا بأننى أعتبره مثل أخى الصغير حيث إنه يصغرنى بثلاثة أشهر فقط، ولكن كيف أجعله يعتبرنى أخاه؟ أنا وحيد جداً جداً، ولولا الخجل من سؤال أى أحد من الناس عن طريقة تقوى الصلة بينى وبين ذلك الصديق لما بعثت لكم، ثقتى بكم كبيرة وشكرًا لكم.

الأخ الحبيب:

شكرًا لك على خطابك الجميل الرقيق، وشكرًا لك على ثقتك بنا، وأسأل الله أن يجعلنا أهلاً لذلك.

أنت يا حبيب فى سن الزهور والنضج والانطلاق، وعواطفك وانفعالاتك فى هذه المرحلة تتميز بأنها قوية ومندفعة ومتقلبة، وفى هذه المرحلة أيضا يبحث الإنسان

عن المعانى السامية فى الحب والصداقة والفتوة، ويحاول تحقيقها وإثباتها فى حياته وحياة الآخرين ويكون صادقا ومخلصا فى ذلك، بل ويسعى إلى تحقيق تلك المعانى فى صورتها المثالية أو أقصى صورة لها، وهذا ما تفعله أنت حيث تقول: أريد أن يحبنى أكثر وأكثر.

ولكن أرجوك يا أخى أن تتمهل قليلاً وتعطى فرصة لعقلك أن ينظر إلى الموضوع فالعقل له نظرات وقواعد قد تتعارض مع العواطف والمشاعر، والشخص الناضج هو الذى يحسن التوازن بينهما.

فأنت تعانى من وحدة وفراغ وحاجة إلى إثبات الذات والتعبير عن المشاعر، وفى ظل هذه المعاناة وجدت هذا الشخص فى حياتك فاندفعت إليه نفسك بقوة شديدة، وأعطيت هذا الشخص كل ما بداخلك من معانٍ وأفكار وخيالات.

وكل ما أخشاه أن لا يتحمل هذا الشخص كل هذه الشحنة العالية من العواطف والمشاعر، وقد يضيق بك ذرعاً، وقد يهجرك وستنقلب فى هذه الحالة رأسا على عقب وستمتلئ عليه غضباً وسخطاً، وربما تتصرف معه بطريقة غير لائقة تسبب لك حرجاً فارحم نفسك من الوصول إلى هذه النهاية.

والحل الأمثل لك يا أخى هو توسيع دائرة المعارف والأصدقاء، فاختر من هو فى سنك المتقارب معك روحياً واجتماعياً، واقترب منه حتى تزيد المساحة التى تثبت فيها مشاعرك وأحاسيسك، وتكتسب أنت خبرات اجتماعية ونفسية من خلال الآخرين.

فلماذا لا تجرب هذه الطريقة.. حاول وفتش فى أصدقائك بالمدرسة أو الحى أو الأسرة، وستجد فإذا أبيت فتمهل مع صديقك هذا، ولا تندفع ناحيته كالسيل، وتذكر قول النبى ﷺ : «أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضا يوما ما، وابغض عدوك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما».

* * *

عرض حالة (٢)

رسالة على الإنترنت

السؤال:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد..

مشكلتى هى أننى أحب صديقاً لى حباً كبيراً، حيث إنى لا أطيق له فراقا، وأصبحت لا يهنأ لى بال إلا إذا كان بقربى، وطبعاً فإنه ومهما كان حبه لى فلن يكون كحبى له، إذ أصبحت اغتاظ جداً لما أراه لا يسأل عنى ولا يأتى لزيارتى، وهذا طبعًا ليس من باب أنه قد تنازل عنى كصديق له، إنما هو أمر كنت سأتقبله لو كان مصدره أى صديق آخر، وأيضا تصاب نفسى بتأثر كبير لما أراه مع شخص آخر غيرى.

■* الــرد *■

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

الذى تتحدث عنه يا أخى الحبيب ليس حباً لصديق بل هو ظاهرة فى علم النفس تسمى الالتصاق الأعمى *Blind Adherence*، حيث يقترب اثنان من نفس الجنس، وغالبا من نفس العمر، وتنشأ بينهما علاقة عميقة تصل إلى الغيرة على الطرف الآخر من مجرد الكلام أو الالتفات لآخر غيره، والرغبة فى تملك الطرف الثانى والاستحواذ عليه وأن يجلس بجواره لمجرد الفرجة والاستمتاع، وهذا واضح جدا فى عباراتك حيث تقول: لا أطيق له فراقا، لا يهنأ لى بال إلا إذا كان بقربى، أغتاظ لما أراه لا يسأل عنى ولا يأتى لزيارتى، أتأثر لما أراه مع شخص غيرى.

والمشكلة ليست فى طبيعة العلاقة، فالنفس لها أحوال وحالات كثيرة ومتنوعة ومتباينة، لا يحيط بها علماً إلا الله، وطبيعة العلاقة النفسية فى مثل هذه الحالات يمكن الحكم عليها بالغرابة والتفرد، أو الخروج عن الخط المعتاد والمألوف.

إنما المشكلة هى انعزال أطراف هذه العلاقة عن الآخرين عزلة تكاد تكون تامة، ثم تأتى الطامة عندما يبدأ أحدهما فى تحطيم الآخر وتدميره وإرهاقه بالطلبات، فيهرب الثانى منه ثم يدخلان فى حلقة مفرغة، ولا تتعجب إن قلت لك: إنها قد تنتهى بالقتل.

ففى حالة كنت أعالجها رفض فيها أحد الأطراف أن يذهب الطرف الثانى للعمل، وطلب منه أن يجلس معه فى البيت للقراءة والتسليه فلما ذهب الثانى للعمل خرج وراءه وأصابه بجرح فى ذراعه عندما ضربه بعنق زجاجة مكسورة وجدها أمامه.

فارحم نفسك يا ناصر من الوصول إلى هذه النهاية، وارحم صديقك من متابعته ومضايقته والكتم على أنفاسه، فأنا أعلم من خلال كلامك أنك تحبه، ولكن ليس هكذا تؤخذ الأمور.

حاول توسيع دائرة معارفك وأصدقائك، حيث يتم تفريغ الشحنة العاطفية والانفعالية التى بداخلك على مساحة أكبر من الناس.

واشغل نفسك بأى شيء مباح غيره، بالرياضة، بالهواية، بتعلم شيء جديد، فأنت فى مقتبل العمر وفترة اكتساب المهارات ونمو العقل والنضج النفسى والاجتماعى فلا تضيع الفرصة، ولا تجعل حياتك رهينة أو وقف لآخر مهما كان الآخر..

والله يعينك ويساعدك، وأرجو منك أن تتابعنا بأحوالك.

* * *

د- تحكم الوالدين الزائد (صورة مرفوضة)

فى هذه الحالة يحاول أحد الوالدين، أو كليهما أن يجعل ولده صورة طبق الأصل منه أو صورة طبق الأصل لما فى خياله، فيبدأ فى حصاره ومراقبة جميع تصرفاته ورصدها أكثر من أمن الدولة بكثير، ويثنى بمحاسبته على النقير والقطمير ويحارب بشدة أى حيود عن الخط المرسوم له.

والنتيجة الحتمية:

١- ينفذ رغبات والده ويكتم رغباته حتى يتمكن من الاستقلال أو تموت نفسه داخل نفسه، وفى الأغلب فإن هؤلاء الأولاد يفشلون فى تكوين زيجات ناجحة، أو يفشلون عندما توكل إليهم مهمات ذات مسئولية وإبداع، فالنتيجة ابن مثالى + شخصية فاشلة.

٢- يتمرد وقد يرحل ويتركهما، وقد يعلن حربا شعواء وتتحول الحياة داخل المنزل جحيمًا، وقد يجاهر ويتعمد العناد فى كل صغيرة أو كبيرة، وأنا أرى أن هذا الابن ناضج وقوى، وعلى الأب والأم التفاهم والوصول لأرضية مشتركة حتى تستمر الحياة بينهم.

سلوك الوالد المتسلط عند تمرد الابن:

غالبا ما يستخدم الوالد جميع أسلحته (هو أقوى ماديًا، الوضع الشرعى للوالدين، الوضع الأدبى والاجتماعى للوالدين، قلة خبرة الصغير) ويلجأ للمقربين إلى الوالد للضغط وقد يدعى المرض، وأن ابنه سيقتله ويثير شفقة الآخرين عليه وسخطهم على الابن العاق.

كيفية التعامل مع الحالة:

١- مع الوالد:

التوعية المستمرة بأضرار ما يفعله مع ابنه:

١- محو للذات.

٢- قتل الإبداع.

٣- تعويد الابن على الاعتمادية والطفولية.

٤- الابن سيتحطم إذا توفاك الله أو انتقل بعيداً عنك (سافر للعمل).

وفى هذه الأحوال سيصاحبه الفشل والإحباط، أو ينقل الاعتمادية إلى الآخرين، أو أنه سيدخل ساحة الحياة متأخر وبنفسية طفولية واعتمادية تكلفه كثيراً حتى ينضج.

٥- لا بد للابن أن يستقل عنه يوماً ما فليكن ذلك باختيار الوالد ومساعدته لابنه بدلا من الوقوف فى وجهه.

٢- مع الابن:

- تفهيمه نفسية والديه.
- التأكيد على إحسان الظن بهما.
- التأكيد على أن الوالدين شيء مقدس لا يصح الاصطدام بهما مهما كانت الظروف والضغوط.
- يجب البر بهما.
- عليه أن يتفادى بمرونة محاولتهما للسيطرة عليه.
- عمل ميثاق شرف (مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا الميثاق سريعاً ما يتم نقضه).
- لكن المهم أننا بدأنا سبيلا ما للاتفاق والتكيف.

فى النهاية لا بد أن يعتمد على نفسه، ويستقل بحياته فليفعل ذلك بدون مشاكل.

ملحوظة مهمة:

الحياة الأسرية الجديدة للأبناء تفشل، حيث يسعى الوالدين سعياً حثيثاً إلى فرض سيطرتهم على زوجة الابن أو زوج الابنة، ويقف الابن والابنة متحيرين مترددين غير قادرين على اتخاذ أى قرار لحمايته بيتهم الجديد.

عرض حالة (١)

الأم المتسلطة

[الطبع بيطلع بعد الروح]

حضر إلى العيادة فى حالة رثة..

كان قلقا زائغ العينين، مرتعش الأطراف، نوبات بكاء بصوت مرتفع، وبعد مدة غير يسيرة بدأ يتكلم.

اليوم فشلت فى قصة حب، خطيبتى ألقت الدبلة فى وجهى وقالت: لن أتزوج أمك.

- وهل أمك تقدمت لخطبتها بدلاً منك؟

- لا. بل طبيعتها أن تتدخل فى كل شئون حياتى..

وهى تعرف أنى أتضايق من هذا: بعد موت أبى أصبحت أكثر حساسية وبكاء وتعلقاً بى، وأفهمت خطيبتى هذه القصة، ولكن مع الأيام انكشفت الأمور.

أى اتفاق مع أهل خطيبتى لا بد أن يمر عليها أولاً، وإذا لم يمر عليها تهدمه وترغمنى على التراجع، وتلطخ صورتى أمامهم.

كل يوم تليفون تستقصى فيه عن كل شيء، وإذا لم يردوا عليها تنزل إليهم.

خط سيرى اليومى لابد أن تعرفه، وتقوم بحملات تفتيشية للاطمئنان على صحة المعلومات.

هل حاولت المقاومة قبل ذلك؟

- مرة واحدة عملت راجل، وأحسست هى بزمام الأمر سيفلت ألقت بنفسها على الأرض وراحت فى غيبوبة سكر، وتلقيت عشرات الرسائل بالعتاب «هاتموت أمك ومش هاتورد على جنة».

هذا إرهاب فكرى: والله أمر بالبر والإحسان وتحمـل الأذى، ولم يـأمر بالطاعـة والخضوع..

- هى مصممة تموتنى زى ما موتت أبويا..
- هذا الوضع لا أرضاه لابنتى..
- ماذا أفعل؟
- تزوج واحدة ترضى بذلك، ولا تغضب إذا رفضت.
- هل توجد طرق نفسية لإصلاح تلك الحالة؟
- جدتى قالت، الطبع بيطلع بعد الروح.

* * *

عرض حالة (٢)

[الطلاق العاطفي]

هناك أسر تمثل أرضا خصبة لنشأة المرض.. بنوع العلاقات السائدة فيها وما المريض إلا أضعف حلقاتها أو أضعف أفرادها وأكثرها استعدادا للمرض. وهو الذى تفصح عن طريقه الأسرة عن انحرافها واضطرابها، والمرض عند المريض ليس إلا عرضا للأسرة كلها، وهنا سندرس أخطر نقطة.. علاقة المريض بأمه.

الوالدن مصابان بعدم النضج النفسى [القدرة على إقامة علاقة سوية مع الآخر والتفاعل معه بما يناسب وصفه كزوج].

بينهما طلاق عاطفى.. *Emotioval divorce*

الأم مسيطرة..

↓

تنكر عدم النضج

[جوزك حسب ما تعوديه

وابنك حسب ما تربيه]..

والوالد متخذ موقف الخضوع [مكبر دماغه]..

↓

لا يجد بدا من الإقرار بالعجز والضعف [ها اعمل إيه أخرب البيت]..

↓

تترقب مولد طفلها بلهفة..

↓

تتجه بعاطفتها نحو الطفل الذى لم يولد بدلاً من الزوج..

↓

تعتبره كائنا بشريا ينتمى إليها ويحتاج إلى مساعدتها..

↓

تعطيه عناية مركزة وحماية زائدة (تتمكن من خلال ذلك من ضبط نزعاتها العدوانية وأن تتحكم فيها) وتنسى زوجها من خلال ذلك..

↓

(تحط همها فى العيال) حل مؤقت يريح الصراع بينها وبين زوجها..

تتذرع بحماية الولد الضعيف (الذى يحتاجها أكثر من غيره)..

القلق والهم الزائد والتمركز الشديد حـول الفعـل (انعكـاس لمشـاعرها الحقيقيـة بالقصور وعدم التكيف)..

هذه الأم تنتظر من طفلها أمرين:

١- الاحتياج الدائم إليها وإلى حمايتها ونصيحتها.	٢- أن يصبح شخصًا ناجحًا.

تعمد إلى السيطرة على ابنها وتغفل كل شيء من أجل ذلك..

عند المراهقة:

- راشد سيئ التكيف.
- الأنا (الذى يواجه الحياة ضعيف).
- شخصية دائمة التوتر.

أعراض نفسية:

- عدم القدرة على اتخاذ القرار.

بقية المسلسل معروفة.

المراجـــــع

١- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، اندريه كريسون ترجمة د. عبد الحليم محمود.

٢- الأخلاق بين الدين والعلم، مقالة د. جلال أمين.

٣- حى بن يقظان وفلاسفة الإسلام، مقالة د. الطاهر أحمد مكى.

٤- إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالى.

٥- مدارج السالكين، الإمام ابن القيم.

٦- وحى القلم، أ/ مصطفى صادق الرافعى.

٧- الأخلاق الإسلامية والإنسانية، د/ على معبد فرغلى.

٨- الأخلاق الإسلامية والتفوق، د/ محمد ضياء الكردى.

٩- العقد الاجتماعى، جان جاك روسو.

١٠- سيكولوجية الطفل والمراهق، روبرت واطسن.

١١- سيكولوجية الجنس، د/ مدحت شوقي.

١٢- كيف أختار زوجى، أسئلة خاصة جدا، د/ فيروز عمر.

١٣- منظومة حقوق الإنسان فى مائة عام، د/ عمرو جمعة.

١٤- علم النفس وفنونَ الأداء، جلين ويلسون.

١٥- تصورات الأطفال، د/ حمدى عطية، د/ عايدة عبد الرحمن.

١٦- العشرة الطيبة مع الأولاد، محمد حسين.

١٧- التربية الإسلامية ودورها فى مقاومة الانحراف، د/ نبيل السمالوطى.

١٨- عالم الطفل، فيليكس هوسلر.

١٩- الصحة النفسية للأبناء، د/ رشيدة عبد الرءوف رمضان.

٢٠- أبناؤنا وصراعاتهم النفسية، د/ كلير فهيم.

٢١- العلاج السلوكى للطفل، د/ عبد الستار إبراهيم.

٢٢- المشكلات النفسية للطفل وطرق علاجها، د/ ملاك جرجس.
٢٣- تربية الأبناءفى سؤال وجواب، د/ سعد رياض.
٢٤- القلق الاجتماعى والعدوانية لدى الأطفال، رسالة دكتوراة، د/ فاطمة الشريف.
٢٥- دلالات صدق وثبات اختبار الدافع المعرفى، على طلال، جامعة أم القرى، د/ محمد السليمانى.
٢٦- صعوبات التعلم، د/ أنور الشرقاوى.
٢٧- قبل الندم، رسالة من رئاسة الحرس الوطنى، المملكة العربية السعودية.
٢٨- كيف تواجه مشاكلك النفسية، د/ محمود جمال ماضى أبو العزائم.
٢٩- الأسلوب الأمثل فى تربية المراهقين، د/ دون فونيل.
٣٠- كيف نتعامل مع أبنائنا المراهقين، أ/ أمل السعدانى.
٣١- دليل الوالدين إلى تنشئة الطفل، د/ محمد عماد الدين إسماعيل.
٣٢- ما لا نعلمه لأولادنا، مجموعة من الباحثين العرب.
٣٣- تجديد الفكر العربى، د/ زكى نجيب محمود.
٣٤- أفراح الروح، أ/ سيد قطب.

* * *

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد:	١٤
أولاً: الحاجات الأساسية لفترة المراهقة	١٤
ثانيًا: الطبيعة البيولوجية للمراهق	١٧
١- فسيولوجيًا: جسديًا وجنسيًا	١٧
٢- اجتماعيًا	١٧
٣- عاطفيًا وانفعاليًا	١٧
٤- إثبات الذات وتحديد الهوية	١٨
٥- النمو العقلي والمعرفي والإبداعي والابتكار	١٩
٦- التسلية والترفية	٢٠
٧- الجانب الديني والأخلاقي	٢١
الباب الأول: الحاجة إلى الاستقلال الذاتي	
الفصل الأول: خصائص المراهقة عند أريكسون	٢٥
أولاً: مرحلة تحديد الهوية عند البلوغ والمراهقة	٢٥
ثانياً: المرحلة من بدء ٢٠-٤٠ سنة	٢٦
الفصل الثانى: الصراع النفسى عند المراهق	٢٧
- أزمة المراهقة.	٢٩
سمات المراهق	٢٩
العوامل المؤثرة	٣٠
مظاهر الأزمة	٣٠
- المواجهة والردع حين الجنوح	٣٣
- تجهيز الجرعة المضادة الداخلية للانحراف ألا وهى تقوية الضمير والوازع الدينى	٣٥

الموضـــوع	الصفحة
أزمة المراهقة (عرض الحالة الأولى)	٣٧
أزمة المراهقة (عرض الحالة الثانية)	٣٩
الباب الثانى: إقامة علاقات اجتماعية مع الآخر	
الفصل الأول: التجمـــع والشـــلة	٤٣
- الشلة ظاهرة اجتماعية طبيعية	٤٣
- قيم الشلة	٤٣
- أهمية الشلة	٤٤
- أين المشكلة؟	٤٤
- ديناميكية التفاعل داخل الشلة	٤٤
- كيفية التعامل مع جنوح الشلة	٤٥
- الخصائص الاجتماعية للشلة	٤٦
الجاذبية الاجتماعية	٤٧
العاطفة والحساسية الاجتماعية	٤٧
الحاجة إلى الانجاز الجماعى	٤٨
معايير النجاح في عالم المراهقة	٤٨
الفصل الثانى: العـدوانيـــــة	٤٩
• تعريف الظاهرة	٤٩
• تفسير الظاهرة من وجهة نظر علم النفس	٥٠
• العوامل الخارجية المسببة للعدوان	٥١
أولاً: العوامل الاجتماعية [العدوان لا يقع من فراغ]	٥٢
ثانيًا: العوامل البيئية المسببة للعدوان	٥٣
ثالثًا: العوامل المرتبطة بالمكان (الموقفية)	٥٣
الاستفزاز الفسيولوجي العالي	٥٣

الموضـــوع	الصفحة
الاستفزاز الجنسي	٥٣
إحداث الألم	٥٣
مفهوم العنف في الثقافة الشرقية	٥٤
• تفسير العنف من وجهة نظر د/ عزت الطويل	٥٤
• تفسير د/ مصطفى حجازى وعبد الرحمن الكواكبى	٥٦
• الوسائل المقترحة لمنع العدوان أو السيطرة عليه	٥٦
• العنف فى المجتمعات الغربية	٥٩
الفصل الثالث: الإحباط (حكاية كل يوم)	٦٢
• التعريف	٦٢
١-العدوان.	٦٣
٢-التغابى واللامبالاة والعزلة.	٦٤
٣-التوهم والخيال.	٦٤
٤-فقدان الحكمة (تكرار بلا معنى).	٦٤
٥-النكوص.	٦٤
٦-القلق.	٦٥
٧- المبالغة فى الضد [مأزق التطرف].	٦٦
الفصل الرابع: الحيل الدفاعية النفسية للتغلب على صعوبات الحياة	٦٨
• تعريف الصحة النفسية	٦٩
• الحيل العقلية واختلاف الآراء حولها	٦٩
• ماذا نفعل حينما نمر بأزمة؟	٧٠
• أشهر أنواع الحيل	٧٢
١-الإنكار/ التغافل	٧٢
٢-التحريف/ التشويه	٧٢

الموضـــــوع	الصفحة
٣-التقديس البدائي (عبادة الأشخاص)	٧٢
٤-الإسقاط	٧٤
٥-التفعيل	٧٤
٦-الإعاقة	٧٤
٧-توهم المرض	٧٥
٨-التقمص (إبدال الغير مكان الذات/ التمثيل)	٧٥
٩-العدوانية السلبية	٧٦
١٠- النكوص	٧٧
١١- الخيال الفصامي/ أحلام اليقظة	٧٧
١٢- التبرير	٧٧
١٣- المبالغة العكسية / تكوين رد الفعل / قلب المشاعر لضدها	٧٨
١٤- العقلنة	٧٨
١٥- الكبت والقمع	٧٩
١٦- الحيل النفسية الناضجة، والمفيدة للمراهق	٧٩
١٧- بعض تصرفات المراهقين والتى منشؤها الحيل العقلية النفسية	٨٠
الباب الثالث	
الحاجة إلى تحديد الدور الجنسى (النمو الجنسى عند المراهقة)	
الفصل الأول: مجموعة حقائق للحوار والتفكير	٨٣
• مقدمة	٨٤
• حقائق عن النمو الجنسى	٨٧
* المقصود بالنمو الجنسي	٨٧
* تذكرة قبل الكلام عن الموضوع	٨٧
* أمور لابد أن يضعها المربى فى اعتباره	٨٨

الموضـــــوع	الصفحة
• العادة السرية.	٨٩
• الحرية الجنسية بين التقييد والإباحة	٩١
* القيد الأول: عدم الإكراه	٩١
* القيد الثانى: عدم ضياع الذرية	٩١
* القيد الثالث: عدم ضياع حق الله........................	٩٢
• وجهة النظر الإسلامية........................	٩٤
أولاً: الزواج نداء الفطرة........................	٩٤
ثانيًا: الاعتراف بالغريزة الجنسية........................	٩٥
* الإرجاء المؤقت........................	٩٥
الفصل الثانى: أسئلة محرجة فى المسألة الجنسية	٩٦
• هل أنتظر حتى يفاتحنى أم أبدأ ؟	٩٧
• متى أبدأ ؟	٩٧
• حيائى يمنعنى	٩٧
• السؤال: ماذا أقول؟	٩٨
• أرى الشهوة متفجرة فى ولدى ماذا أفعل؟	٩٩
• ضبطته يمارس العادة السرية فماذا أفعل؟	٩٩
• ضبطته فى وضع مخل ماذا أفعل؟........................	٩٩
• هل أوافق على الاختلاط مع الجنس الآخر؟	١٠٠
• الاختلاط بين الجنسين في المدارس خطر (دراسة بريطانية)........................	١٠٢
عرض حالة مصيبة الشهوة فى بلاد الإباحية	١٠٥
الفصل الثالث: اللــواط [الشذوذ الجنسي]........................	١٠٧
• التعريف	١٠٨
• تفسير الظاهرة	١٠٨

الموضوع	الصفحة
• رأى جمهور الأخلاقيين ورجال الدين	١١١
- أحداث في المراهقة	١١٢
• بعض الصفات السلوكية المصاحبة للشذوذ:	١١٤
العلاج	١١٦
آخر خطوة	١١٨
الباب الرابع: الحاجة إلى الاستقلال الاقتصادى واختيار المهنة	
الفصل الأول: وجهة نظر مقارنـة	١٢١
• مقدمـــــة	١٢١
• وتأتي الطامة الكبرى	١٢٢
الفصل الثانى: مناقشة الواقع	١٢٤
الصعوبات الحالية فى نظام التعليم	١٢٤
الأهداف التربوية من العملية التعليمية	١٢٥
دور الأم المطلوب	١٢٦
قضية الدروس الخصوصية	١٢٧
الفصل الثالث: الدوافع وأهميتها فى عملية التعلم	١٢٨
• الإرادة كمفهوم أساسى فى الحياة	١٣١
الفصل الرابـــع: المشاكل المتعلقة بعملية التعلم	١٣٢
• ضعف التركيز	١٣٢
• السرحان	١٣٤
• الانتباه (من وجهة نظر طبية نفسية)	١٣٦
• العوامل المؤثرة على عدم الانتباه	١٣٧
• أفضل الطرق للمذاكرة	١٣٨
أولاً: الفهم	١٣٨

الصفحة	الموضـــــوع
١٣٨	ثانيًا: المذاكرة والحفظ
١٤٠	ثالثاً: التسميع
١٤١	طرق التسميع
١٤٣	أذاكر منفردًا أم مع أصدقائى؟
١٤٤	أي كلية أختار (خطاب يجب أن يقرأ)
١٤٦	الفصل الخامس: المهنـة وهـوية الإنسان
١٤٦	• مجموعة حقائق حول المهنة
١٤٨	• عرض حالة (الضعف الأبوى وخايب الرجا)
	الباب الخامس: الجانب الدينى (حكاية لا بد أن نحكيها)
١٥٥	الفصل الأول: الله واليوم الآخـــــر
١٥٥	• هل يمكن أن يعيش الإنسان بلا عقيدة؟
١٥٦	• ما الدليل على وجود إله؟
١٥٧	• لماذا لا يكون للكون إلهان (الاثنينية)؟
١٥٨	• لماذا لا يكون الكون جاء صدفة؟ أو بدأ صدفة؟
١٥٨	• ماذا نقصد بالفطرة؟
١٥٨	• لماذا يكون هناك يوم آخر؟
١٥٩	• لماذا الرسل؟
١٥٩	• المحاولات المستميتة لإبعاد الناس عن رب الناس
١٦٠	• رأى الدكتور شعلان عن الدين وأهميته
١٦١	الفصل الثانى: الخبرة الدينية من وجهة نظر نفسية
١٦١	• سؤال: لماذا يختلف الناس فى أخذهم للدين؟
١٦٣	• مظاهر الأخذ:
١٦٣	١- التدين المعرفى

الموضـــوع	الصفحة
٢- التدين الانفعالي	١٦٣
٣- تدين البيئة والعادة	١٦٣
٤- تدين المنفعة والمصالح	١٦٣
٥- التدين كرد فعل	١٦٣
٦- التدين كوسيلة دفاعية نفسية	١٦٤
٧- التدين المرضى الذهاني	١٦٤
٨- التصوف	١٦٥
• مظاهر التدين الناقص	١٦٥
• التدين الأصيل	١٦٥
الفصل الثالث: موقف الآباء والمربين من الدين وأثر ذلك على الأبناء....	١٦٦
الفصل الرابـــع: التطـرف كمشكلة دينيـــة	١٦٩
• المفهوم الشرعى	١٦٩
• العلاج	١٧٠
الفصل الخامس: الأخـــــلاق [بحث مفصل]	١٧٣
• مقدمة	١٧٣
• الاعتماد على العقل وحده كوسيلة لإدراك الحقائق ومعرفة الأخلاق السليمة.	١٧٨
• نقد المذهب	١٧٩
• الاعتماد على المنفعة والعقد الاجتماعى كوسيلة لإدراك الحكمة	١٨٢
• نقد المذهب	١٨٣
• الاعتماد على العواطف كمصدر للسعادة	١٨٦
نقد المذهب	١٨٦
• الاعتماد على الجماعة والعرف كمصدر للأخلاق (القبلية)	١٨٩
• الأخلاق المسيحية واليهودية	١٩١

الموضـــــوع	الصفحة
• تهذيب الأخلاق عند علماء المسلمين	١٩٧
• الأخلاق الأساسية عند الغزالى	١٩٨
• هل الأخلاق جبلية (وراثية) أم كسبية (من البيئة)؟	١٩٩
الطرف الأول: الوراثة..	١٩٩
الطرف الثانى: البيئة..	١٩٩
رأى الغزالى	١٩٩
الرد على هؤلاء	٢٠٠
• السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة	٢٠١
• طرق معرفة عيوب النفس..	٢٠٣
كلام مصطفى صادق الرافعى عن ضرورة القدوة كنموذج لتعديل السلوك والأخلاق	٢٠٤
• الحس الأخلاقى والشعور بالولاء	٢٠٥
• التقييم الأخلاقى عند المراهق	٢٠٩
القراءة	٢٠٩
العلاقات الاجتماعية الجديدة	٢١٠
الاحتكاك بشكل مباشر مع المجتمع	٢١٠
النضج والتجربة الدينية	٢١١
الباب السادس: التدخين والإدمان	
الفصل الأول: التـــدخيـــــن..	٢١٥
• مقدمة..	٢١٥
• حقائق عن التدخين	٢١٦
• مراحل التدخين والعوامل المساعدة والمضادة لذلك	٢١٧
• مركبات تبغ الدخان	٢١٨
• التحول من مدخن إلى غير مدخن	٢١٩

الموضوع	الصفحة
١- زيادة الدوافع للتحول إلى غير مدخن	٢١٩
٢- كسر العادة........	٢٢٠
٣- إيجاد بديل شعورى أو لا شعورى للتدخين	٢٢٠
٤- بناء أسلوب حياة صحى يتنافر والتدخين	٢٢٠
٥- التدريب على النكسة واستمرار الدعم........	٢٢٠
رسم توضيحى لمراحل الاقلاع عن التدخين........	٢٢١
• التدخين حرام شرعًا (فتوى دار الإفتاء المصرية)	٢٢٢
• عمرو خالد: بيان إلى كل مدخن........	٢٢٣
• فتوى الشيخ القرضاوى عن التدخين	٢٢٦
• كلمة أخيرة	٢٣٠
الفصل الثانى: الإدمــــان	٢٣١
١- قبل الحديث رسالة إلى ابنى [من واقع المدمنين]	٢٣٢
الدوافع الحقيقية:	٢٣٢
١- إثبات الذات	٢٣٢
٢- مجاراة الشلة	٢٣٢
٣- التعود	٢٣٢
٤- عايز أبقى صايع	٢٣٢
٥- عايز أجرب كل حاجة........	٢٣٣
٦- شعور لذيذ	٢٣٣
٧- ده مزاج	٢٣٣
٨- مشاكل كثيرة في البيت وفي حياتى	٢٣٣
٩- الخيال أقوى والجنس أنشط........	٢٣٤
١٠- السهر والمذاكرة	٢٣٤

الموضـــــوع	الصفحة
العلاج	٢٣٤
العائلات الأكثر تعرضًا لخطر الوقوع في الإدمان	٢٣٦
وسائل الإعلام ودورها المستفز للظاهرة	٢٣٧
الدراسات النظرية العلمية للإدمان:	٢٣٨
- ظاهرة الإدمان	٢٣٨
التعاطى غير الطبى للعقاقير	٢٤٠
مخاطر الإدمان الصحية	٢٤١
بعض المفاهيم المتعلقة بالإدمان	٢٤٤
تفسير ظاهرة الإدمان	٢٤٦
أولاً: التفسير النفسى للإدمان	٢٤٦
ثانياً: التفسير المرضي للإدمان	٢٤٨
ثالثاً: التفسير البيولوجي للإدمان	٢٤٨
رابعًا: التفسير الفسيولوجي للإدمان	٢٤٩
علاج الإدمان	٢٥٠
خطوات العلاج	٢٥٠
الوسائل	٢٥١
علاج إدمان العقاقير	٢٥١
علاج إدمان المنومات والمهدئات	٢٥١
العينة الأكثر إصابة	٢٥٢
الوقاية	٢٥٣
توجيهات ونصائح	٢٥٤
الحل من وجهة نظر الأستاذ وجيه أبو ذكرى	٢٥٦
رأى الدكتور أحمد عكاشة فى انتكاسة المدمن	٢٦٤

الموضـــوع	الصفحة
الباب السابع: مجموعة رسائل إلى ابنى وابنتى	
• رسالة إلى ابنتى: (الحب الحقيقي)	٢٧٣
نموذج حالة (مشكلة شابة لا يريد حبيبها أن يتزوجها)	٢٨٤
نموذج حالة الفراغ والحب	٢٨٦
• رسالة إلى ابنتى: الحب بالتليفون، الحب بالشات	٢٨٩
نموذج حالة: مشكلة الحب الإلكترونى	٢٩٤
• رسالة إلى ابنتى: الزواج العرفى	٣٠٣
نحن الآن في قمة المأساة..	٣٠٤
قصة مهداة لأنصار الزواج العرفي (استاهل ضرب الجزمة) ...	٣٠٩
• رسالة إلى ابنتى: من تتزوجين؟	٣١٠
لماذا الدين؟ لماذا الرجل المتدين؟ وليس الشاب الاسبور؟	٣١١
هل الحب قبل الزواج حرام؟	٣١٤
التوافق الاجتماعى(قصة زيد وزينب رضى الله عنهما)	٣١٥
الفرق العمرى بين الزوجين..	٣١٦
آخر نقطة: أخاف العنوسة!	٣١٧
العلاج	٣١٧
• لا تكونى تافهة (صرخة في وادٍ سحيق)...........................	٣١٩
• رسالة إلى ابنى من تتزوج؟	٣٢٤
والآن لماذا أتزوج؟	٣٢٦
١- أتزوج الجميلة (الحلوة)	٣٢٦
٢- أتزوج غنية	٣٢٨
٣- أتزوج ذات الحسب والنسب..	٣٢٨
نموذج لمعاناة شاب	٣٣١

الموضوع	الصفحة
نموذج حالة: ساعدونى في الاختيار	٣٣٣
• أم العيال حاجة تانية	٣٣٦
الباب الثامن: دور الوالدين والمربين	
دور الوالدين والمربين	٣٤١
مفاهيم للتدارس في جلسات مفتوحة........	٣٤٣
ظواهر تستحق التوقف عندها........	٣٤٦
أ- فقدان الثقة بالنفس	٣٤٦
ب- الميل الشديد للوحدة........	٣٤٨
ج- التعلق الشديد والالتصاق الأعمى [مع عرض حالتين]........	٣٤٩
عرض حالة (١) رسالة على الانترنت	٣٥١
عرض حالة (٢) رسالة على الانترنت	٣٥٣
د- تحكم الوالدين الزائد (صورة مرفوضة)	٣٥٥
عرض حالة (١) الأم المتسلطة [الطبع بعد الروح]........	٣٥٧
عرض حالة (٢) الطلاق العاطفي........	٣٥٩
المراجع	٣٦١
فهرس	٣٦٣

* * *

هذا الكتاب

محاولة علمية جادة لفهم مرحلة المراهقة والنظر إلى المراهق على أنه إنسان:

- يريد إثبات ذاته
- يبحث عن هوية
- يحتاج إلى التعضيد والتأييد
- مرهف الحس والشعور
- له شهوته الجنسية

ثم ينتقل الكاتب بأسلوب سهل وشيق إلى مناقشة واقع المراهق والمشاكل التى تقابله من خلال خبراته وخبرات الآخرين.

ويقدم حلول تناسب الواقع أولاً ولا تصطدم بتقاليد المجتمع وأعرافه وقيمه ثانياً.

ثم يختم بمجموعة رسائل للمراهق والمراهقة - الولد والبنت - تدور حول : الزواج - الزواج العرفى - الحب - التدخين - الإدمان والمخدرات .

متعرضاً للمشاكل الجنسية والأخلاقية التى تواجه المراهق ومجتمعه.

تعريف بالمؤلف

مواليد القاهرة ديسمبر ١٩٥٥

المؤهلات: بكالوريوس الطب و الجراحة ديسمبر ١٩٧٨ -جامعة القاهرة

- ماجستير الدراسات الطبية والطب النفسية للأطفال جامعة عين شمس سبتمبر ١٩٨٤
- ماجستير الأمراض الباطنة جامعة عين شمس مايو ١٩٩٠
- دبلوم الأمراض النفسية والعصبيةوالعقلية - جامعة عين شمس اكتوبر ١٩٩٢.
- ليسانس كلية أصول الدين - جامعة الأزهر القاهرة ديسمبر ١٩٩٨.

دورات خاصة:

- دورة إعداد القادة من المعهد الدولى للتعليم بالتعاون مع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية من يوليو ١٩٩٦ حتى مارس ١٩٩٧ مع تصديق من الجامعة الأمريكية بالقاهرة مارس ١٩٩٩.
- دورة طب وصحة المسنين جامعة عين شمس - فبراير - مارس ١٩٩٢.
- دورة المشاكل النفسية والاجتماعية فى فترة المراهقة - مستشفى الطائف بالسعودية - مارس ١٩٩٥.

خبرات عملية:

- مستشفى الصحة النفسية - الرياض قسم الأطفال ١٩٨٦ - ١٩٩٠.
- مستشفى الصحة النفسية الطائف قسم الأطفال ١٩٩٢.

مؤسسة
اقرأ
للنشر والتوزيع والترجمة
١٠ ش أحمد عمارة بجوار حديقة الفسطاط ٥٣٢٦٦١٠ - ٠١٠/٥٢٢٤٢٠٧